الجيش الفاطمي

٢٩٧ـ٥٦٧ هـ / ٩٠٩ـ١١٧١م

الدكتور
محمد عبدالله سالم العمايرة



طبع بدعم من وزارة الثقافة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ



الجيش الفاطمي

(٢٩٧ – ٥٦٧هـ / ٩٠٩ – ١١٧١ م)


الذخيرة العربية

الجيش الفاطمي

(٢٩٧ - ٥٦٧هـ / ٩٠٩ - ١١٧١ م)

الدكتور

محمد عبدالله سالم العمايرة

الطبعة الأولى: ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م



المملكة الأردنية الهاشمية
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية : (3121 / 7 / 2009)

956.0664
العمايرة، محمد عبدالله
الجيش الفاطمي/محمد عبدالله العمايرة._ عمان: دار كنوز المعرفة، 2009
( ) ص.
ر.أ: (3121 / 7 / 2009)
الواصفات: / الفاطميون// التاريخ الإسلامي/

أعدت دائرة المكتبة الوطنية بيانات الفهرس والتصنيف الأولية
يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى

ردمك: ISBN: 978 - 9957 - 74 - 066 - 5



دار كنوز المعرفة العلمية للنشر والتوزيع

الأردن - عمان - وسط البلد - مجمع الفحيص التجاري
تلفون: 4655877 6 962+ - فاكس: 4655875 6 962+
موبايل: 5525494 79 962+ - ص. ب 712577 عمان
الإيميل: dar_konoz@yahoo.com

تنسيق وإخراج: صفاء نمر البصار 00962 79 6507997 safa_nimer@hotmail.com



الإهداء

إلى رفاق الدرب :

والديّ الحبيبين

زوجتي الغالية

أبنائي: دعاء وآلاء وأحمد وعلي

محمد


الذخيرة العربية

الفهرس

مقدمة ١٥

الفصل الأول

الجيش الفاطمي قبل الانتقال إلى مصر

(١) لمحة عن قيام الدولة الفاطمية ٢١
(٢) بُنية وتنظيم الجيش الفاطمي في المغرب ٥٥
(أ) البُنية البشرية ٥٥
(١) البربر ٥٥
(٢) العبيد ٦٨
(٣) العرب ٧٢
(ب) فرق الجيش وتنظيمه ٧٣
(ج) إدارة الجيش ومرتباته ٨٠

الفصل الثاني

البُنية البشرية للجيش الفاطمي

(١) العناصر المغربية ٨٨
(أ) كُتامة ٨٩
(ب) المَصامِدة ١٠١

(ج) البُرقية ١٠٣
(د) زويلة ١٠٣
(هـ) عناصر أخرى ١٠٤
(٢) المشارقة (العناصر المشرقية) ١٠٥
(أ) الأتراك والديلم ١٠٥
(ب) الأرمن ١٢٠
(ج) الأكراد ١٢٩
(٣) الرقيق ١٣٠
أ. الصقالبة ١٣٠
ب. العبيد السودان ١٣٤

الفصل الثالث

فرق الجيش وطوائفه

أولا: خواص الخليفة ١٤٧
أ. الأستاذون ١٤٧
١. الأستاذون المحنكون ١٤٨
٢. الأستاذون غير المحنكين ١٥٢
ب. صبيان الخاص ١٥٣
ج. صبيان الحُجر ١٥٥
د. العناصر الملحقة بخدمة الخليفة ١٥٨
١. حامل سيف الخليفة ١٥٩
٢. حامل المظلة ١٥٩
٣. حامل الرمح ١٥٩

٤. حاملو لواءي الحمد.. ١٦٠
٥. حاملو السلاح الصغير ١٦٠
٦. صبيان الركاب (الركابية).. ١٦٠
٧. صبيان السلام.. ١٦١
٨. صبيان الخف.. ١٦٢
٩. السَبَرْبَريّة.. ١٦٢
١٠. الرهجية ١٦٣
ثانيا: الأمراء... ١٦٣
أ. مرتبة الأمراء المطوقين.. ١٦٤
١. الوزير... ١٦٤
٢. صاحب الباب... ١٦٦
٣. الاسفهسلار.. ١٦٧
٤. ولاة الأقاليم ١٦٧
ب. مرتبة الأمراء أرباب القضب... ١٦٨
ج. مرتبة أدوان الأمراء.. ١٦٨
ثالثا: طوائف الجيش.. ١٦٨
أ. الآمرية والحافظية ١٦٩
ب. الوزيرية ١٧٠
ج. الجيوشية.. ١٧١
د. الأفضلية.. ١٧٣
هـ. المأمونية ١٧٣
و. الصالحية ١٧٤
ز. البُرقية ١٧٤

ج. الجوذرية ١٧٥
ط. الباطلية.. ١٧٥
ي. الحُسينية.. ١٧٦
ك. الريحانية.. ١٧٧
ل. الفرحية ١٧٩
م. اليانسية.. ١٨٠
ن. المحمودية.. ١٨١
س. العطوفية.. ١٨١
ع. الملحية... ١٨٢
ف. طوائف أخرى... ١٨٢
رابعا: القوة البحرية (الأسطول).. ١٨٤
أ. رجال الأسطول.. ١٨٥
ب. السفن الحربية الفاطمية ١٨٧
١. العشاريات ١٨٨
٢. الشواني... ١٨٩
٣. الحراقات أو الحراريق... ١٨٩
٤. البطسات أو البطس ١٩٠
٥. المسطحات.. ١٩١
٦. الشلنديات ١٩١
٨. الحربيات أو الحرابي... ١٩٢
٩. الحمالات.. ١٩٢
١٠. الطرائد أو الطرادات... ١٩٢
١١. الدكاسات ١٩٣

١٢ . الصنادل..١٩٣
١٣ . البراكيس..١٩٤
ج. أسلحة الأسطول...١٩٤
د. النشاط العسكري للأسطول الفاطمي ١٩٨
١ . دور الأسطول الفاطمي في فرض السيطرة على بلاد الشام.............١٩٨
٢ . دور الأسطول الفاطمي في الجهاد ضد الصليبيين...........................٢٠٠
خامساً: الفرق المحلية...٢٠٨
أ. العربان...٢٠٨
ب. العامة ٢١٤

الفصل الرابع

إدارة الجيش ومرتباته

أولا: إدارة الجيش...٢١٧
١ . (الدواوين) ٢١٧
أ. ديوان الجيوش والرواتب...٢١٧
ب. ديوان المجلس ٢٢٠
ج. ديوان الجهاد "العمائر" ٢٢٢
د. ديوان الاقطاع..٢٢٦
هـ. ديوان الكُتاميين...٢٢٦
و. ديوان خزائن الكسوة ٢٢٧
ز. ديوان الثغور ٢٢٧
ح. ديوان الكراع..٢٢٨
٢ . الخزائن..٢٢٨

أ. خزائن السلاح ٢٢٩
ب. خزانة الكِسوة.. ٢٣١
١. خزانة الكِسوة الظاهرة... ٢٣١
٢. خزانة الكِسوة الباطنة.. ٢٣٢
ج. خزانة السروج ٢٣٣
د. خزانة البنود.. ٢٣٤
هـ. خزانة التّجمُل ٢٣٥
و. خزانة الخِيّم.. ٢٣٦
٣. الحواصل... ٢٣٦
أ. حواصل المواشي (الاصطبلات)... ٢٣٦
ب. حواصل الغلال: الاهراء السلطانية وشُون الغلال ٢٣٧
٤. إدارة فرق الجيش.. ٢٣٨
أ. إدارة خواص الخليفة.. ٢٣٨
ب. إدارة طوائف الجيش.. ٢٣٩
ج. العرض العسكري ٢٤٢
ثانيا: مُرتبات الجيش.. ٢٤٦
١. الاقطاعات... ٢٤٦
٢. المُخصصات النقدية.. ٢٤٩
أ. الرواتب الشهرية.. ٢٤٩
ب. نفقة الحرب... ٢٥٣
ج. نفقة موكب أول العام (دنانير الغُرة)... ٢٥٥
٣. المُخصصات العينية...
.... ٢٥٦

أ. الكِسوة.. ٢٥٦
ب. الخيول ٢٦٣
ج. الأضاحي.. ٢٦٤
د. مخصصات أخرى ٢٦٤

الخاتمة.. ٢٦٧

الملاحق ٢٧٧
ملحق رقم (١): وصف موكب الخليفة في ركوب أول العام وعناصر الجيش الفاطمي المشاركة فيه.. ٢٧٩
ملحق رقم (٢): وصف ركوب الخليفة في عيد الغدير وعناصر الجيش الفاطمي المشاركة فيه.. ٢٩٠
ملحق رقم (٣): وصف الرحالة الفارسي ناصر خسرو لفرق الجيش الفاطمي المشاركة في يوم فتح الخليج زمن خلافة المستنصر بالله الفاطمي ٢٩٢
ملحق رقم (٤): نسخة سجل بزم طائفة (من طوائف الجيش) من إنشاء القاضي الفاضل ٢٩٤
ملحق رقم (٥): نسخة تقليد بزم طوائف الرجال ٢٩٦

مصادر ومراجع الدراسة ٢٩٩
أولاً: المصادر الأولية.. ٢٩٩
أ. المصادر المخطوطة ٢٩٩
ب. المصادر المطبوعة.. ٣٠٠
ثانيا: المراجع الحديثة.. ٣١٣
أ. المراجع العربية ٣١٣

ب. المراجع المعربة..٣١٦
جـ. المراجع الأجنبية...٣١٨
ثالثاً: المقالات ٣١٩
أ. المقالات العربية ٣١٩
ب. المقالات الأجنبية...٣١٩



مقدمة

تبحث هذه الدراسة في نظم الفاطميين العسكرية، في المغرب ومصر وبلاد الشام منذ قيام الدولة الفاطمية في المغرب سنة ٢٩٧هـ / ٩٠٩م، وحتى سقوطها في مصر سنة ٥٦٧هـ/ ١١٧١م، وقد دفع الباحث لدراسة هذا الموضوع عدة أسباب منها: عدم وجود دراسة متخصصة باللغة العربية عن الجيش الفاطمي، وتركيز أغلب الدراسات المكتوبة بالعربية عن الفاطميين على الدعوة الإسماعيلية، وشؤون الدولة الفاطمية الداخلية وعلاقاتها الخارجية مع جيرانها، إضافة إلى توفر المعلومات عن الجيش الفاطمي بصورة مناسبة في المصادر العربية، ورغبة الباحث في الكشف عن جوانب هامة من تنظيمات الفاطميين العسكرية في هذه الفترة.

قسمت هذه الدراسة إلى أربعة فصول وخاتمة ومجموعة من الملاحق، وقد تناول الفصل الأول جانبين، الأول: قيام الدولة الفاطمية في المغرب، حيث تم التركيز على دور الجيش الفاطمي في قيام هذه الدولة وتوسعها في المغربين الأوسط والأقصى إضافة إلى حملات الفاطميين على مصر وأراضي الدولة البيزنطية في جنوب إيطاليا وجزيرة صقلية، وبيان دور الجيش الفاطمي في محاولة تثبيت السلطة الفاطمية على نواحي المغرب من خلال إخماده للعديد من الثورات، منذ إعلان الخلافة الفاطمية وحتى الفتح الفاطمي لمصر سنة ٣٥٨هـ/ ٩٦٨م.

وفي الجانب الثاني تم بحث البنية البشرية للجيش الفاطمي في المغرب وهي محاولة لفهم التطورات التي حصلت على هذه البنية عندما انتقل الفاطميون إلى

مصر، كما بُحث تنظيم الجيش الفاطمي أثناء المعارك،، إضافة إلى إدارة ونظم الانفاق عليه نقديا وعينيا.

وتناول الفصل الثاني، البنية البشرية للجيش الفاطمي بعد انتقال الفاطميين إلى مصر حيث تم استعراض دور قبائل البربر والعناصر التي قدمت مصر ودورها في الجيش الفاطمي حتى تلاشيها منذ منتصف القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، وما أدخله الخلفاء الفاطميون من عناصر مشرقية جديدة إلى الجيش كالأتراك والديلم والأرمن والأكراد، وما أُدخل من عناصر مجلوبة من الرقيق الأبيض (الصقالبة)، والرقيق الأسود (العبيد السودان)، وقد تم التركيز على النزاعات التي نشبت بين هذه العناصر، كالنزاع بين المغاربة والأتراك في خلافة الحاكم بأمر الله، والنزاع بين الأتراك والعبيد السودان في خلافة المستنصر بالله، وما أدت إليه هذه النزاعات من تدهور لمقدرات الدولة الاقتصادية والعسكرية.

ويعتبر الفصل الثالث محور الدراسة وأساسها، إذ تم الحديث فيه عن فرق الجيش الفاطمي وطوائفه، وقد ارتأى الباحث تقسيم تلك الفرق إلى خمس مجموعات تندرج تحتها فرق وطوائف مختلفة، أولى هذه المجموعات خواص الخليفة والتي تضم "الاستاذون المحنكون" وغير المحنكين، وطوائف الصبيان، والعناصر الملحقة في مواكبه وحياته اليومية، وضمت المجموعة الثانية فئة الأمراء على اختلاف مراتبهم ودرجاتهم ووظائفهم، وأما الثالثة، فكانت طوائف الجيش الفاطمي التي شُكلت من قبل الخلفاء والوزراء والأمراء والخدام في محاولة لتشكيل جيش خاص لكل منهم لمواجهة الأزمات والصراعات التي كانت تنشب بين الأمراء والخلفاء.

وأما المجموعة الرابعة فكانت عن القوة البحرية التي شكلت جانباً هاماً من قوة الفاطميين العسكرية حيث ظهر الاهتمام واضحاً لدى الخلفاء الفاطميين بهذه القوة من حيث العناية برجال الأسطول والاستمرار في صناعة السفن

الحربية المختلفة وما يتصل بها من أسلحة، مما كان له انعكاس واضح على نشاط الأسطول الفاطمي سواء ما يتعلق بدوره في تثبيت سلطة الدولة الفاطمية على مدن بلاد الشام أو للتصدي للحملات الصليبية على بلاد الشام. وجاءت المجموعة الخامسة للحديث عن دور عربان مصر وبلاد الشام الإيجابي والسلبي بالنسبة للجيش الفاطمي، إضافة إلى العامة وتعاونهم مع الجيش الفاطمي من قبيل التعاطف والحفاظ على المصالح الشخصية.

وتناول الفصل الرابع جانبين هامين من هذه الدراسة، الأول: إدارة الجيش حيث تم الحديث عن الدواوين التي اختصت بالشؤون المالية والإقطاعية للجيش الفاطمي مثل ديوان الجيوش والرواتب وديوان المجالس والجهاد والإقطاع... إلخ، وجاء الحديث عن خزائن القصر الفاطمي المختلفة مُبيناً اهتمام الخلفاء الفاطميين بتوفير مستلزمات الجيش من الأسلحة والألبسة والسروج والرايات والأعلام والخيم ونحوها، إضافة إلى الحواصل التي أشرفت على مخصصات الجيش من الخيول وما يتصل بها من اصطبلات وأعلاف، كما تم الحديث عن إدارة فرق الجيش وطوائفه من الناحية التنظيمية والقيادية، إضافة إلى العرض العسكري، الذي اهتم الفاطميون من خلاله بإظهار قوة الدولة وجاهزية الجيش من وقت لآخر.

وأما الجانب الثاني من هذا الفصل فكان مخصصاً لدراسة مرتبات الجيش سواء الإقطاعية منها أو النقدية التي شملت الرواتب الشهرية، وما أُنفق على الجيش وقت الحرب وفي المناسبات الهامة كمواكب الخليفة المختلفة، إضافة إلى المخصصات العينية التي شملت الكسوة والخيول والأضاحي ومخصصات أخرى.

وجاءت الخاتمة مُجملة للنتائج التي توصل إليها الباحث من خلال هذه الدراسة، كما قدمت الملاحق نصوصاً هامة ومطولة تصف مواكب الخلفاء

الفاطميين، وعناصر الجيش الفاطمي المشاركة فيها، إضافة إلى بعض كتب التكليف التي وجهت للأزمة الذين تولوا إدارة بعض طوائف الجيش.

وفي الختام أوجه شكري إلى كل من ساند البحث ووفّر له احتياجاته من المصادر والمراجع وأخص بالذكر موظفي مكتبة الجامعة الأردنية ومكتبة جامعة مؤتة، وإلى كل من ساند الباحث ولو بكلمة تشجيع ﴿ **فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاء وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ** ﴾.

والله من وراء القصد

المؤلف

الفصل الأول

الجيش الفاطمي قبل الانتقال إلى مصر

١. لمحة عن قيام الدولة الفاطمية وتوسعها في بلاد المغرب.

٢. بنية وتنظيم الجيش الفاطمي في المغرب:

أ. البنية البشرية.

ب. فرق الجيش وتنظيمه.

ج. إدارة الجيش ومرتباته.


الذخيرة العربية

الفصل الأول

الجيش الفاطمي قبل الانتقال إلى مصر

(١) لمحة عن قيام الدولة الفاطمية:

تهدف هذه اللمحة إلى تحقيق هدفين هما:

أ- بيان الظروف التي نشأت فيها الدولة الفاطمية في المغرب، وانتقالها إلى مصر.

ب- إظهار دور الجيش الفاطمي في توسع الدولة الفاطمية في المغرب، وبيان نشاطه العسكري من خلال المعارك التي خاضها من أجل ذلك التوسع.

قامت الدولة الفاطمية في المغرب في أواخر القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي، على إثر انتشار الدعوة الإسماعيلية السرية، منذ عصر الإمام جعفر الصادق (ت ١٤٨هـ/٧٦٥م)، سادس الأئمة العلويين[(١)]. وإلى هذا الإمام يرجع الفضل في إرسال دعاة الإسماعيلية الأوائل إلى بلاد المغرب، ففي سنة

(١) ليس هنا مجال للحديث عن الدعوة الإسماعيلية، حول ذلك الموضوع، انظر: عبد العزيز الدوري: دراسات في العصور العباسية المتأخرة، بغداد، ١٩٤٥م، ص١٢٦-١٨٧، (يشار إليه فيما بعد: الدوري: دراسات)، برنارد لويس: أصول الإسماعيلية والفاطمية والقرمطية، دار الحداثة، بيروت، ١٩٨٠م، (يشار إليه فيما بعد، لويس: أصول الإسماعيلية).

١٤٥هـ/٧٦٢م، أُرسل داعيتين هما أبو سفيان والحلواني[١]، لنشر الدعوة في تلك البلاد[٢].

وقد نجح هذان الداعيان في مهمتهما، إذ استغلا فرصة التعليم لنشر مبادئ المذهب الإسماعيلي، وكانت الإشادة بفضائل آل البيت، الوسيلة التي استقطبت أعداداً كبيرة من قبائل البربر، وخاصة قبيلة كتامة[٣]، وهذه الجهود هي التي مكنت أبي عبد الله الشيعي[٤]، أشهر دعاة الإسماعيلية، من وضع أسس الدولة الجديدة بين صفوف البربر والتي انتهت بإعلان الخلافة الفاطمية في المغرب في سنة ٢٩٧هـ/٩٠٩م.

---

(١) لم أجد في المصادر ترجمة لحياتهما.

(٢) النعمان: القاضي بن حيون (ت ٣٦٣هـ/٩٧٣م): افتتاح الدعوة، تحقيق وداد القاضي، دار الثقافة، بيروت، ١٩٧٠م، ص٥٤، (يشار إليه فيما بعد: النعمان: افتتاح).

(٣) النعمان: افتتاح، ص٥٥-٥٨.

(٤) أبو عبد الله الشيعي: هو الحسين بن أحمد بن محمد بن زكريا، يكنى بأبي عبد الله الشيعي، ولد في صنعاء، والتحق بالإمام الحسن بن أحمد في سلمية، وأرسله إلى اليمن ليتعلم على يد داعيها ابن حوشب، ثم أرسل بعد ذلك إلى المغرب. انظر: النعمان: افتتاح ص٥٩-٧١، أبو الفداء: الملك المؤيد عماد الدين اسماعيل (ت ٧٣٢هـ/١٣٣١م): المختصر في أخبار البشر، القاهرة، د.ت، ج٢، ص٦٨، (يشار إليه فيما بعد: أبو الفداء: المختصر)، ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد (٨٠٨هـ/١٤٠٦م): العبر وديوان المبتدأ والخبر، ج٨، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٥٨م، ج٤، ق١، ص٦٦، (يشار إليه فيما بعد: ابن خلدون: العبر)، المقريزي: تقي الدين أحمد بن علي (ت ٨٤٥هـ/١٤٤١م) اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، ج٣، تحقيق جمال الدين الشيال وآخرين، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ١٩٧١-١٩٧٣، ج١، ص٥١-٥٥، (يشار إليه فيما بعد: المقريزي: اتعاظ)، ادريس: الداعي عماد الدين (ت٨٧٢هـ/١٤٦٨م): تاريخ الخلفاء الفاطميين في المغرب - من كتاب عيون الأخبار، تحقيق محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٥، ص٨٤-٨٥. (يشار إليه فيما بعد: ادريس: تاريخ).

أرسل الداعي أبي عبد الله الشيعي إلى بلاد المغرب سنة ٢٨٠هـ/٨٩٣م، حيث صحب حجاج كتامة العائدين إلى المغرب في ذلك العام[١]، وكان اختياره للنزول في قبيلة كتامة بناءً على معلومات استقاها من هؤلاء الحجاج حول أفضل القبائل "حتى صَحّ عنده أن ليس في قبائل افريقية أكثر عدداً، ولا أشد شوكة، ولا أصعب مراماً على السلطان من كُتامة"[٢]. فهي بعيدة عن قوى المغرب الثلاث آنذاك؛ الأغالبة في افريقية (تونس) والأدارسة في المغرب الأقصى، والرُستميين في المغرب الأوسط إضافة إلى طبيعة بلادهم الجبلية المنيعة[٣].

دخل الداعي بلاد كتامة في منتصف ربيع الأول من ذلك العام، واختار قلعة ايكجان[٤] في مضارب بني سُكتان –إحدى بطون قبيلة كُتامة– مقراً له، وعن طريق التعليم استطاع نشر مبادئ المذهب الإسماعيلي بين أعداد كبيرة من قبيلة كتامة[٥]، إلا أنه واجه في بداية الأمر صعوبات، تمثلت بالمؤامرات التي دبرتها

---

(١) ابن الأثير: عز الدين أبو الحسن علي (ت ٦٣٠هـ/١٢٣٢م): الكامل في التاريخ، ج١٢، دار صادر، بيروت، ١٩٧٩، ج٨، ص٣١-٣٢، (يشار إليه فيما بعد: ابن الأثير: الكامل)، ابن خلدون: العبر، ج٤، ق١، ص٦٦، المقريزي، المقفى الكبير، ج٨، تحقيق محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩١م، ج٣، ص٤٨٣-٤٨٤، (يشار إليه فيما بعد: المقريزي: المقفى)، ادريس، تاريخ، ص٨٥-٨٧، Muir: William, the caliphate, Its Rise, Decline, and fall, London 1984, P558. يشار إليه فيما بعد: (Muir: The caliphate).

(٢) ابن عذاري: أبو عبد الله محمد (ت بعد ٧١٢هـ/١٣١٢م)، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق كولان وبروفنسال، بيروت، ١٩٤٨م، ج١، ص١٦٨، (يشار إليه فيما بعد: ابن عذاري: البيان المغرب).

(٣) فرحات الدشراوي: الخلافة الفاطمية في المغرب، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٤م، ص٨٥-٨٦، (يشار إليه فيما بعد: دشراوي: الخلافة الفاطمية).

(٤) انظر الخريطة المرفقة بهذا الفصل. ص٢٨.

(٥) النعمان، افتتاح، ص٧١-٧٢، ابن الأثير، الكامل، ج٨، ص٣٢-٣٣، العمري، أحمد بن فضل الله (ت٧٤٩هـ/١٣٤٧م)، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ج٢٦، ٢٧، مخطوطة مكتبة

بطون كتامة المعارضة للدعوة، مما دفعه إلى الانتقال بأتباعه "الأولياء" إلى مقره الجديد في تازروت[1] التي أصبحت "دار هجرة" لهم[2] وأنشأ من هؤلاء الأتباع جيشاً استطاع به هزيمة المعارضين، فازداد أتباعه باستمرار وكشف عن نواياه في قيادة كتامة لإنشاء دولة شيعية باسم المهدي المنتظر، واستطاع بين سنتي ٢٨٧-٢٨٩هـ/ ٩٠٠-٩٠١م، أن يبسط سلطته على بلاد كتامة، وأن يجعل من أبناء هذه القبيلة قوة ضاربة، بدأ بها مرحلة النشاط العسكري ضد الأغالبة بفتح المدن والحصون المجاورة لتازروت[3]، مُتجاهلاً تهديد الأغالبة له في رسائلهم الموجهة إليه[4].

بدأ الداعي نشاطه ضد المدن الأغلبية في سنة ٢٨٩هـ/٩٠١م، فقد استغل خروج أمير الأغالبة ابراهيم الثاني في حملة كبيرة إلى جزيرة صقلية في ذلك العام[5]، وتمكن من احتلال حصن ميلة[6] القريب من تازروت[7].

وسرعان ما كانت ردة فعل الأغالبة قوية، فقد جهز الأمير الأغلبي الجديد

= السليمانية، استانبول، رقم ١٩١٧، ٣٤٣٩، مكتبة جامعة مؤتة، ج٢٦، ورقة ٩١، (يشار إليه فيما بعد: العمري: مسالك). المقريزي: المقفى، ج٣، ص٤٨٤-٤٨٦، ادريس: تاريخ، ص٨٨-٩٠.

(١) تازروت: تقع تازروت في إقليم سجلماسة، وفي وادي سباو، لكن حصن تازروت (مقر الداعي) يقع بين ميلة والرواشد قرب ايكجان، موسى لقبال: دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية، الجزائر، ١٩٧٤، ص١٥٢، (يشار إليه فيما بعد: لقبال: دور كتامة).

(٢) ابن خلدون: العبر، ج٤، ق١، ص٦٨، ادريس: تاريخ، ص٩٤-١٠٦.

(٣) النعمان: افتتاح، ص١٠١-١١٧، دشراوي: الخلافة الفاطمية، ص١٠٢-١١٢.

(٤) ابن خلدون: العبر، ج٤، ق١، ص٦٧، ادريس: تاريخ، ص٩٢-٩٤.

(٥) النعمان: افتتاح، ص٩٢-٩٣.

(٦) ميلة: مدينة قديمة على أربع مراحل من قلعة حماد، الحميري: محمد بن عبد المنعم (ت٦١٠هـ/١٢١٣م): الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: احسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٥، ص٥٦٨، (يشار إليه فيما بعد: الحميري: الروض المعطار).

(٧) المقريزي: المقفى، ج٣، ص٤٨٧.

عبد الله الثاني جيشاً ضخماً بقيادة ابنه محمد المعروف بأبي حوال[1] في أواخر ذلك العام ليتوجه به إلى تازروت، وكان لقاؤه مع جيش الداعي حاسماً رغم صعوبة الشتاء، ولما كان جيش الأغالبة يفوق جيش الداعي عدداً وتنظيماً، فقد انهزم الأخير إلى تازروت، ثم تركها لقلة حصانتها، وتوجه إلى مقره الأول في ايكجان[2]، التي أصبحت منطلق العمليات العسكرية ضد الأغالبة[3]، وقد دفعت قساوة الشتاء، وهزيمة قسم من جيش أبي حوال أمام فرقة من جيش الداعي، إضافة إلى اضطراب الوضع في تونس، عقب وفاة ابراهيم الثاني في حملته المذكورة، دفعت أبي حوال إلى العودة إلى تونس في صفر سنة ٢٩٠هـ/٩٠٢م بعد أن دمر مدينة تازروت[4].

ثم جهز الأغالبة حملة ثانية بقيادة أبي حوال أيضاً، الذي خرج من تونس في رجب سنة ٢٩٠هـ/٩٠٢م، والتقى مع جيش الداعي فانهزم ورجع إلى سطيف[5] وعاد جيش الداعي إلى ايكجان محملاً بالغنائم[6].

والواقع أن اضطراب الوضع في عاصمة الأغالبة، قد أثر على سير المعارك مع جيش الداعي، فللمرة الثانية يعود أبي حوال بالجيش إلى تونس، بعد الأخبار

---

(١) محمد بن عبد الله الثاني المعروف بأبي حوال، أبرز قادة الأغالبة في مرحلة الصراع مع الفاطميين لقي حتفه في رقادة سنة ٢٩٠هـ/٩٠٢م، وأخباره متناثرة في مصادر تلك الفترة.

(٢) النعمان: افتتاح، ص١٣٧-١٣٩، ابن الأثير: الكامل، ج٨، ص٣٤-٣٥، ابن خلدون: العبر، ج٤، ق١، ص٤٣٨، المقريزي: اتعاظ، ج١، ص٥٨، ادريس: تاريخ: ص١١٠-١١٢.

(٣) ادريس: تاريخ: ص١١٢.

(٤) النعمان: افتتاح، ص١٣٩-١٤٠، ابن الأثير: الكامل، ج٨، ص٣٥.

(٥) سطيف: مدينة في جبال كتامة بين تاهرت والقيروان، ياقوت: شهاب الدين ياقوت بن عبد الله (ت٦٢٦هـ/١٢٢٩م): معجم البلدان، ٥ج، دار صادر، بيروت، د.ت، ج٣، ص٢٢٠، (يشار إليه فيما بعد: ياقوت: معجم البلدان).

(٦) النعمان: افتتاح، ص١٤٢-١٤٣، المقريزي: المقفى، ج٣، ص٤٩٧، ادريس: تاريخ، ص١١٢-١١٤.

التي وصلته باغتيال أبيه عبد الله الثاني، ليُقتل بعد وصوله على يد الأمير زيادة الله، الأمر الذي أضعف قوة الأغالبة في مواجهة الداعي وجيشه[١].

أعاد الداعي تنظيم قواته من جديد، استعداداً لمواجهة جديدة مع الأغالبة، ولما كانت ايكجان وسط مدن أغلبية محصنة، فقد كانت الخطوة التالية إسقاط أقرب المدن بعد ميله، وهي مدينة سطيف، فشن هجومه عليها في سنة ٢٩١هـ/٩٠٣م، ونظراً لمناعة المدينة واستماتة أهلها في الدفاع عنها، فقد انسحب عنها إلى ايكجان، ثم عاد إليها بقوة كبيرة وحاصرها واحتلها[٢].

رد الأغالبة على سقوط سطيف، بإرسال جيش كبير بقيادة ابراهيم بن حبشي[٣] في أواخر ذلك العام، إلا أن فرقة من خيرة فرسان الداعي استطاعت مباغتة جيش الأغالبة وإلحاق الهزيمة به[٤].

وقد شجعت الهزائم التي مُني بها الأغالبة، والغنائم التي استولى عليها جيش الداعي، على استمرار هذا الجيش في إسقاط مدن الأغالبة، في الوقت الذي تراجعت فيه قوة هذه الإمارة، فبعد سلسلة من الغارات على مدينة طُبنة[٥]، تمكن جيش الداعي من الاستيلاء عليها في ذي الحجة سنة ٢٩٣هـ/٩٠٥م، بعد

---

(١) دشراوي: الخلافة الفاطمية، ص١٢٤-١٢٥.

(٢) النعمان: افتتاح، ص١٥٤-١٥٦، ابن خلدون: العبر، ج٤، ق١، ص٧٢، ادريس: تاريخ، ص١١٥، النويري: أحمد بن عبد الوهاب (ت٧٣٣هـ/١٣٣٣م): نهاية الأرب في فنون الأدب، ٢٨ج، تحقيق محمد أمين وزميله، القاهرة، ١٩٩٢م، ج٢٨، ص٩٢-٩٤، (يشار إليه فيما بعد: النويري: نهاية الأرب).

(٣) ابراهيم بن حبشي: لم أجد له ترجمة.

(٤) النعمان: افتتاح، ص١٥٦-١٦٠، ابن عذاري: البيان المغرب، ج١، ص١٣٨-١٣٩، ابن الأثير: الكامل، ج٨، ص٤٠-٤١، المقريزي: اتعاظ، ج١، ص٦٢، ادريس: تاريخ، ص١١٦-١١٨.

(٥) طبنة: من أعظم مدن إقليم الزاب، بينها وبين المسيلة مرحلتان، الحميري: الروض المعطار، ص٣٨٧.

نقب أحد أسوارها[١]، أما مدينة بلزمة[٢]، فقد تعرضت خلال الثلاث سنوات السابقة لغارات متكررة، إلى أن تمكن جيش الداعي من احتلالها عنوة، بعد حصار شديد اُستخدمت فيه أقوى وسائل الحصار[٣].

أدرك الأغالبة أهمية حصن باغاية[٤] كخط دفاعي ضد الداعي وجيشه، فأرسلوا إليه جيشاً كبيراً في سنة ٢٩٤هـ/٩٠٦م بقيادة هارون الطبني[٥]، وفي إحدى غاراته على ما جاور باغاية اصطدم هذا الجيش مع فرقة من فرسان الداعي، بشكل مفاجئ مما أدى إلى هزيمته ومقتله[٦]، وتلا هذه الحادثة سقوط حصن تيجس[٧] بيد الداعي في ذلك العام[٨]، مما جعل زيادة الله يوزع بياناً على أهل افريقية يكفر فيه الداعي وأتباعه[٩]، وجهز جيشاً كبيراً أنفق عليه

---

(١) النعمان: افتتاح، ص١٦٠-١٦٣، ابن الأثير: الكامل، ج٨، ص٤١، ادريس: تاريخ، ص١١٨، ابن الخطيب: لسان الدين ابن الخطيب التلمساني (ت٧٧٦هـ/١٣٧٤م): أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، ق٣، (تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط)، تحقيق أحمد مختار العبادي، الدار البيضاء، ١٩٦٤م، ص٣٩-٤٠، (يشار إليه فيما بعد: ابن الخطيب: أعمال الأعلام).

(٢) بلزمة: حصن يبعد عن قسطنطينة مسيرة يومين، الحميري: الروض المعطار، ص١٠٣.

(٣) النعمان: افتتاح، ص١٦٤، ادريس: تاريخ، ص١١٩.

(٤) باغاية: "مدينة بافريقية ذات أنهار وثمار ومزارع تقع بالقرب من جبل أوراس" الحميري: الروض المعطار، ص٧٦.

(٥) هارون الطبني: لم أجد له ترجمة.

(٦) النعمان: افتتاح، ص١٦٥-١٦٧، ابن الأثير: الكامل، ج٨، ص٤١-٤٢، ادريس: تاريخ، ص١١٩-١٢٠، ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ق٣، ص٤٠.

(٧) تيجس: تقع قرب سوق أهراس يفصلها عن القصر الإفريقي وادي الدنانير — لقبال: دور كتامة، ص١٦٠.

(٨) ابن الأثير: الكامل، ج٨، ص٤٢، ادريس: تاريخ، ص١٢٠-١٢١.

(٩) دشراوي: الخلافة الفاطمية، ص١٣٨-١٤٠.

أموالاً طائلة[١]، وخرج به في العام التالي إلى الأربس[٢]، وعين ابنه ابراهيم قائداً عليه وعاد هو إلى تونس[٣].

وكان على الداعي إتمام احتلال بعض المدن المحصنة قبل اللقاء الحاسم مع الأغالبة، فاحتل باغاية دون قتال في سنة ٢٩٥هـ/٩٠٧م[٤]، كما كثف من غاراته في العام التالي على عدد من الحصون واحتلها مثل (مجانة، تيفاش، بونه، مسكياته، تبسة، حيدرة، القصرين (قمودة)[٥] تلاها إخضاع مدينتي قسطيلية[٦] وقفصة[٧] بالامان في ذلك العام[٨]، وأفشل محاولة الجيش الأغلبي استعادة باغاية[٩].

بعد ذلك توجه الداعي بكامل جيشه الذي بلغ تعداده كما تذكر المصادر (٢٠٠) ألف مقاتل إلى الأربس، واشتبك مع جيش الأغالبة في لقاء حاسم كانت

(١) النعمان: افتتاح، ص١٧٨.

(٢) الأربس: مدينة بينها وبين القيروان ثلاثة أيام – الحميري: الروض المعطار، ص٢٤.

(٣) النعمان: افتتاح، ص١٧٨–١٨١، ابن الأثير: الكامل، ج٨، ص٤٢، ادريس: تاريخ، ص١٢٢–١٢٣.

(٤) النعمان: افتتاح، ص١٨١–١٨٣، ابن الأثير: الكامل، ج٨، ص٤٢، ابن خلدون: العبر، ج٤، ق١، ص٧٤، ادريس: تاريخ، ص١٢٣–١٢٤.

(٥) النعمان: افتتاح، ص١٨٥–١٨٦، ١٩٠–١٩٣، ادريس: تاريخ، ص١٢٥–١٢٨.

(٦) قسطيلية: مدينة كبيرة ضمن كورة تدعى قسطيلية وقاعدتها توزر، مؤلف مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار، تحقيق سعد زغلول، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٨٦م، ص١٥٥ (يشار إليه فيما بعد: مجهول: الاستبصار).

(٧) قفصة: مدينة تقع على حدود اقليم قمودة جنوب غرب القيروان، لقبال: دور كتامة، ص٢٩٧.

(٨) النعمان: افتتاح، ص١٩٨، ادريس: تاريخ، ص١٢٩–١٣٠.

(٩) ادريس: تاريخ، ص١٣٠.

الغلبة فيه لجيش الداعي الذي احتل على اثرها الأربس في شهر جمادى الآخرة من سنة ٢٩٦هـ/٩٠٨م[١].

وبعد فرار زيادة الله من عاصمته رقادة[٢] -على اثر الهزيمة-[٣]، توجه الداعي إلى القيروان حيث أمن أهلها ورتب أمورها، ثم انطلق بجيشه إلى رقادة في رجب من ذلك العام، معلناً سقوط دولة الأغالبة[٤].

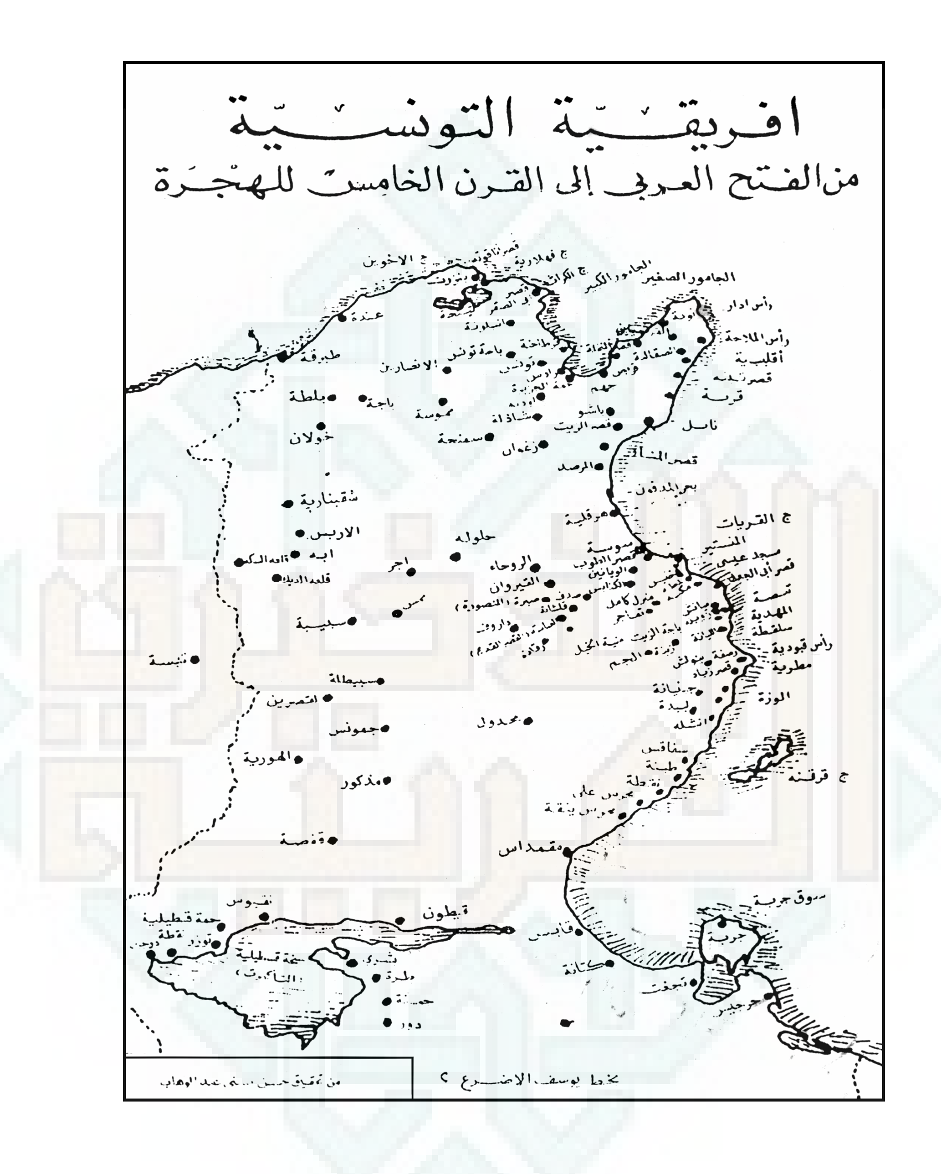
---

(١) النعمان: افتتاح، ص٢٠٢-٢٠٥، ابن عذاري: البيان المغرب، ج١، ص١٤٦، ابن أيبك: أبو بكر عبد الله بن أيبك (ت٧٣٦هـ/١٣٣٥م): الدرة المضية في أخبار الدولة الفاطمية، تحقيق صلاح الدين المنجد، القاهرة، ١٩٦١م، ص٤٠، (يشار إليه فيما بعد: ابن أيبك: الدرة المضية)، المقريزي: اتعاظ، ج١، ص٦٣، المقفى، ج٣، ص٤٨٩، ادريس: تاريخ، ص١٣٣.

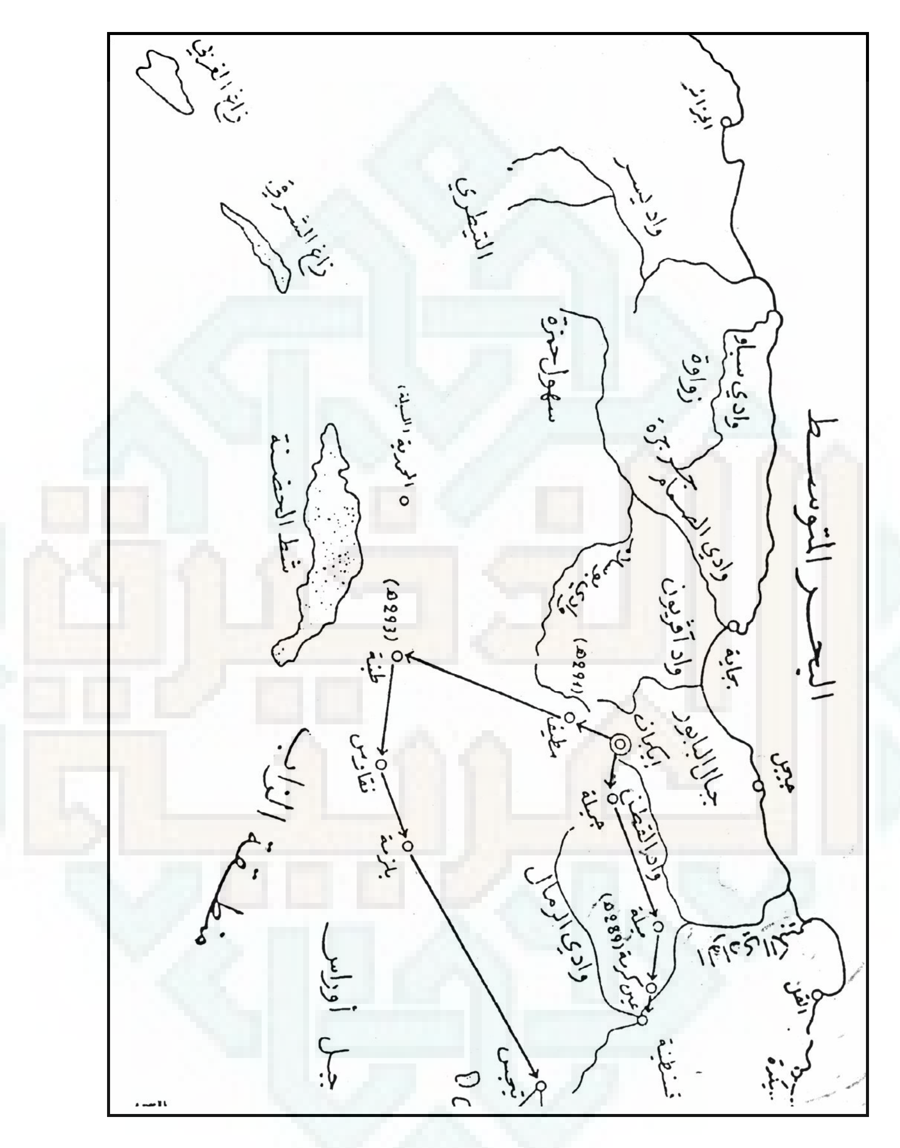
(٢) رقادة: عاصمة الأغالبة في تونس تقع على أربعة أميال من القيروان، الحميري: الروض المعطار، ص٢٧١.

(٣) ابن الابار: محمد بن عبد الله بن أبي بكر (ت٦٥٨هـ/١٢٥٩م)، الحلة السيراء، (٢ج – تحقيق حسين مؤنس، القاهرة، ١٩٦٣م، ج١، ص١٩١، (يشار إليه فيما بعد: ابن الأبار: الحلة السيراء)، ادريس: تاريخ، ص١٣٥-١٣٦.

(٤) النعمان: افتتاح، ص٢١٢-٢١٣، ابن الأثير: الكامل، ج٨، ص٤٥-٤٦، المقريزي: المقفى، ج٣، ص٤٨٩-٤٩٠، ادريس: تاريخ، ص١٣٦-١٣٨، Jamil, M. Abun-Nasr: A history of the Maghrib in the Islamic period, (Cambridge University Press 1987), P. 61. يشار إليه فيما بعد: Nasr: A history.

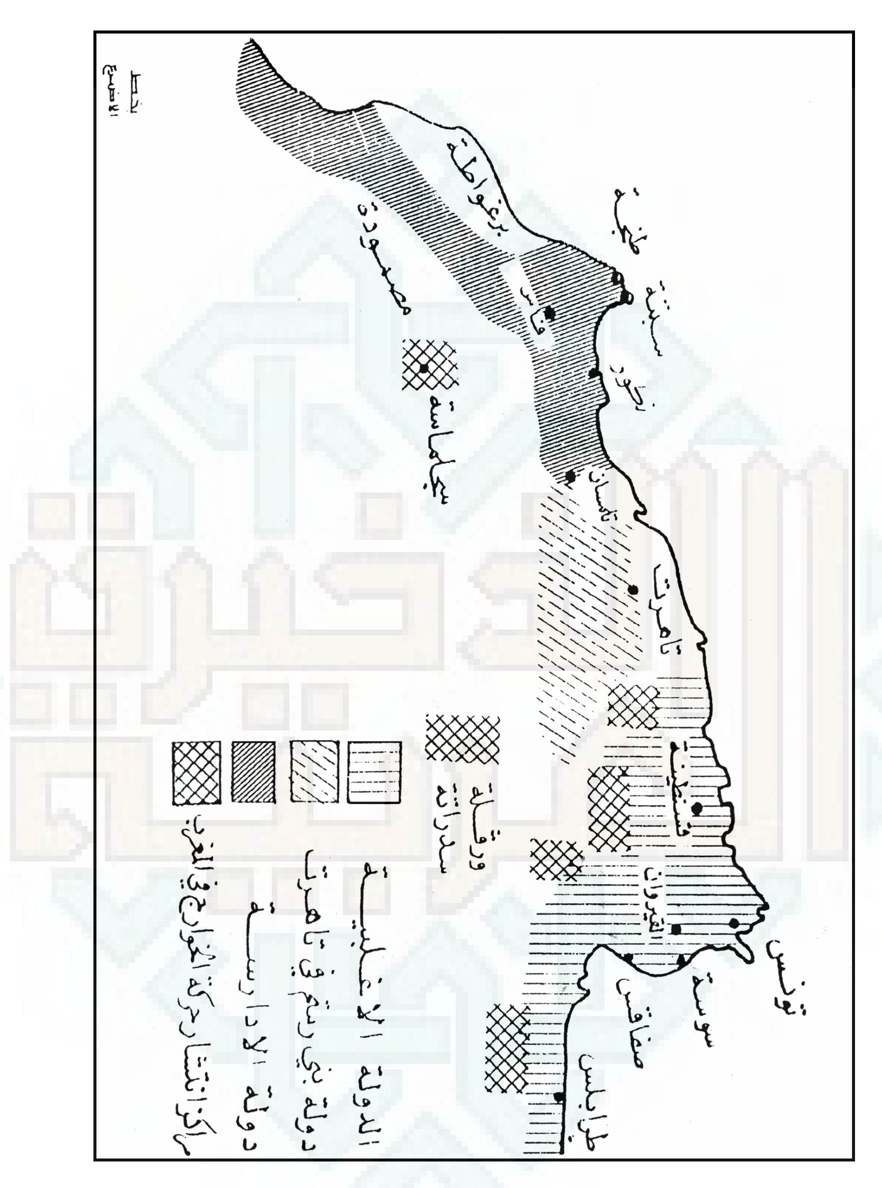


المرجع: كتاب أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، للصنهاجي، ص١٢٩.



التوسع الإسماعيلي من قاعدة إيكجان في إقليم الزاب

المرجع: موسى لقبال: دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية.



المغرب العربي في بداية القرن التاسع الميلادي

المرجع: كتاب أخبار ملوك بني عبيد/للصنهاجي ص٦٩.

ويمكن القول أن نجاح أبي عبد الله الشيعي في إسقاط دولة الأغالبة يعود إلى الأسباب التالية:

١. نجاح الداعي في إقامة الدعوة إلى آل البيت والمهدي المنتظر، من خلال أسلوبه وطريقة حياته التي اتسمت بالزهد والتقشف.

٢. اهتمام الداعي بتكوين جيش من أتباعه "الأولياء" الذين ازدادت أعدادهم باستمرار، وتدل أحداث القتال مع الأغالبة على أن هذا الجيش كان على درجة من الكفاءة والشجاعة.

٣. إتباع الداعي لاستراتيجية إسقاط خطوط الدفاع الأغلبية المتمثلة باحتلال المدن المحصنة المجاورة لقواعده في ايكجان وتازروت، الأمر الذي مكنه من إضعاف قوة الأغالبة، وزيادة قوة جيشه من خلال الأسلحة والذخائر والأموال التي غنمها جيشه من هذه المعارك.

٤. سياسة الداعي في عدم زج جميع جيشه في المعارك التي خاضها – باستثناء المعركة الأخيرة في الأربس-، الأمر الذي حافظ على جيشه من ناحية، وعلى مقدرته في اختبار قوة خصمه من ناحية أخرى.

٥. سياسة التسامح التي انتهجها الداعي وجيشه أثناء إسقاط المدن الأغلبية، الأمر الذي أدى إلى دخول أعداد كبيرة من أهل افريقية في دعوته، ويدل على ذلك أن الأغالبة استغلوا المرة الوحيدة التي قام فيها جيش الداعي بأعمال السلب والنهب في حصن حيدرة، للتشهير بالداعي وأتباعه، مما أغضب الداعي وأمر بإعادة الأموال والأمتعة إلى أصحابها(١).



---

(١) ابن خلدون: العبر، ج٤، ق١، ص٧٣.

وكان المهدي[١] قد خرج من مقره في سلمية[٢] في رجب سنة ٢٨٩هـ/٩٠١م بسرية تامة بعد أن شعر بخطورة وجوده فيها من العباسيين والقرامطة، واتجه إلى مصر مع ابنه أبي القاسم وجماعة من الدعاة، وهناك قرر الاتجاه إلى المغرب، وقد شجعه على ذلك أنباء انتصارات الداعي على الأغالبة[٣] فتوجه إليها بزي التجار، ودخل إمارة بني مدرار في سجلماسة[٤] ومكث بها ثلاثة سنوات[٥]، حتى جاء كتاب من الأمير زيادة الله الأغلبي إلى أميرها اليسع بن مدرار، بحقيقة ذلك التاجر وضرورة القبض عليه، فاعتقل على الفور[٦].

---

(١) ولد المهدي (أبو محمد عبد الله بن الحسين بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن اسماعيل بن جعفر (الصادق) بين سنتي ٢٥٩-٢٦٠هـ/٨٧٢-٨٧٣م، في مدينة عسكر مكرم من خوزستان، وانتقل به والده إلى سلمية ونشأ فيها، ادريس: تاريخ، ص١٤٣، وانظر أيضاً: Dachraoui, F: Al-Mahdi Ubayd Allah, the Encyclopedia of Islam, New edition, London, 1979, Vol (5) P. 1243. يشار إليه فيما بعد: EI2.

(٢) سلمية: بلدة من أعمال قنسرين على طرف البادية بينها وبين حمص مرحلة، الحميري: الروض المعطار، ص٣٢٠.

(٣) اليماني: محمد بن محمد؛ سيرة جعفر الحاجب، نشر ايفانوف، مجلة كلية الآداب، الجامعة المصرية، م٤، ج٢، ١٩٣٦، ص١٠٨-١١٥ (يشار إليه فيما بعد: اليماني: سيرة جعفر)، النعمان: افتتاح، ص١٤٩-١٥١، العمري: مسالك، ج٢٦، ورقة ٩٢، المقريزي: المقفى، ج٤، ص٥٥٢-٥٥٣، ادريس: تاريخ، ص١٤٣-١٥٢.

(٤) سجلماسة: مدينة في المغرب تبعد عن فاس عشرة أيام، ياقوت، معجم البلدان، ج٣، ص١٩٢.

(٥) اليماني: سيرة جعفر، ص١١٦-١٢٢، النعمان: افتتاح، ص١٥٢-١٥٤، أبي زكريا: يحيى بن أبي بكر؛ سِيَّر الأئمة وأخبارهم، تحقيق اسماعيل العربي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٢، ص١٦٥-١٦٦، (يشار إليه فيما بعد: أبي زكريا: سير الأئمة)، المقريزي: المقفى، ج٤، ص٥٥٦، ادريس: تاريخ، ص١٥٢-١٥٣.

(٦) اليماني: سيرة جعفر، ص١٢٢-١٢٣، ابن الأثير: الكامل، ج٨، ص٤٧-٤٨، ابن ظافر: أبو الحسن علي الأزدي (ت٦١٣هـ/١٢١٦م): أخبار الدول المنقطعة، (قسم الفاطميين) تحقيق أندريه فريه، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، ١٩٧٢، ص٦-٧، (يشار إليه فيما بعد: ابن ظافر: أخبار)، ادريس: تاريخ، ص١٥٦-١٥٩.

وكان الداعي قد استعد للخروج إلى سجلماسة لإنقاذ المهدي، فخرج من رقادة على رأس جيش كبير في منتصف شهر رمضان سنة ٢٩٦هـ/٩٠٨م، وفي طريقه قضى على إمارة الرستميين باحتلاله تاهرت[١].

وصل الداعي سجلماسة في ذي الحجة من ذلك العام، وحاول إنقاذ المهدي بالتفاوض مع أمير المدينة، لكنه فشل في ذلك، فشن هجوماً كبيراً على المدينة هزم فيه جيش بني مدرار واحتل المدينة وأنقذ المهدي وابنه (القائم)[٢]، وقد مكث المهدي في المدينة أربعين يوماً ثم تركها بعد أن عين والياً وحامية من فرسان كتامة، ثم توجه إلى رقادة[٣]، وبوصوله إليها قضي على إمارات المغرب الثلاث (الأغالبة، آل مدرار، الرستميين)[٤]، وفي رقادة بويع المهدي بالخلافة كأول خليفة للفاطميين في المغرب في ٢١ ربيع الثاني سنة ٢٩٧هـ/٩٠٩م[٥].

وقد بدأ المهدي عهده بإرسال الداعي أبي عبد الله على رأس جيش كبير لإخضاع بعض الجهات المتمردة في طُبنة وتاهرت، وبعض المدن، في أواخر عام ٢٩٧هـ/٩٠٩م[٦].

---

(١) ابن عذاري: البيان المغرب، ج١، ص١٥٣، دشراوي: الخلافة الفاطمية، ص١٧٣، تاهرت: مدينة قديمة من مدن المغرب الأوسط تقع في سفح جبل قرقل، مجهول: الاستبصار، ١٧٨.

(٢) اليماني: سيرة جعفر، ص١٢٤-١٢٦، النعمان: افتتاح، ص٢٣١-٢٣٩، البكري: أبي عبيد الله بن عبد العزيز (ت٤٨٧هـ/١٠٩٤م): المُغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، نشره دي سلان، الجزائر، ١٩١١م، ص١٥٠، (يشار إليه فيما بعد: البكري: المغرب)، ابن عذاري: البيان، ج١، ص١٥٢-١٥٣، ابن ظافر: أخبار، ص٧، المقريزي: المقفى، ج٣، ص٤٩١، ج٤، ص٥٥٨، مجهول: الاستبصار، ص١١٧.

(٣) ابن عذاري: البيان المغرب، ج١، ص١٥٤.

(٤) ابن الأثير: الكامل، ج٨، ص٤٨-٤٩، ابن الأبار: الحلة السيراء، ج١، ص١٩١-١٩٢.

(٥) النعمان: افتتاح، ص٢٤٦-٢٥٣، ابن عذاري: البيان المغرب، ج١، ص١٥٨ Muir: The Caliphate P. 558.

(٦) ابن عذاري: البيان المغرب، ج١، ص١٦٠-١٦٢، ادريس: تاريخ، ص١٧٨-١٨٠.

اتجـه المهـدي في سياسـته إلى الاسـتبداد بالـسلطة دون الـداعي وكبـار شخـصيات كتامـة، ممـا دفـع هـؤلاء إلى تـدبير مـؤامرة لاغتيـال المهـدي، إلا أن اكتشاف المؤامرة جعلت المهدي يتخلص من الداعي وأخيه والمتآمرين في جمادى الآخرة سنة ٢٩٨هـ/٩١٠م[١]، مما أدى إلى قيام سلسلة من الثورات، كان أولها عودة تمرد قبائل زناتة في تاهرت، فأرسل المهدي جيشاً تمكن به من استعادة المدينة في صفر سنة ٢٩٩هـ/٩١١م[٢]، كما اندلعت ثورة في القيروان احتجاجاً على مقتل الداعي، سرعان ما أخمدها المهدي في شعبان من ذلك العام[٣].

وفي بلاد كُتامة، قام الكُتاميون بتنصيب مهدي جديد[٤]، استطاع أن يلحق الهزيمة بالجيش الذي أرسله المهدي لقتاله، حتى تمكن ابنه أبي القاسم من قتله في حملتـه علـى بـلاد كتامـة في أواخـر عـام ٢٩٩هـ/٩١١م[٥]. وفي مطلـع عـام ٣٠٠هـ/٩١٢م ثار أهل طرابلس على عامل المهدي وقتلوه، فأرسل المهدي جيشاً كبيراً بقيادة ابنه أبي القاسم، وتمكن من فتح المدينة عنوة في رجب من تلك السنة[٦].

---

(١) النعمان: افتتاح، ص٢٤٧-٢٦٧، الأنطاكي: يحيى بن سعيد (ت٤٥٨هـ/١٠٦٦م)، تاريخ الأنطاكي، تحقيق عمر تدمري، جروس برس، طرابلس، ١٩٩٠م، ص٦٦-٦٧، (يشار إليه فيما بعد: الأنطاكي: تاريخ)، ابن الأثير: الكامل، ج٨، ص٥٠-٥٣، ابن عذاري: البيان المغرب، ج١، ص١٦٤-١٦٥، ابن الأبار: الحلة السيراء، ج١، ص١٩٢، أبي زكريا: سير الأئمة، ص١٦٨-١٧٤، العمري: مسالك، ج٢٦، ورقة ٩٢-٩٤، المقريزي: المقفى، ج٣، ص٤٩١-٤٩٣، ج٤، ص٥٦٠-٥٦١، ادريس: تاريخ، ص١٨٠-١٨٨.

(٢) ابن عذاري: البيان المغرب، ج١، ص١٦٠-١٦٢.

(٣) دشراوي: الخلافة الفاطمية، ص١٩١-١٩٤.

(٤) يسمى كادون بن معارك الماوطني، ابن عذاري: البيان المغرب، ج١، ص١٦٦.

(٥) ابن عذاري: البيان المغرب، ج١، ص١٦٦، ادريس: تاريخ، ص١٩٠-١٩١.

(٦) الأنطاكي: تاريخ، ص٦٨، ابن الأثير: الكامل، ج٨، ص٦٦، ابن عذاري: البيان المغرب، ج١، ص١٦٨-١٦٩، ادريس: تاريخ، ص١٩٢.

وبعد إخماد هذه الثورات، فكر المهدي ببناء عاصمة لدولته الجديدة، فوقع اختياره على موقع ساحلي على البحر المتوسط، شمال مدينة القيروان، على شبه جزيرة متداخلة في البحر على هيئة كف متصلة بزند، وبنى عاصمته الجديدة التي سُميت باسمه (المهدية)[1].

وقد أدرك المهدي أن دولته الجديدة نشأت وسط ثلاثة أخطار: الأمويين في الأندلس والعباسيين في الشرق، والبيزنطيين في جنوب إيطاليا وجزر البحر المتوسط[2]، لذلك فقد اهتم بمواجهة هذه الأخطار، بالتوسع شرقاً وغرباً، مع شن الغارات على الدولة البيزنطية من وقت لآخر، وقد كان المهدي جاداً في نظرته التوسعية نحو المشرق، فاحتلال مصر كان شغله الشاغل بسبب أهميتها وموقعها المتوسط في العالم الإسلامي، وقد شعر الخليفة العباسي المقتدر بالله (٢٩٥-٣٢٠هـ/٩٠٨-٩٣٢م)، بخطورة الدولة الجديدة فأرسل جيشاً بقيادة والي مصر إلى بُرقة[3] في سنة ٣٠٠هـ/٩١٢م، للحيلولة دون أي تقدم فاطمي مُحتمل إلى مصر، في الوقت الذي قام فيه المهدي بإرسال جيش بقيادة حباسة بن يوسف[4] إلى بُرقة سنة ٣٠١هـ/٩١٣م، وقد استغل حباسة النزاع بين قادة جيش

---

(١) الاصطخري: ابراهيم بن محمد (٣٤٠هـ/٩٥١م): مسالك الممالك، ليدن، ١٩٢٧م، ص٣٨، (يشار إليه فيما بعد: الاصطخري: مسالك)، أبو الفداء: تقويم البلدان، باريس، ١٨٦٠م، ص١٤٥، (يشار إليه فيما بعد: أبو الفداء: تقويم)، التجاني: رحلة التجاني، قدم له حسن حسني عبد الوهاب، الدار العربية للكتاب، تونس، ١٩٨١م، ص٣٢٠-٣٢٧، (يشار إليه فيما بعد: التجاني: رحلة)، الوزان أو ليون الافريقي: وصف افريقيا، ٢ج، ترجمة عن الفرنسية محمد حجي وزميله، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٣، ج١، ص٨٥-٨٦، (يشار إليه فيما بعد: الوزان: وصف افريقيا).

(٢) دشراوي: الخلافة الفاطمية، ص٢٠٢-٢٠٧، Dachraoui: Al-Mahdi, EI2, vol (5), P. 1243.

(٣) بُرقة: اسم صقع كبير يشتمل على مدن وقرى تقع بين الاسكندرية وافريقية، ياقوت: معجم البلدان، ج١، ص٣٨٨.

(٤) حباسة بن يوسف: لم أجد ترجمة عن حياته قبل دخوله خدمة الفاطميين.

المقتدر، وتمكن من هزيمته واحتلال برقة[1]، ثم أرسل المهدي جيشاً آخر بقيادة ابنه أبي القاسم، والتحق بحباسة في ربيع الثاني من ذلك العام[2].

وعلى ضفاف النيل، التقى الجيش الفاطمي مع جيش مصر في جمادى الأولى، في قتال شديد انقطعت فيه الميرة عن الجيش الفاطمي، مما أدى إلى ارتحال أبي القاسم إلى الفيوم[3] واشتبك مع المصريين في قتال انهزم فيه في البداية، لكنه صمد، حتى تحول الموقف لصالحه فارتحل إلى الاسكندرية في رجب من تلك السنة[4].

أرسل الخليفة المقتدر جيشاً إلى مصر بقيادة مؤنس الخادم[5] الذي تمكن من إلحاق عدة هزائم بالجيش الفاطمي في شهر جمادى الأولى، مما اضطر أبي القاسم للرحيل من الاسكندرية إلى الفيوم، ثم عاد إلى المغرب في ذي القعدة سنة ٣٠٢هـ/٩١٤م[6].

وقد فشلت هذه المحاولة بسبب قلة الامدادات، وعدم التنسيق بين جيش أبي القاسم وجيش حباسة، الذي كان يتصرف من تلقاء نفسه، مما دفع المهدي

---

(١) الكندي: محمد بن يوسف، (ت٣٥٠هـ/٩٦١م)، ولاة مصر، تحقيق حسين نصار، دار صادر، بيروت، ١٩٥٩م، ص٢٨٦-٢٨٨، (يشار إليه فيما بعد: الكندي: ولاة).

(٢) ابن الأبار: الحلة السيراء، ج١، ص١٩٢، العمري: مسالك، ج٢٦، ورقة ٩٥، المقريزي: المقفى، ج٤، ص٥٦٢.

(٣) الفيوم: ولاية من ولايات مصر الغربية، تبعد عن القسطاط مسيرة أربعة أيام، ياقوت: معجم البلدان، ج٤، ص٢٨٦.

(٤) ادريس: تاريخ، ص١٩٥، Dachraoui: al-Mahdi, EI2, Vol (5) P. 1234.

(٥) مؤنس الخادم: ويسمى مؤنس المظفر، من كبار قادة الجيش العباسي، قتله الخليفة القاهر في شعبان من سنة ٣٢١هـ/٩٣٣م، ابن الأثير: الكامل، ج٨، ص٢٦٠-٢٦١.

(٦) الأنطاكي: تاريخ، ص٦٨-٦٩، ابن الأثير: الكامل، ج٨، ص٨٩، ابن عذاري: البيان المغرب، ج١، ص١٧٢، ابن خلدون: العبر، ج٤، ق١، ص٧٨، ادريس: تاريخ، ص٢٠٤-٢٠٩. Yaacov, Lev: The Fatimids and Egypt, 301-358 E/914-969 A.D., ARABICA, Brill, leiden, 1988, Tom XXXV (P 186-196), P. 187-196 (يشار إليه فيما بعد: Yaacov, The Fatimids).

إلى قتله بعد عودة الجيش إلى المغرب[١].

وجه المهدي حملة ثانية إلى مصر في عام ٣٠٦هـ/٩١٨م، بقيادة أبي القاسم أيضاً، وقد استولى الجيش الفاطمي على الاسكندرية في أوائل العام التالي، واتبع المهدي الجيش، بإرسال الأسطول الفاطمي إلى سواحل مصر، في الوقت الذي أرسل فيه الأسطول العباسي من طرسوس[٢] وقد ساعدت الرياح الأسطول العباسي على هزيمة الأسطول الفاطمي على سواحل ميناء رشيد المصري في ١٨ شوال من ذلك العام، وأسر العديد من رجاله[٣].

وأرسل الخليفة المقتدر مؤنساً على رأس الجيش إلى مصر لمواجهة هذه الحملة للمرة الثانية، وبعد سلسلة من المعارك بين فرق من الجانبين -كان النصر فيها لجيش مؤنس- ترك أبو القاسم الاسكندرية لقلة المؤن، وقد أدى الوباء الذي حل بالجيش الفاطمي[٤] إلى أن يترك أبو القاسم مصر مرة أخرى، ويتوجه إلى المغرب في رجب من سنة ٣٠٩هـ/٩٢١م[٥].

---

(١) دشراوي: الخلافة الفاطمية، ص٢١٤-٢١٥. Yaacov: The Fatimids P. 189-190.

(٢) طرسوس: مدينة في ثغور بلاد الشام، تقع بين أنطاكية وحلب، استحدثت بعد عام ١٩٠هـ/٨٠٥م، ياقوت: معجم البلدان، ج٤، ص٢٨.

(٣) الكندي: ولاة، ص٢٩٤، Yaacov: The Fatimids, P. 190-191.

(٤) الصنهاجي: أبو عبد الله محمد بن علي (ت٦٢٨هـ/١٢٣١م): أخبار ملوك بن عُبيد وسيرتهم، تحقيق جلول البدوي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ١٩٨٤م، ص٢٣، (يشار إليه فيما بعد: الصنهاجي: أخبار).

(٥) الكندي: ولاة، ص٢٩٣-٢٩٥، الصنهاجي: أخبار، ص٢٣، ابن الأثير: الكامل، ج٨، ص١١٣-١١٤، ابن خلكان: أبو العباس أحمد بن ابراهيم (ت٦٨١هـ/١٢٨٢م): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ٨ج، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٨٦م، ج٥، ص١٩، (يشار إليه فيما بعد: ابن خلكان: وفيات)، ابن خلدون: العبر، ج٤، ق١، ص٨٠-٨١، ادريس: تاريخ، ص٢٠٥-٢٠٦.

Muir: the Caliphate, P 558-559.

Yaacov: The Fatimids, P 192.

ولما كانت نواحي المغرب الأقصى غير خاضعة تماماً للسلطة الفاطمية، فقد أبدى المهدي اهتماماً واضحاً بإخضاع تلك الجهات، ففي سنة ٣٠٤هـ/٩١٦م كلف عامله على تاهرت القائد مصالة بن حبوس[١]، بحملة استمرت ست سنوات، تمكن فيها من ضم مدينة نكور[٢] وفاس[٣] وسجلماسة للدولة الفاطمية[٤].

وعاد المهدي في سنة ٣١٢هـ/٩٢٤م، إلى تكليف قائده مصالة من جديد للقيام بحملة على بني مغراوة –إحدى بطون قبيلة زناتة المعارضة في نواحي تاهرت- إلا أنه فشل في حملته هذه وقتل فيها[٥]، وتشجّع بنو مغراوة على مهاجمة تاهرت، وألحقوا الهزيمة بالجيش الفاطمي الذي أرسله المهدي لقتالهم مرتين[٦]، مما دفع المهدي إلى إرسال حملة كبرى لتسوية الأمور في المغرب الأقصى في صفر سنة ٣١٥هـ/٩٢٧م بقيادة ولي عهده أبي القاسم، وقد تمكن من إخضاع بعض القبائل المتحالفة مع زناتة، ورغم صعوبة الشتاء إلا أن أبا القاسم جاوز تاهرت حتى وصل بلاد مطماطة[٧] وانتصر على أهلها، ثم قصد قلعة زبرقة[٨] وحاصرها واحتلها، وتلا ذلك إخضاع أكثر القبائل المعارضة، ثم

(١) مصالة بن حبوس: لم أجد له ترجمة.

(٢) نكور أو نكر: من مدن المغرب الأقصى تبعد عن البحر عشرة أميال، مجهول: الاستبصار، ص١٣٦.

(٣) فاس: مدينتان كبيرتان مفترقتان في المغرب يشقهما نهر وادي فاس، مجهول: الاستبصار، ص١٨٠.

(٤) ابن عذاري: البيان المغرب، ج١، ص١٧٥-١٧٩، البكري: المغرب، ص١٢٦.

(٥) ابن عذاري: البيان المغرب، ج١، ص١٨٩، سنوسي ابراهيم، زناتة والخلافة الفاطمية، (القاهرة ١٩٨٦)، ص١٧٩، (يشار إليه فيما بعد: سنوسي: زناتة).

(٦) النعمان: افتتاح، ص٢٧٦.

(٧) مطماطة: بلد كبير على نهر ملوية كثير الزرع والضرع، مجهول: الاستبصار، ص١٩٣.

(٨) قلعة زبرقة: لم أجد تحديداً لها.

عاد إلى المهدية في أواخر رمضان سنة ٣١٦هـ/٩٢٨م[١].

ثم عادت الأوضاع إلى الاضطراب في المغرب الأقصى من جديد، فقد استرجع الحسن بن محمد بن القاسم أحد الأمراء الأدارسة مدينة فاس سنة ٣١٣هـ/٩٢٥م، حتى تمكن القائد الفاطمي موسى بن أبي العافية[٢]، من قتله وملاحقة أسرته[٣]، إلا أن موسى خلع طاعة الفاطميين ولحق بطاعة الخليفة الأموي عبد الرحمن الثالث (٣٠٠-٣٥٠هـ/٩١٢-٩٦٢م)، مما دفع المهدي إلى تكليف والي تاهرت الجديد حميد بن يصل[٤]، باستعادة فاس[٥]، وقد ظلت الأوضاع مضطربة وغير مستقرة في تلك الأجزاء بقية عهد المهدي.

أما جزيرة صقلية التي ورثها الفاطميون عن الأغالبة، فقد اتُخذت قاعدة للإغارة على أراضي الدولة البيزنطية في جنوب إيطاليا، وكان المهدي حريصاً على فرض السيطرة على هذه الجزيرة التي ثار أهلها على الولاة الفاطميين بين عامي ٢٩٩-٣٠٠هـ/٩١١-٩١٢م[٦] حتى تمكن الجيش الفاطمي من فتحها في سنة ٣٠٠هـ/٩١٢م، وتعيين سالم بن أبي راشد والياً عليها مع فرقة من الجيش[٧].

وقد قام هذا الوالي بمساعدة الحملات الحربية المنطلقة من المهدية إلى جنوب إيطاليا، كانت أولى هذه الحملات، تلك التي قام بها القائد أبو سعيد

---

(١) ابن الأثير: الكامل، ج٨، ص١٧٩، المقريزي: اتعاظ، ج١، ص٧٢، ادريس: تاريخ، ص٢١٥-٢٢٥، سنوسي: زناتة، ص١٨٠-١٨٢.

(٢) موسى بن أبي العافية: لم أجد له ترجمة.

(٣) دشراوي: الخلافة الفاطمية، ص٢٢٥-٢٢٦، Nasr: A History, P, 63

(٤) حميد بن يصل: لم أجد له ترجمة.

(٥) ابن عذاري: البيان المغرب، ج١، ص٢٠٠-٢٠١، سنوسي: زناتة، ص١٨٣-١٨٥.

(٦) ابن الأثير: الكامل، ج٨، ص٧١، ابن عذاري: البيان المغرب، ج١، ص١٧١.

(٧) ابن الأثير: الكامل، ج٨، ص٧١-٧٣، عزيز أحمد: تاريخ صقلية الإسلامية، (ترجمة أمين الطيبي، الدار العربية للكتاب، ١٩٨٠)، ص٣٣، (يشار إليه فيما بعد: عزيز: تاريخ صقلية).

الضيف[1] سنة ٣٠٦هـ/٩١٩م، واستولى فيها على مدينة روجيو دون مقاومة[2]، وفي سنة ٣١٠هـ/٩٢٢م، قام القائد مسعود بن غالب[3] بحملة بحرية تمكن فيها من احتلال مدينة سانت آغات[4].

وفي سنة ٣١٢هـ/٩٢٤م أرسل المهدي حملة بحرية بقيادة جعفر بن عبيد[5] لمهاجمة قلورية، وقد تمكنت هذه الحملة في أوائل العام التالي من الاستيلاء على برزانة وهاجمت مدينة أوريا، حيث قُتل وسُبي عددٌ كبيرٌ من سكانها من بينهم بطريق المدينة نفسه الذي افتدى نفسه ومدينته بمبلغ كبير من المال[6]، كما أرسل المهدي جيشاً في ذلك العام إلى صقلية لمساندة واليها سالم في الإغارة على إقليم انكبرده، وتمكن الجيش من احتلال غيران وأبرجة ومدينة طارنت (تارنت) في إقليم قلوريه، ثم حاصر مدينة أورنت، وعاد بعدها إلى صقلية بسبب المرض الذي أصاب الجيش هناك[7].

---

(١) أبي سعيد الضيف: لم أجد له ترجمة.

(٢) دشراوي: الخلافة الفاطمية، ص٢٢٧.

(٣) مسعود بن غالب: لم أجد له ترجمة.

(٤) ابن عذاري: البيان المغرب، ج١، ص١٨٧-١٨٨، دشراوي: الخلافة الفاطمية، ص٢٢٧-٢٢٨.

(٥) جعفر بن عبيد: لم أجد له ترجمة.

(٦) ادريس: تاريخ، ص٢١٤.

(٧) ابن الأثير: الكامل، ج٨، ص١٥٩.



صقلية وجنوب إيطاليا

المرجع: عزيز أحمد: تاريخ صقلية الإسلامية، ص٧.

وقد دفعت هذه الغارات الدولة البيزنطية التي كانت سلطتها على هذه المناطق ضعيفة بسبب انشغالها بالسياسة التوسعية البلغارية، إلى عقد هدنة مع الدولة الفاطمية تعهدت فيها بدفع غرامة سنوية عن مدينة قلورية(١)، وقد اضطر المهدي إلى نقض الهدنة، بسبب تأخر بيزنطة عن دفع الغرامة سنة

---

(١) دشراوي: الخلافة الفاطمية، ص٢٢٨-٢٣٠.

٣١٥هـ/٩٢٧م، وأرسل أسطولاً بقيادة صابر الخادم[١] من المهدية إلى صقلية ليلتحق به جيش الجزيرة لمهاجمة جنوب إيطاليا، حيث هاجم تارنت في جمادى الآخرة، وقتل وأسر عدداً كبيراً من أهلها[٢]، ثم عاد في السنة التالية ليستولي على عدة قواعد بيزنطية، ثم حاصر سالرنو ونابولي، وأخذ الغرامة المفروضة على قلورية[٣]، وفي سنة ٣١٧هـ/٩٢٩م تمكن من فتح مدينة قرمولة، ثم عاد إلى المهدية في شعبان من العام التالي[٤].

وفي سنة ٣١٩هـ/٩٣١م تأخر دفع الغرامة أيضاً، مما دفع المهدي إلى تجهيز الأسطول لغزو جنوب إيطاليا، فسارعت بيزنطة إلى إرسال الهدايا وطلب الهدنة، فأُوقفت الحملة[٥]، وتواصل دفع الغرامة حتى وفاة المهدي في سنة ٣٢٢هـ/٩٣٣م[٦].

بويع القائم بأمر الله بالخلافة بعد وفاة المهدي في ١٥ ربيع الأول سنة ٣٢٢هـ/٩٣٣م[٧]، وفي عهده خاض الجيش الفاطمي ثلاث حملات عسكرية ضد بيزنطة والمغرب الأقصى ومصر، ففي رجب سنة ٣٢٢هـ/٩٣٣م، توجه الأسطول الفاطمي بقيادة يعقوب بن اسحاق[٨] إلى جنوب إيطاليا، وتمكن من فتح جنوة

---

(١) صابر الخادم: لم أجد له ترجمة.

(٢) ادريس: تاريخ، ص٢٣١، دشراوي: الخلافة الفاطمية، ص٢٢٩.

(٣) دشراوي: الخلافة الفاطمية، ص٢٢٩.

(٤) ادريس: تاريخ، ص٢٣١، دشراوي: الخلافة الفاطمية، ص٢٢٩.

(٥) ادريس: تاريخ، ص٢٣٢.

(٦) دشراوي: الخلافة الفاطمية، ص٢٢٩.

(٧) ابن الأثير: الكامل، ج٨، ص٢٨٤، ادريس: تاريخ، ص٢٣٩.

(٨) يعقوب بن اسحاق: قائد الأسطول الفاطمي في حملاته على مصر، أسر في بغداد بعد هزيمة الأسطول الفاطمي وفر إلى المغرب بعد ١٥ سنة من سجنه، ابن الأثير: الكامل، ج٨، ص١١٤.

بعد حصار شديد لها[1].

وفي نفس العام أعد القائم حملة إلى المغرب الأقصى لإعادة السلطة الفاطمية على تلك البلاد، بقيادة ميسور الخادم[2]، حيث استعاد مدينة فاس[3] في حين أرسل القائد صندل الخادم[4] على رأس جيش آخر استعاد به مدينة نكور[5].

أما الحملة الموجهة إلى مصر، فقد أعدها القائم سنة ٣٢٣هـ/٩٣٤م مُستغلاً خروج قائدا الأسطول المصري على طاعة والي مصر محمد بن طُغْج[6]، وعلى الرغم من تمكن الجيش الفاطمي من احتلال الاسكندرية إلا أن جيش ابن طغج استطاع تخليصها في سنة ٣٢٤هـ/٩٣٥م فانسحب الجيش الفاطمي إلى بُرقة[7].

وقد شهد عصر القائم أخطر ثورة واجهتها الدولة الفاطمية في المغرب، وهي ثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد الزناتي المعروف بصاحب الحمار، الذي استطاع جمع القبائل البربرية المعادية للدولة وكوَّن جيشاً كبيراً من هذه القبائل

---

(١) ابن الأثير: الكامل، ج٨، ص٢٨٥، المقريزي: اتعاظ، ج١، ص١٠٨، ميخائيل أماري، المكتبة العربية الصقلية، (دار صادر، بيروت، عن ط ليسبك ١٨٥٧)، ص٤٣٧، (يشار إليه فيما بعد: أماري: المكتبة العربية).

(٢) ميسور الخادم: قائد صقلبي لم أجد له ترجمة.

(٣) الفاسي: علي بن عبد الله (ت٧٢٦هـ/١٣٢٥م) الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة، الرباط، ١٩٧٢م، ص١٠٠، (يشار إليه فيما بعد: الفاسي: الأنيس المطرب).

(٤) صندل الخادم: قائد فاطمي من العبيد السود، لم أجد له ترجمة.

(٥) ابن عذاري: البيان المغرب، ج١، ص٢٠٩-٢١٠، المقريزي: اتعاظ، ج١، ص١٠٨، ابن الأثير: الكامل، ج٨، ص٢٨٤-٢٨٥.

(٦) ولايته على مصر تمتد بين عامي (٣٢٣-٣٣٤هـ/٩٣٤-٩٤٥م)، الكندي: ولاة، ص٣٠٤-٣١٠.

(٧) الكندي: ولاة، ص٣٠٥-٣٠٧، Yaacov: The Fatimids, P. 193.

حارب به الدولة بين عامي ٣٣٢-٣٣٦هـ/٩٤٣-٩٤٧م، وخلال أقل من ستة أشهر، تمكن أبو يزيد من إخضاع معظم المدن الفاطمية في شمال افريقية[١].

وأمام سقوط المدن الفاطمية بيد الثائر، قام الخليفة القائم بتوزيع الجيش على ما تبقى من المدن لحمايتها، لكن هذه الخطوة أضعفت الجيش الفاطمي في مواجهة الثائر[٢]، فقد تمكن أبو يزيد من هزيمة فرق الجيش الفاطمي في كثير من المدن، في باجة[٣] (محرم سنة ٣٣٣هـ/٩٤٤م)[٤]، والقيروان (صفر من العام نفسه)[٥]، مما أدى إلى دخول العديد من القبائل في جيشه وخاصة بنو كملان الذين خلعوا طاعة الفاطميين[٦].

ولما كانت المهدية هدف أبي يزيد، فقد سارع القائم إلى تحصينها وتعزيزها بالعسكر[٧]، مما أفشل محاولات أبي يزيد في الاستيلاء عليها، رغم حصاره الشديد لها في جمادى الثانية من سنة ٣٣٣هـ/٩٤٤م[٨].

وفي ذي القعدة من ذلك العام قام الجيش الفاطمي بهجوم على أتباع أبي

---

(١) ادريس: تاريخ، ص٢٦٥-٢٧٣.

(٢) ادريس: تاريخ، ص٢٧٥-٢٧٧، دشراوي: الخلافة الفاطمية، ص٢٥٢.

(٣) باجة: مدينة من مدن افريقية تقع على جبل يسمى الشمس، وتمتاز بكثرة أنهارها وعيونها، مجهول: الاستبصار، ص١٦٠.

(٤) ابن الأثير: الكامل، ج٨، ص٤٢٣-٤٢٤، ابن خلدون: العبر، ج٤، ق١، ص٨٥، ادريس: تاريخ، ص٢٧٦-٢٧٧.

(٥) الفاسي: الأنيس المطرب، ص١٠٠، ابن الأثير: الكامل، ج٨، ص٤٢٤-٤٢٥، ادريس: تاريخ، ص٢٧٨-٢٨٨، سنوسي: زناتة، ص٢١١.

(٦) دشراوي: الخلافة الفاطمية، ص٢٥٧.

(٧) ادريس: تاريخ، ص٢٩٨، ٣٠٢، ٣٠٤.

(٨) الجوذري: أبو علي المنصور، (ت بعد ٣٨٦هـ/٩٦٦م): سيرة الأستاذ جوذر، تحقيق محمد كامل وزميله، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ت، ص٧٨-٨٠، (يشار إليه فيما بعد: الجوذري: سيرة جوذر)، ابن الأثير: الكامل، ج٨، ص٤٢٦-٤٣٠، ابن خلدون: العبر، ج٤، ق١، ص٨٧-٨٨، ادريس: تاريخ، ص٣٠٦-٣١٩، التجاني: رحلة، ص٣٢٥-٣٢٦، سنوسي: زناتة، ص٢١٤-٢١٧.

يزيد وألحق بهم عدة هزائم، إلا أن إمدادات القبائل لأبي يزيد مكنته من التغلب على الجيش الفاطمي، لكنه فشل في احتلال المهدية[١].

وفي ربيع الأول سنة ٣٣٤هـ/٩٤٥م استولى أبو يزيد على مدينتي تونس وباجة[٢]، فأرسل القائم فرقة من الجيش إليهما واستعادهما في ربيع الثاني من ذلك العام[٣]، فاستغل أبو يزيد خروج الجيش الفاطمي لاستعادة مدينتي تيجس وباغاية، وتمكن من احتلال باجة ثانية[٤] ثم توجه إلى سوسة[٥]، وحاصرها في رمضان سنة ٣٣٤هـ/٩٤٥م، في الوقت الذي مرض فيه الخليفة وتوفي[٦]، وقد أبقى خليفته المنصور وفاته سراً، حتى تمكن من إخماد الثورة، فبدأ المنصور عهده بفك الحصار عن سوسة، إذ أرسل إليها أسطولاً في شوال من ذلك العام، ألحق الهزيمة بجيش أبي يزيد واضطره إلى الانسحاب إلى القيروان[٧]، فتبعه المنصور وحاصره بها، واستطاع بالمدد القادم إليه من طرابلس، إلحاق الهزيمة بالثائر في موقعة المشاعل[٨] في محرم من العام التالي[٩]، وأمر ببناء مدينة جديدة في الموقع الذي نزل فيه حول القيروان سماها المنصورية، وأصبحت عاصمة الدولة في عهده[١٠].

---

(١) ابن الأثير: الكامل، ج٨، ص٤٣٠-٤٣١، ادريس: تاريخ، ص٣١٩-٣٢٣.

(٢) ادريس: تاريخ، ص٣٢٦-٣٣١.

(٣) ادريس: تاريخ، ص٣٣٣-٣٣٥.

(٤) ادريس: تاريخ، ص٣٣٥-٣٣٧.

(٥) سوسة: مدينة على سواحل افريقية (تونس)، تبعد عن سفاقس مسيرة يومان، ياقوت: معجم البلدان، ج٣، ص٢٨٢.

(٦) ابن الأثير: الكامل، ج٨، ص٤٣٤-٤٣٥، ادريس: تاريخ، ص٣٣٧-٣٣٨، سنوسي: زناتة، ص٢٢٤.

(٧) ابن الأثير: الكامل، ج٨، ص٤٣٥، ادريس: تاريخ، ص٣٥١-٣٥٤.

(٨) المشاعل: لم أجد تحديداً لها.

(٩) ادريس: تاريخ، ص٣٧٥-٣٨٣.

(١٠) الصفدي: خليل بن أيبك (ت٧٦٤هـ/١٣٦٣م): الوافي بالوفيات، ٢١ج، تحقيق ديدرنغ وآخرون، فيسبادن، ١٩٨٠م، ج٩، ص٢٠٣، (يشار إليه فيما بعد: الصفدي: الوافي بالوفيات)، ادريس: تاريخ، ص٣٨٦-٣٨٧.

وفي محرم سنة ٣٣٥هـ/٩٤٦م، تمكن المنصور من استعادة باجة وتونس[١]، وألحق بأبي يزيد هزيمة قوية في موقعة عين السودان[٢] في جمادى الأولى من ذلك العام[٣]، ثم ألحق به هزيمة أخرى بعد أيام في موقعة جبل عقار[٤] وطارده في الجبال[٥] إلى أن التقى به مجدداً قرب المسيلة[٦] وهزمه[٧]، ثم حاصره بقلعة كيانة[٨] في ذي القعدة حتى امتلكها وأُسر أبو يزيد[٩] حيث توفي الثائر بعد ذلك متأثراً بجراحه[١٠].

وكان على المنصور النظر في أوضاع المغرب الأقصى التي اضطربت أثناء انشغال الدولة بثورة أبي يزيد، بعد محاولة قادة الجيش الفاطمي الخارجين على السلطة، السيطرة على مدن المغرب الأقصى لصالح الأمويين في الأندلس، وخاصة في تاهرت ونواحيها، فخرج المنصور إلى تلك المناطق في صفر سنة ٣٣٦هـ/٩٤٧م إلا أن هروب القائد حميد بن يصل إلى الأندلس جعل المنصور يعود إلى المنصورية في جمادى الثانية من تلك السنة[١١].

---

(١) ادريس: تاريخ، ص٣٨٣-٣٨٥.

(٢) عين السودان: لم أجد تحديداً لها.

(٣) ادريس: تاريخ، ص٣٨٧-٣٩٥، Dachraoui: Al-Mansur Bi Allah, EI2, Vol (6) P. 434-435.

(٤) جبل عقار: لم أجد تحديداً له.

(٥) ابن خلدون: العبر، ج٤، ق١، ص٩١-٩٢، ادريس: تاريخ، ص٤٠٢-٤٠٦.

(٦) المسيلة: من مدن اقليم الزاب، تقع على نهر كبير يسمى بسهر، مجهول: الاستبصار، ص١٧١.

(٧) ابن خلدون: العبر، ج٤، ق١، ص٩٢، ادريس: تاريخ، ص٤٠٦-٤٠٩.

(٨) قلعة كيانة: من قلاع اقليم الزاب، لم أجد تحديداً واضحاً لها.

(٩) الصفدي: الوافي بالوفيات، ج٩، ص٢٠٣، الذهبي: عثمان بن قايماز (ت٧٤٨هـ/١٣٤٧م): سير أعلام النبلاء، ٢٥ج، تحقيق عدة باحثين، بيروت، ١٩٨٣م، ج١٥، ص١٥٧، (يشار إليه فيما بعد: الذهبي: سير).

(١٠) ابن الأبار: الحلة السيراء، ج٢، ص٣٨٨-٣٨٩، ابن خلكان: وفيات، ج١، ص٢٣٥، ابن الأثير: الكامل، ج٨، ص٤٤١، ادريس: تاريخ، ص٤٥١، مجهول: الاستبصار، ص٢٠٦.

(١١) ابن خلدون: العبر، ج٤، ق١، ص٩٣، ادريس: تاريخ، ص٤٦٣-٤٦٩.

وفي تلك الفترة وصلت المنصور أنباء قيام فضل بن مخلد نجل الثائر السابق، بالثورة في جبال أوراس وقسطيلية، فجد المنصور في قتاله، وخرج على رأس الجيش في شعبان سنة ٣٣٦هـ/٩٤٧م، فطارده وحاصر أتباعه في حصن ماواس وفتحه عنوة، ثم توجه إلى المهدية في رمضان من ذلك العام[١]، وهناك أعلن عن وفاة والده وتوليه الخلافة[٢]، ثم جاءه الخبر بقتل الثائر الجديد في مدينة باغاية في ذي القعدة من تلك السنة[٣].

أما صقلية فقد عاشت هي الأخرى، حالة من الفوضى نتجت عن ضعف الولاة وعجزهم عن ضبط أمور الجزيرة وانشغال الدولة بثورات الخارجين عليها، فقد ثار أهلها على واليهم عطاف الأزدي[٤] سنة ٣٣٥هـ/٩٤٦م، وقتلوا عدداً كبيراً من جنوده ورفضوا دفع الجزية المقررة[٥]، فسارع المنصور إلى تعيين الحسن بن علي بن أبي الحسن الكلبي[٦] والياً على الجزيرة وأمره بضبط أمورها[٧] فأخضع نصارى الجزيرة وجبى منهم الجزية المتأخرة[٨].

وقد بلغت الدولة الفاطمية أوج قوتها في المغرب في عهد المعز لدين الله الذي حرص على توسيع دولته تجاه المغرب الأقصى ومحاربة الدولة الأموية في الأندلس، فبدأ عهده بإعادة السيطرة على المغرب الأوسط، وإخضاع القبائل

---

(١) ادريس: تاريخ، ص٤٧٠-٤٨٠، سنوسي: زناتة، ص٢٣٩-٢٤٠.

(٢) ادريس: تاريخ، ص٤٨٢، وانظر: الجوذري: سيرة جوذر، ص٨٠ وما بعدها.

(٣) ادريس: تاريخ، ص٤٨٧-٤٨٨.

(٤) عطاف الأزدي: لم أجد له ترجمة.

(٥) الجوذري: سيرة جوذر، ص٧٠.

(٦) الحسن بن علي بن أبي الحسين الكلبي: أول الأمراء الكلبيين على صقلية عينه المنصور على الجزيرة سنة ٣٣٦هـ/٩٤٦م، انظر: ابن الأثير: الكامل، ج٨، ص٤٧١.

(٧) الجوذري: سيرة جوذر، ص٧١-٧٢، اماري: المكتبة العربية، ص٤٠٧، عزيز: تاريخ صقلية، ص٣٤-٣٥.

(٨) دشراوي: الخلافة الفاطمية، ص٣٢١.

المتمردة في الحملة التي قادها بنفسه في أوائل سنة ٣٤٢هـ/٩٥٣م بمساعدة قبيلة صنهاجة[١]، كما قام بتكليف ابن الكلبي، والي صقلية بتجهيز أسطول الجزيرة للقيام بحملة بحرية على شواطئ الأندلس سنة ٣٤٤هـ/٩٥٥م اشتركت فيها أساطيل المهدية، حيث هاجمت ميناء المرية[٢]، ودمرت مراكب الأسطول الأندلسي الراسية في الميناء ثم عاد الأسطول الفاطمي محملاً بالغنائم والأسرى[٣].

وقد رد عبد الرحمن الناصر الأموي على تلك الغارة، بإرسال الأسطول الأموي لمهاجمة سواحل افريقية ولكنه فشل بسبب مقاومة المدن الفاطمية له، فكرر هجومه في العام التالي. وتمكن من تخريب ضواحي مدينة سوسة، وبعض المرافئ الأخرى[٤]، وقد رفض الخليفة المعز اقتراح الناصر بعقد صلح بين الطرفين[٥]، فلجأ الناصر إلى التحالف مع الامبراطور البيزنطي قسطنطين السابع من أجل إشغال صقلية بالحروب مع بيزنطة[٦].

وفي عام ٣٤٧هـ/٩٥٨م أرسل المعز حملة عسكرية كبيرة إلى المغرب الأقصى، وعهد بقيادتها إلى القائد جوهر وقد تمكن جوهر من إرجاع السلطة

---

(١) ادريس: تاريخ، ص٥٤٨-٥٤٩، دشراوي: الخلافة الفاطمية، ص٣٣٢-٣٣٥.

(٢) المرية: مدينة في الأندلس من أعمال البيرة فيها مرفأ للمراكب والسفن، ياقوت: معجم البلدان، ج٥، ص١١٩.

(٣) النعمان: المجالس والمسايرات، تحقيق الحبيب الفقي وآخرين، تونس، ١٩٧٨م، ص١٦٤-١٦٥، (يشار إليه فيما بعد: النعمان: المجالس)، ادريس: تاريخ، ص٥٨٢-٥٨٦، عزيز: تاريخ صقلية، ص٣٧، حسن ابراهيم: المعز لدين الله، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦٣م، ص٣٩-٤١، (يشار إليه فيما بعد: حسن: المعز لدين الله).

(٤) النعمان: المجالس، ص١٦٧، ادريس: تاريخ، ص٥٨٦، أماري: المكتبة العربية، ص٤١١-٤١٢.

(٥) النعمان: المجالس، ص١٦٧-١٦٩، ادريس: تاريخ، ص٥٩٨-٦٠١.

(٦) دشراوي: الخلافة الفاطمية، ص٣٣٩.

الفاطمية على المغرب الأوسط[١]، ثم انطلق إلى فاس لإخضاع صاحبها أحمد بن بكر بن سهل الجذامي، فحاصرها لكنه لم يتمكن من فتحها[٢]، فتركها متوجهاً إلى سجلماسة، وقضى على نفوذ أسرة بني مدرار، وأسر محمد بن واسول الذي كان قد ادعى الخلافة وتلقب بالشاكر لله[٣]، وتابع جوهر مسيره حتى وصل إلى ساحل المحيط الأطلسي[٤]، ثم عاد إلى فاس وافتتحها في رمضان من العام التالي وعاد إلى افريقية[٥].

عادت الأوضاع إلى الاضطراب في المغرب الأوسط، ولم يقم المعز بإرسال حملة إليها، لانشغاله بالحرب مع بيزنطة، وإرسال الجيش الفاطمي إلى مصر، واكتفى بإخضاع تمرد قبيلة زناتة في المغرب الأوسط بمساعدة قبيلة صنهاجة بين عامي ٣٥٨-٣٦٠هـ/٩٦٨-٩٧٠م[٦]، كما استعان المعز بصنهاجة أيضاً في إخماد ثورة بني حمدون في المسيلة عام ٣٦٠هـ/٩٧٠م، لكنهم فشلوا في ذلك بسبب مقتل زعيمهم زيري بن مناد، مما دفع المعز إلى تكليف بلكين بن زيري بالإغارة على قبائل زناتة في تلك النواحي[٧].

---

(١) النعمان: المجالس، ص٢١٧، الأنطاكي: تاريخ، ص٨١-٨٢، ابن الأثير: الكامل، ج٨، ص٥٢٤، ابن خلدون: العبر، ج٤، ق١، ص٩٧.

(٢) المقريزي: المقفى، ج٣، ص٨٥-٨٦، الفاسي: الأنيس المطرب، ص١٠٠.

(٣) النعمان: المجالس، ص٣٨٩، ابن الأثير: الكامل، ج٨، ص٥٢٤، الذهبي: سير، ج١٥، ص١٦٠-١٦١.

(٤) ابن الأثير: الكامل، ج٨، ص٥٢٥، الذهبي: سير، ج١٥، ص١٦٠-١٦١، المقريزي: اتعاظ، ج١، ص١٣٥، المقفى، ج٣، ص٨٦.

(٥) المقريزي: المقفى، ج٣، ص٨٦، .Mones (H): Djawhar Al-sikilli, EI2 (2), P. 494-495.

(٦) الجوذري: سيرة جوذر، ص١٠٩، دشراوي: الخلافة الفاطمية، ص٣٥٢، الهادي روجي: الدولة الصنهاجية، ٢ج، ترجمة حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٢م، ج١، ص٦٢-٦٣، (يشار إليه فيما بعد: الهادي: الدولة الصنهاجية).

(٧) دشراوي: الخلافة الفاطمية، ص٣٥٣-٣٥٦، سنوسي: زناتة، ص٢٨٠-٢٩٠.

أما على صعيد العلاقات مع بيزنطة، فبسبب التقارب البيزنطي – الأموي، نقض البيزنطيون هدنتهم مع الفاطميين، وقاموا بسلسلة من الغارات على مدن جزيرة صقلية في سنة ٣٤٦هـ/٩٥٧م، تكبدت فيها قوات والي الجزيرة الحسن بن علي الكلبي خسائر فادحة، إلا أنه تمكن من منع البيزنطيين من الإغارة على سواحل افريقية[١]، مما دفع البيزنطيين إلى تجديد الصلح مع الفاطميين، وقد امتنع المعز عن عقد هدنة دائمة مع بيزنطة، وأسفر الأمر عن عقد معاهدة بين الطرفين لمدة خمس سنوات في ذلك العام[٢]، وقد اضطر المعز إلى نقض الهدنة في سنة ٣٤٩هـ/٩٦٠م قبل انتهائها، بعد قيام البيزنطيين بغزو جزيرة قريطش (كريت) واحتلالها[٣]، ولم يقم المعز باستعادة الجزيرة لانشغاله بالإعداد لفتح مصر وخروج الجيش إلى المغرب الأقصى[٤].

وفي سنة ٣٥٠هـ/٩٦١م، تجدد النشاط العسكري بين الفاطميين والبيزنطيين في جزيرة صقلية، ففي تلك السنة كلف المعز والي الجزيرة أحمد بن الحسن بن علي الكلبي بمهاجمة بعض المدن البيزنطية في شرق الجزيرة، فحاصر طبرمين، واستولى عليها في العام التالي، وأطلق عليها اسم "المعزية"[٥]، كما قام القائد الفاطمي الحسن بن عمار بحصار مدينة رمطة سنة ٣٥٢هـ/٩٦٣م التي استنجد أهلها بملك الروم "نقفور"، الذي أرسل إليها أسطولاً ضخماً، في حين أرسل المعز امدادات عسكرية بقيادة والي الجزيرة

(١) النعمان: المجالس، ص١٧٦، ١٨٠.

(٢) المصدر نفسه، ص٣٦٧–٣٦٩، ادريس: تاريخ، ص٥٩٠–٥٩٥.

(٣) المصدر نفسه، ص٤٤٢.

(٤) المصدر نفسه، ص٤٤٠–٤٤٧، ادريس: تاريخ، ص٦٤٩–٦٥٣.

(٥) الجوذري: سيرة جوذر، ص١١٦–١١٧، ابن الأثير: الكامل، ج٨، ص٥٤٣، ابن خلدون: العبر، ج٤، ق١، ص٩٨، ادريس: تاريخ، ص٦٣٧، أماري: المكتبة العربية، ص٤٣٨، حسن: المعز لدين الله، ص٥٤–٥٥.

السابق الحسن بن علي، وقد خاض الجيش الفاطمي قتالاً مستميتاً ضد جيش بيزنطة أسفر عن هزيمة البيزنطيين، ومقتل قادتهم في الموقعة التي عرفت باسم "المجاز"، ثم تمكن جيش المعز من فتح رمطة عنوة، وفرض الجزية على سكان قلورية[1]، وقد أدت هذه الهزيمة إلى اعتراف نقفور بقوة الفاطميين، وطلب عقد صلح ليتفرغ للقتال في بلاد الشام والبلغار[2].

وجه المعز أنظاره إلى فتح مصر، بعد أن وصلت الدولة إلى أوج عزها، وأصبح الجيش الفاطمي قوياً، بعد أن خاض العديد من المعارك في صقلية والمغرب الأقصى، وقد شجعه على فتح مصر ضعف الدولة العباسية وولاتها الإخشيديين خاصة بعد وفاة محمد بن طغج الإخشيد، واضطراب الوضع في مصر الناتج عن قصور النيل وحدوث الجفاف[3]، إضافة إلى ميل كبار رجال الدولة في مصر إلى الفاطميين واتصالهم بالمعز لفتح مصر الناتج عن نشاط الدعوة الاسماعيلية في مصر[4].

وقد اهتم المعز اهتماماً بالغاً بالحملة التي جهزها إلى مصر، فبدأ بجمع الجنود من كتامة وغيرهم ابتداءً من عام ٣٥٥هـ/٩٦٥م، كما كلف قائده جوهر بجمع الأموال[5]، وأوعز إلى حسين بن يعقوب متولي البحر، بصناعة السفن في

---

(١) ابن الأثير: الكامل، ج٨، ص٥٥٥-٥٥٨، ابن كثير: أبو الفداء اسماعيل (ت٧٧٤هـ/١٣٧٢م): البداية والنهاية، ١٤ج، دار المعارف، بيروت، ١٩٩١م، ج١١، ص٢٥٣-٢٥٤، (يشار إليه فيما بعد: ابن كثير: البداية).

(٢) دشراوي: الخلافة الفاطمية، ص٣٧١.

(٣) ابن الأثير: الكامل، ج٨، ص٥٩٠، ابن كثير: البداية، ج١١، ص٢٩٦، ادريس: تاريخ، ص٦٦٣-٦٦٤، السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن، (ت٩١١هـ/١٥٠٥م): تاريخ الخلفاء، بيروت، ١٩٨٦م، ص٣٢١-٣٢٢، (يشار إليه فيما بعد: السيوطي: تاريخ).

(٤) دشراوي: الخلافة الفاطمية، ص٣٧٧، Yaacov: The Fatimids.

(٥) الجوذري: سيرة جوذر، ص٩٢، ١١٩، المقريزي: اتعاظ، ج١، ص١٣٨-١٣٩، والمقفى، ج٣، ص٨٧.

المهدية، حيث جلبت الأخشاب من صقلية لهذا الغرض[١].

وفي شتاء عام ٣٥٨هـ/٩٦٨م، جمع جوهر جنوده البالغ تعدادهم ١٠٠,٠٠٠ في رقادة مع الأموال التي جمعها[٢]، وكان هذا الجيش كبيراً للغاية، إذ يذكر المقريزي أنه لم تطأ أرض مصر بعد جيش الإسكندر أكثر عدداً من جيش المعز هذا[٣].

انطلق جيش جوهر في ربيع الأول سنة ٣٥٨هـ/٩٦٨م، بعد أن ودعه المعز في موكب حافل[٤]، ووصل إلى مصر في شعبان من ذلك العام[٥]، وكان رجال الدولة في مصر قد اتفقوا مع الوزير جعفر بن الفرات[٦] على إرسال وفد إلى القائد جوهر لطلب الأمان[٧]، فكتب لهم جوهر أماناً تعهد فيه بنشر العدل وإطلاق الحريات، وإجراء الإصلاح في البلاد[٨]، إلا أن الأمان الذي أُعطي لأهل مصر لم يمنع بقايا جيش مصر من الإخشيديين والكافورية من القيام بمعارضة

---

(١) الجوذري: سيرة جوذر، ص٩٨، دشراوي: الخلافة الفاطمية، ص٣٧٨-٣٧٩.

(٢) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج١، ص٣٧٧، ادريس: تاريخ، ص٦٦٦-٦٦٨.

(٣) المقريزي: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ٢ج، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٩٨٢م، ج١، ص٩٤، (يشار إليه فيما بعد: المقريزي: الخطط).

(٤) المقريزي: المقفى، ج٣، ص٨٨، ادريس: تاريخ، ص٦٦٧.

(٥) الأنطاكي: تاريخ، ص١٣٠، ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي (ت٥٩٧هـ/١٢٠٠م) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ١٨ج، تحقيق محمد عطا وزميله، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢م، ج١٤، ص١٩٧، (يشار إليه فيما بعد: ابن الجوزي: المنتظم)، المقريزي: المقفى، ج٣، ص٨٨-٨٩.

(٦) جعفر بن الفرات: أبو الفضل جعفر بن الفضل بن الفرات، وزير الإخشيديين أيام إمارة كافور وخلفه أحمد بن علي بن الإخشيد، توفي سنة ٣٩١هـ/١٠٠٠م، ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج١، ص٣٤٦-٣٥٠.

(٧) المقريزي: اتعاظ، ج١، ص١٤٧-١٤٨، علي ابراهيم حسن: تاريخ جوهر الصقلي، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ١٩٣٣م، ص٣٩-٤٠، (يشار إليه فيما بعد: علي: تاريخ جوهر).

(٨) المقريزي: اتعاظ، ج١، ص١٤٦-١٥٣، المقفى، ج٣، ص٩٠-٩٤.

الجيش، ومنعه من دخول الفسطاط، فكلف جوهر، القائد جعفر بن فلاح –أحد قادة كتامة البارزين– بقتالهم وتمكن من هزيمتهم ففروا إلى الشام في شعبان من ذلك العام[١]، وأعاد جوهر الأمان بناءً على طلب أهالي مصر[٢].

دخل الجيش الفاطمي إلى الشمال من مدينة الفسطاط، وهناك وضع جوهر أساس المدينة الجديدة "القاهرة"، واختط قصر الخلافة وسور المدينة[٣]، وقام بعد ذلك بسلسلة من التعيينات والاصلاحات وأعاد الأمور إلى نصابها في البلاد[٤].

(٢) بُنية وتنظيم الجيش الفاطمي في المغرب:

(أ) البُنية البشرية:

اعتمد الجيش الفاطمي في المغرب على عناصر بشرية من سكان البلاد المحليين من البربر بالدرجة الأولى، إضافة إلى عناصر أخرى.

(١) البربر:

تعتبر كلمة "بربر" أقدم مدلول شامل لسكان شمال افريقية وبلاد المغرب[٥]، وقد اختلف المؤرخون والنسابة في تحديد أصل هذه الكلمة بين تفسير لغوي[٦]، وتفسير حضاري وتفسير بشري، وأكثر الآراء القديمة شيوعاً تُرجع الكلمة إلى

---

(١) المصادر نفسها، ج١، ص١٥٤–١٥٦، ج٣، ص٩٤–٩٧.

(٢) المصادر نفسها، ج١، ص١٥٧، ج٣، ص٩٧–٩٩.

(٣) المقريزي: اتعاظ، ج١، ص١٥٧–١٥٨، Mones: Djawhar, EI2, Vol, (2), P. 495.

(٤) المقريزي: اتعاظ، ج١، ص١٦٥–١٦٨.

(٥) لقبال: دور كتامة، ص٤٨.

(٦) الوزان: وصف افريقيا، ج١، ص٣٤، ناقش الوزان أصل الكلمة لغوياً بين معنى "همس" ومعنى الأصوات غير المفهومة التي أطلقت على سكان شمال افريقيا، أو تكرار للكلمة "بر" بمعنى صحراء.

أجداد البربر القدماء، فهم إما من أبناء بربر بن كسلوجيم، أو بربر بن مازيغ، أو بربر بن تملا(١)، أما الآراء الحديثة فأكثرها شيوعاً الرأي القائل بأن الكلمة جاءت من الكلمة اليونانية Barbaros، أو Barbaroi، واللاتينية Barbari أو Barbarus، وهي الكلمات التي أطلقها الإغريق واللاتين على الغرباء عن حضارتهم بما فيهم سكان بلاد المغرب، الذين قاوموا الحكم الروماني والبيزنطي، وعُرّبت الكلمة إلى بربر أو برابر(٢).

وقد قَسّم المؤرخون والنسابة البربر إلى مجموعتين كبيرتين تندرج تحتهما سائر قبائل البربر:

أ- بربر البرانس: وهم -في عُرف النسابين- بنو برنس بن بربر، وينتشرون في معظم بلاد المغرب في مناطق زراعية ومدنية متحضرة(٣)، وتضم هذه المجموعة سبعة قبائل كبرى هي (اوربة، صِنْهاجة، كُتامة، مَصمودة، إزدواجة، عَجيسة، أريطة)(٤).

---

(١) لقبال: دور كتامة، ص٥١.

(٢) سيد عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب الكبير في العصر الإسلامي، (دار النهضة العربية، بيروت ١٩٨١م)، ج٢، ص١٣٣، (يشار إليه فيما بعد: سالم: تاريخ المغرب)، لقبال: دور كتامة، ص٥١-٥٢.

(٣) سالم: تاريخ المغرب، ج٢، ص١٣٨، ج.س. كولان: مادة (برانس)، في دائرة المعارف الإسلامية، (الترجمة العربية)، ج٦، ص٥٥٩.

(٤) ابن حزم: علي بن محمد بن سعيد (ت٤٥٦هـ/١٠٦٤م): جمهرة أنساب العرب، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٥م، ص٤٩٥، (يشار إليه فيما بعد: ابن حزم: جمهرة)، القلقشندي: أحمد بن علي (ت٨٢١هـ/١٤١٨م): قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان، تحقيق ابراهيم الأبياري، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ١٩٦٣م، ص١٦٧، (يشار إليه فيما بعد: القلقشندي: قلائد الجمان)، السلاوي: الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، الدار البيضاء، ١٩٥٤م، ج١، ص٦٥، (يشار إليه فيما بعد: السلاوي: الاستقصا)، سالم: تاريخ المغرب، ج٢، ص١٣٧، لقبال: دور كتامة، ص٦٧.

ب- بربر البتر: وهم بنو ماذغيس بن بربر الملقب بالأبتر، وهم قبائل بدوية غير متحضرة[1]، وتضم هذه المجموعة أربعة قبائل رئيسة هي: ضَريسة، نَفوسة، إداسة، لُواتة، وتضم ضَريسة كل من مِكناسة وزِناتة[2].

ويهمنا من القبائل السابقة ما اشترك منها في الجيش الفاطمي في المغرب، وهي قبائل: كُتامة، صِنهاجة، مَصمودة.

❖ كُتامة:

تتكون كُتامة من عدة قبائل مستقرة تنتمي إلى مجموعة البرانس، وقد اختلفت الآراء في سبب التسمية، فالبعض ينسبها إلى الجد الأعلى "كُتام" أو "كُتم"[3]، والبعض يُرجع التسمية إلى كلمة "الكِتمان" التي أشار إليها الداعي في أحد أقواله المنسوبة للمهدي حين بَيّن لأفراد هذه القبيلة بأن اسمها مشتق من الكتمان[4]، ومن الآراء أيضاً أن اسم كتامة جاء من احدى الكلمتين اللاتينيتين: ucutamii أو ucutamani، التي أطلقت على مجموعة قبائل سكنت مضارب هذه القبيلة[5].

ترجع جميع بطون كتامة إلى فرعين أساسيين هما:

١. غَرسِن بن كُتام.

٢. يَسودة بن كتام[6].

---

(١) القلقشندي: قلائد الجمان، ص١٧٢، سالم: تاريخ المغرب، ج٢، ص١٣٧.

(٢) القلقشندي: قلائد الجمان، ص١٧٢-١٧٧، ج.س. كولان: مادة "البتر"، في دائرة المعارف الإسلامية، (الترجمة العربية)، ج٦، ص١٩٧-١٩٨.

(٣) ابن خلدون: العبر، ج٦، ص٣٠١، لقبال: دور كتامة، ص٩٢.

(٤) ابن الأثير: الكامل، ج٨، ص٣٣، لقبال: دور كتامة، ص٩٣.

(٥) لقبال: دور كتامة، ص٩٣.

(٦) ابن خلدون: العبر، ج٦، ص٣٠١.

ويتفرع عن غَرسِن البطون التالية:

أ. بنو يَناوة: وتضم قبائل جَيْملة ومَسالته ولهيصة.

ب. بنو يَنطاس: وتضم قبائل إجانة، أوماس، غُسمان.

ج. بنو إيان: وتضم قبيلة مَلوسة أو ملوتة التي تتفرع إلى عدة قبائل[١].

وقد أضاف ابن خلدون لهذا الفرع قبائل مثل (مَاوطن، معاذ، قلان)[٢].

أما فرع يسودة فيتفرع عنه قبائل مثل: مثوسة، دنهاجة، فلوسة، ووريسن[٣].

وذكر ابن خلدون عدة قبائل ترجع إلى كتامة، دون أن يرجعها إلى الفرعين السابقين وهي: (بني يَستين، بني قَنْسيلة، هِشتيوة، مَصالة، زَواوة)[٤].

تمتد منطقة كتامة –ذات الصبغة الجبلية- شمالاً على ساحل البحر المتوسط من مرسى الخرز إلى ما وراء مرسى تدلس، وجنوباً بمحاذاة سلسلة جبال الأوراس وجبال الحضنة الشرقية، وشرقاً من مرسى الخرز عبر جبال النمامشة باتجاه الجنوب، وغرباً يبدأ الحد على الساحل بالقرب من دلس بمحاذاة جبال تيتري، وبين هذه الحدود تقع موانئ (القالة، عنابة، القل، سكيكدة، جيجل، بجاية، دلس) ومدن (قالمة، سوق أهراس، سطيف، ايكجان، ميلة، قسنطينة) إضافةً إلى عشرات القرى الجبلية والسهلية والقصور المنتشرة هنا وهناك[٥].

---

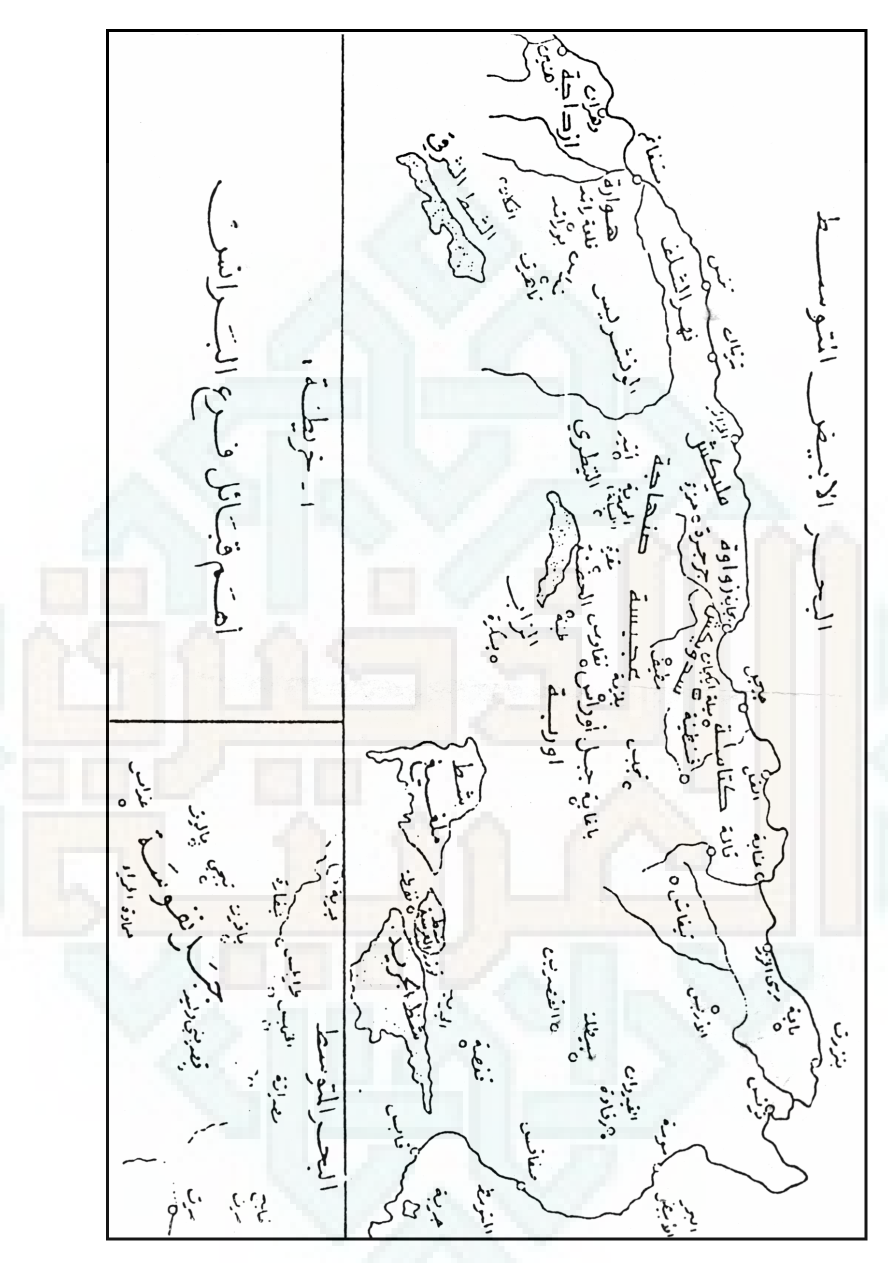
(١) لقبال: دور كتامة، ص١٠٦–١١٠.

(٢) ابن خلدون: العبر، ج٦، ص٣٠٢.

(٣) لقبال: دور كتامة، ص١١١–١١٢.

(٤) ابن خلدون: العبر، ج٦، ص٣٠٢.

(٥) لقبال: دور كتامة، ص٩٨–٩٩، R.Basset: Kutama: EI2, Vol (5), P. 540، وانظر الخريطة المرفقة في الصفحة التالية للتعرف على مواقع هذه المدن والموانئ.



أهم قبائل فرع البرانس.

المرجع: موسى لقبال: دور كتامة في تاريخ الدولة الفاطمية.

وقد شكلت قبيلة كتامة أساس البنية البشرية للجيش الفاطمي في المغرب، إذ اقتنع الداعي أبي عبد الله بهذه القبيلة التي لم تخضع لأي سلطة في ذلك الوقت "حتى صَحّ عنده أن ليس في قبائل افريقية أكثر عدداً ولا أشد شوكة، ولا أصعب مراماً على السلطان من كتامة"[1]، وقد سأل وفد كتامة الذي صحبه من الحج إلى المغرب عن عددهم فأجيب: "ما أحصى ذلك أحد منا ولا من غيرنا – فيما علمناه- قال: فعندكم الخيل والسلاح؟ قالوا: ذلك أكثر كسبنا، وبه نفخر وإياه نعتد لحاجتنا إليه لما بيننا من حروبنا"[2]، وهذا ما أراده الداعي: قبيلة لا تنتمي لسلطة سياسية، كثيرة العدد، مهتمة بالحروب والقتال.

وقد شكل أفراد بنو سكتان وجيملة –الذين نزل الداعي بينهم- النواة الأولى لجيش الداعي وقد عُرفوا باسم "الأولياء" للدلالة على نصرتهم للداعي، والذي استطاع بهم هزيمة بعض قبائل كتامة التي عارضت الدعوة الجديدة في البداية، وتآمرت عليه لإخراجه من بينهم مثل مسالتة ولهيصة[3]، مما أدى إلى دخول سائر قبائل كتامة الأخرى في الدعوة "واستولى أبو عبد الله على عامة كتامة وانتشرت الدعاة فيها من قبله، ولم يبقَ إلا من دخل في دعوته راغباً أو راهباً، وذلك بعد أن كانت لأبي عبد الله وقائع كثيرة، وأخبار مشهودة قمع بها المعتدين وأدخل الناس طوعاً وكرهاً في الدين"[4].

واطمأن الداعي إلى فعالية أوليائه في القتال، وخاصة بعد أن أبلى هؤلاء بلاءً حسناً في قتال قبيلة مسالتة المناهضة للدعوة، وتمكنهم من فتح قلعة "وِشنوك"[5]

---

(١) ابن عذاري: البيان المغرب، ج١، ص١٦٨.

(٢) النعمان: افتتاح الدعوة، ص٦٦.

(٣) النعمان: افتاح الدعوة، ص٩٩–١١٧، دشراوي: الخلافة الفاطمية، ص٠٤٥.

(٤) ادريس: تاريخ، ص١٠٦.

(٥) لم أجد تحديداً لهذه القلعة.

المنيعة بعد حصارهم الشديد لها[1]، وأصبح هذا الجيش قوة الداعي التي تمكن من خلالها إسقاط المدن والحصون المجاورة لمقره في تازروت[2].

أسند الداعي قيادة كتامة إلى ثلاث من أبرز شخصيات كتامة القتالية وهم: أبو الميمون عروبة من قبيلة ملوزة، والقائد أبو زاكي تمام من قبيلة إجانة، وأبو مديني بن فروخ من قبيلة لهيصة[3]، وخلال السنوات التي خاض فيها الجيش المعارك ضد الأغالبة، ازدادت أعداد كتامة والعناصر الأخرى التي انضمت إلى الجيش، بحيث نسمع أن اللقاء الأخير مع الأغالبة كان جيش الداعي فيه قد بلغ تعداده ٢٠٠ ألف مقاتل[4].

وعندما بويع المهدي بالخلافة، عرف لكتامة فضلهم في إقامة الدعوة وإسقاط دولة الأغالبة وتخليصه من سجن سجلماسة، فحين عُرضت على المهدي جواري الأمير الأغلبي الأخير فرق كثيراً منها على قادة كتامة وكبار رجالاتها اعترافاً بفضلهم، كما عَيّن منهم القضاة والدعاة وقادة الجند على سائر ما استولى عليه الداعي من بلاد افريقية[5].

وإظهاراً لأبهة الدولة الجديدة، أمر المهدي رجال كتامة بالتجمل والتزين في كافة مظاهر حياتهم، مما أفسد روحهم القتالية تدريجياً[6]، وقد تنبه الداعي إلى خطورة هذا الاتجاه على تماسك هذه الطبقة العسكرية، فقال المهدي: "يا مولانا إن كتامة قوم قد قومتهم بتقويم، واجريتهم على تربيتهم وتعليمهم، وتم لي منهم بذلك ما

---

(١) ادريس: تاريخ، ص١٠٥-١٠٦.

(٢) ادريس: تاريخ، ص١٠٨-١٤٠.

(٣) المقريزي: اتعاظ، ج١، ص٦٨، مجهول: الاستبصار، ص٢٠٥، لقبال: دور كتامة، ص٤٤٣-٤٤٧.

(٤) ادريس: تاريخ، ص١٣١-١٣٣.

(٥) النعمان: افتتاح، ص٢٥٦، ابن عذاري: البيان المغرب، ج١، ص١٥٣-١٥٥، ادريس: تاريخ، ص١٧٦، لقبال: دور كتامة، ص٤٣٤.

(٦) ادريس: تاريخ، ص١٧٦.

أردت، وبلغت بذلك منهم ما قصدت.. وهذا الذي فعلته أنت بهم من إعطائهم الأموال وتوليتهم الأعمال، وما أمرتهم به من اللباس، والحلي فساد لهم للخروج من عاداتهم"[1]، وقد هيأ هذا السبب مع أسباب أخرى، الثورة على المهدي، فقد تجاهل المهدي قلعة ايكجان "مقر الدعوة" وأخذ الأموال المودعة فيها، ولم يُسند للداعي وظيفة هامة كداعٍ للدعاة أو قاضياً أو قائداً عاماً للجيش أو أي وظيفة أخرى[2].

وقد أدت ثورة الداعي وأخيه وكبار قادة كتامة ضد المهدي[3] إلى قيام الأخير بتصفية المتآمرين عليه بما فيهم الداعي[4]، وتلا ذلك التنكيل بكل من استاء من قتل الداعي من وجوه كتامة كما أخمد ثورات كتامة في مختلف المناطق[5]. وأدت هذه التصفية إلى تراجع مكانة كتامة القيادية للجيش وظهور قيادات عسكرية من عرب افريقية والصقالبة وقبيلة مكناسة البترية[6].

وفي عهد القائم لم يكن مستوى كتامة العسكري جيداً كما كان أيام الداعي، فطوال عهد القائم لم يستطع الجيش الفاطمي إخماد ثورة أبي يزيد على الرغم من كثرة المعارك التي خاضها الجيش ضد قوات الثائر بين عامي ٣٣٢-٣٣٤هـ/٩٤٣-٩٤٥م، ويعود تدني المستوى العسكري لكتامة إلى فقدان القادة البارزين، وبالتالي حاربت قبيلة كتامة دون خطط منظمة إضافة إلى تقاعس القائم وعدم جديته في القتال بسبب النبوءات التي تحدثت عن انتهاء

---

(١) لقبال: دور كتامة، ص٤٣٥.

(٢) لقبال: دور كتامة، ص٤٣٧.

(٣) النعمان: افتتاح ص٢٤٧ - ٢٦٧، ابن عذاري: البيان المغرب، ج١، ص١٦٤- ١٦٥، إدريس: تاريخ ص١٨٠-١٨٦، المقريزي: المقفى، ج٣، ص٤٩١-٤٩٣.

(٤) النعمان: افتتاح، ص٢٦٤-٢٦٧، ادريس: تاريخ، ص١٨٦-١٨٨، ابن الأثير: الكامل، ج٨، ص٥٠-٥٣، المقريزي: المقفى، ج٤، ص٥٦٠-٥٦١.

(٥) ابن عذاري: البيان المغرب، ج١، ص١٦٦-١٦٩، ابن الأثير: الكامل، ج٨، ص٦٦، الأنطاكي: تاريخ، ص٦٨، ادريس: تاريخ، ص١٩٠-١٩٢.

(٦) لقبال: دور كتامة، ص٤٤٦.

الثورة في عهد المنصور[١].

ولما كان المنصور جاداً في قتال الثائر، فقد أدرك أهمية كتامة عسكرياً، فاستنفرهم للقتال[٢]، ففي ذي القعدة سنة ٣٣٤هـ/٩٤٥م، أرسل إليهم كتاباً يلومهم فيه على تقاعسهم عن القتال ومما جاء فيه: "..وقد تتابعت إليكم معاشر كتامة كتبنا ورسلنا تحضكم على ما فيه رضى سيدكم ومولاكم ومولانا، أمير المؤمنين المقرون رضاه برضى رب العالمين، فتربصتم وتثاقلتم إلى الأرض، ورضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة، وبالعاجلة من الآجلة... وقد أعرضتم عن الجهاد الذي أمركم به الله صفحا، وزهدتم في الثواب"[٣].

وقد استطاع الجيش الفاطمي بفضل بلاء كتامة في القتال، أن يخمد ثورة أبي يزيد الخطيرة، مما جعل المنصور يُثني عليهم ثناءً كبيراً في الخطبة التي أعلن فيها وفاة أبيه القائم، وانتهاء الثورة: "يا أهل دعوتنا، يا أنصار دولتنا، يا كتامة، احمدوا الله واشكروه على ما خصكم به من نعمته وجسيم منته وفضلكم به على كافة الخلق في غرب وشرق، بدأكم بالنعمة العظمى ثم شفعكم بالمنة الكبرى... اللهم إني أصبحت راضياً عن كتامة لاعتصامهم بحبلك وصبرهم على البأساء والضراء في جنبك، تعبداً لنا واعترافاً بفضلنا، وأداء لما افترض الله على العباد لنا وتوسلاً إليك بطاعتنا، اللهم فارض عنهم وضاعف حسناتهم وامح سيئاتهم، واحشرهم في زمرة نبيك الذي دانوا به، ووليك الذي والوه، وأتممها عليهم، وأكمل حسناتك إليهم، وخلد العز في أعقابهم واجزل ثوابهم، واهدهم وطهّر قلوبهم، إنك سميع الدعاء قريب مجيب"[٤].

وازدادت النظرة إلى كتامة سُمواً في عهد المعز لدين الله، الذي أطرى كتامة

---

(١) انظر الحديث عن ثورة أبي يزيد فيما سبق.

(٢) الصنهاجي: أخبار ملوك أبي عبيد، ص٤٠.

(٣) ادريس: تاريخ، ص٣٨٣.

(٤) الجوذري: سيرة جوذر، ص٥٩-٦٠، ادريس: تاريخ، ص٤٨٥-٤٨٦.

في مواقف كثيرة وأشاد بفضلهم على الدعوة[1]، فقد خاطبهم بالأولياء والأنصار عندما دعا لهم بالخير: "واخصص أولياء دولتنا وأنصار دعوتنا المجاهدين الصابرين... بما استوجبوه بطاعتك وقضاء فروضك وموالاة أوليائك ومعاداة أعدائك"[2]. وفي أحد مجالسه فضّل المعز كتامة على الصقالبة في قتال أبي يزيد الثائر، وما تلا ذلك من أحداث: "... فهؤلاء (كتامة) أتونا طائعين وبذلوا لنا أنفسهم راغبين، ومضى على ذلك أسلافهم وثبت عليه أخلافهم للسلف منا للخلف قرناً فقرناً وجيلاً فجيلاً، والله ما وفت أمة من الأمم لنبي من الأنبياء ولا لإمام من الأئمة، ولا لملك من ملوك الدنيا، ولا وفى لها وفاءهم لنا ووفاءنا لهم..."[3].

وعندما أعدّ المعز حملة كبيرة إلى نواحي المغرب الأقصى بقيادة جوهر سنة ٣٤٧هـ/٩٥٨م استنفر كتامة، فأتته أعداد كبيرة من شبان كتامة، فاقت ما توقعه، فأشاد بهم وبمن سبقهم من كتامة وقرر تعيين قائد صقلبي عليهم، وأوصاهم بمعاملة حسنة للصقالبة المشاركين معهم في الحملة: "... بارك الله فيكم وأحسن صحابتكم والخلافة عليكم، فقد صدقتم ظني فيكم وأملي عندكم، وأنتم من معدن البركة وعنصر الخير، بكم بدأ الله إظهار أمرنا وبكم يتمه ويصلحه بحوله وقوته، وقد علمت مسارعتكم إلى ما ندبتم إليه وأجابتكم لما أردتم له، وأرجو أن تبلغوا من ذلك بحسب الأمل فيكم، ويرفع الله (عز وجل) بذلك درجاتكم ويعلي به ذكركم، أنتم البنون والأخوة، والأقربون ما يعدلكم عندي أحد ولا يبلغ مبلغكم من قلبي بشر، وما ذلك إلا لما لي في قلوبكم. ما نصر الله ولياً من أوليائه قبلنا بمثل نصرتكم لنا، على ذلك مضى أولكم وعليه أنتم، على محبتنا ونصرتنا وموالاتنا تتناسلون وتنشأون، وبها غذيتم وعليها فطرتم،

---

(١) النعمان: المجالس والمسايرات، ص٢١٩، ٢٤٦، ٣٢١-٣٢٢، ٣٢٢-٣٢٣، ٥٢٦.

(٢) الجوذري: سيرة جوذر، ص٨٠-٨٤، لقبال: دور كتامة، ص٤٤٨.

(٣) النعمان: المجالس والمسايرات، ص٢٤٦.

فابشروا بما قسم الله (عز وجل) من الفضائل لكم، فأنتم حزب الله وأنصاره وجنده وأحباؤه"[1].

❖ صِنْهاجة:

تعد قبيلة صنهاجة أكبر قبائل البربر عدداً، وقد غلب عليها طابع التبدي، فتفرقت في كثير من أنحاء المغرب[2]، واشتهر منها قبيلة لَمتونة التي عُرف أبناؤها -فيما بعد- بالمرابطين أو الملثمين[3]، وقبيلة تِلكانة التي ينتمي إليها بنوزيري بافريقية والأندلس، وبنو حماد بالمغرب الأوسط[4].

ترجع مشاركة صِنهاجة في الجيش الفاطمي إلى عهد القائم بأمر الله الذي دعم أميرهم زيري بن مناد في بناء مدينة أشير سنة ٣٢٤هـ/٩٣٥م بسبب علاقته السيئة مع قبيلة زناتة المعارضة للسلطة الفاطمية[5]. وأول استعانة فاطمية بقبيلة صنهاجة كانت في أواخر ربيع الثاني من سنة ٣٣٣هـ/٩٤٤م عندما حاصر أبو يزيد مدينة المهدية، فبعث القائم إلى زيري بن مناد يحثه على المساعدة بقبيلته، فلبى النداء[6]. ولم يكتفِ زيري بهذه المشاركة، بل أرسل فرقةً محملة بالمؤن إلى المحاصرين داخل المدينة[7].

كما استعان المنصور بزيري بن مناد أيضاً في حروبه ضد أبي يزيد، ففي سنة ٣٣٥هـ/٩٤٦م كاتبه المنصور وأرسل إليه الهدايا، فالتحق زيري بجيشه إلى جيش المنصور في المعارك الأخيرة التي انتهت بإخماد الثورة في محرم سنة

---

(١) النعمان: المجالس والمسايرات، ص٢٥٤-٢٥٥، وعنه نقل الداعي ادريس: تاريخ، ص٦٠٦-٦٠٩.

(٢) سالم: تاريخ المغرب، ج٢، ص١٣٧.

(٣) القلقشندي: قلائد الجمان، ص١٧١، الهادي: الدولة الصنهاجية، ج١، ص٣٦.

(٤) الهادي: الدولة الصنهاجية، ج١، ص٣٦.

(٥) المصدر نفسه، ج١، ص٣٦.

(٦) ابن الأثير: الكامل، ج٨، ص٤٢٦، التجاني: رحلة، ص٣٢٥، المقريزي: اتعاظ، ج١، ص١١٣.

(٧) الهادي: الدولة الصنهاجية، ج١، ص٥٠.

٣٣٦هـ/٩٤٧م[١]. كما شارك جيش صنهاجة في إخماد ثورة فضل بن مخلد[٢]، وقد كافأ المنصور زيري بن مناد على جهوده بتعيينه قائداً على قبيلة صنهاجة والمناطق التابعة لها في تاهرت[٣].

واستمر المنصور في الاستعانة بزيري بن مناد وجيشه في إخماد العديد من الثورات التي قامت بها زِناتة وبعض القبائل في جبال الأوراس[٤]، كما استعان بهم المعز أيضاً لنفس المهمة عندما أشركهم في المعارك التي خاضها الجيش الفاطمي لإخضاع سكان جبال الأوراس سنة ٣٤٢هـ/٩٥٣م[٥].

وازدادت مشاركة صِنهاجة في الجيش الفاطمي طوال عهد المعز في المغرب، فقد أمر المعز قائده جوهر الذي وجهه إلى المغرب الأقصى في حملة كبيرة في صفر سنة ٣٤٧هـ/٩٥٨م بأن يصحب معه أمير صنهاجة وجيشه عند المرور بالمغرب الأوسط، وقد استطاعت الحملة -بما انضم إليها من صنهاجة وغيرها من القبائل- إعادة السلطة الفاطمية في تلك النواحي[٦]، وقد أثبتت صنهاجة فعاليتها القتالية في هذه الحملة خاصة في الاستيلاء على مدينة فاس بعد حصارهم الشديد لها في رمضان سنة ٣٤٨هـ/٩٥٩م[٧].

وبعد فتح مصر وتوجه الجيش الفاطمي إلى المشرق، ازداد تمرد العناصر الزِناتية المناهضة للدولة في المغرب الأوسط، وقد أدت حملة المعز التي قادها

---

(١) ابن حماد: أخبار، ص٢٧، ابن عذاري: البيان المغرب، ج١، ص٢٢٠، التجاني: رحلة، ص٢٣٤، ادريس: تاريخ، ص٤٠٥، ٤٠٧-٤٠٨.

(٢) الهادي: الدولة الصنهاجية، ج١، ص٥٦.

(٣) المرجع نفسه، ج١، ص٥٦.

(٤) الهادي: الدولة الصنهاجية، ج١، ص٥٧.

(٥) الجوذري: سيرة جوذر، ص٧٥-٨٤، الهادي: الدولة الصنهاجية، ج١، ص٥٨.

(٦) ابن الأثير: الكامل، ج٨، ص٥٢٤-٥٢٥، حسن: المعز لدين الله، ص٣١.

(٧) الهادي: الدولة الصنهاجية، ج١، ص٥٩-٦٠.

بنفسه إلى تلك النواحي في سنة ٣٥٩هـ/٩٦٩م إلى تشتت المتمردين في الجبال، فرجع إلى المنصورية بعد أن كلف بلكين بن زيري بتتبعهم ولكن دون جدوى[1].

وبعد هذا التاريخ واصلت صنهاجة معاركها ضد زناتة التي دعمتها السلطة الأموية في نواحي المغرب الأوسط والأقصى[2]، وقد دفع زيري بن مناد حياته ثمناً لحملته التي قادها ضد زناتة في رمضان سنة ٣٦٠هـ/٩٧٠م[3]. فانتقلت قيادة صنهاجة إلى ولده بلكين الذي سرعان ما أعده المعز لحملةٍ جديدةٍ ضد زِناتة ثأراً لأبيه في أواخر سنة ٣٦٠هـ/٩٧٠م، وقد استطاع بلكين في حملته تلك تطهير مدن طُبنة وباغاية والمَسيلة وبَسكرة من التمرد الزناتي، واستولى على سائر بلاد المغرب الأوسط[4]، وقد كافأ المعز -الذي عزم على الرحيل إلى مصر- بلكين بن زيري بأن عينه خلفاً له على افريقية[5].

❖ قبائل أخرى:

من القبائل التي شاركت في الجيش الفاطمي دون أن نعلم عنها أية تفاصيل: قبيلة مَصمودة التي تنتمي إلى مجموعة البرانس، ولا يوجد في مصادر الفترة المغربية ما يشير إلى وجود هذه القبيلة في الجيش الفاطمي، إذ ترد هذه القبيلة في فترة التوسع الفاطمي في بلاد الشام[6]، ويبدو أن هذه القبيلة قد شاركت في حملة جوهر التي فتح بها مصر سنة ٣٥٨هـ/٩٦٨م وشاركت مع الجيش الفاطمي في فتح بلاد الشام في السنوات التالية[7].

---

(١) الجوذري: سيرة جوذر، ص١٠٨-١١٠.

(٢) سنوسي: زناتة، ص٢٨٠-٢٩٠، الهادي: الدولة الصنهاجية، ج١، ص٦٣.

(٣) الدولة الصنهاجية، ج١، ص٦٧.

(٤) دشراوي: الخلافة الفاطمية، ص٣٥٣-٣٥٦.

(٥) الهادي: الدولة الصنهاجية، ج١، ص٦٩-٧١.

(٦) انظر الفصل الثاني من هذه الدراسة (البُنية البشرية).

(٧) انظر الفصل الثاني من هذه الدراسة (البُنية البشرية).

وهنـاك "البُـرقيين" أو "أهـل بُرقـة" ورد ذكـرهم في موقعـة الـسودان الـتي خاضــها المنــصور ضــد أبــي يزيــد الثــائر في ١٣ جمــادى الأولى ســنة ٣٣٥هــ/٩٤٦م[١]، وصــحبوا المعــز لــدين الله عنــدما توجــه إلى مــصر ســنة ٣٦٢هـ/٩٧٢م واستوطنوا إحدى حارات القاهرة فعرفت بهم "حارة البُرقية"[٢].

(٢) العبيد:

لم تقتصر البُنية البشرية للجيش الفاطمي في المغرب على عناصر محلية من البربر، بل استخدم الفاطميون عناصر مجلوبة من العبيد ابتداء من عصر المهدي، ولم يرد أن الداعي أبي عبد الله الشيعي قد استخدم العبيد في جيشه رغم وجودهم في قصور الإمارات القائمة في افريقية كالأغالبة[٣]، أما المهدي فما أن تولى الخلافة في سنة ٢٩٧هـ/٩٠٩م حتى "أثبت الموالي والعبيد من الروم والسودان وأقام منهم عسكرا"[٤]، وقد أشار ابن الخطيب إلى أن المهدي قد جند من العبيد "اثني عشر ألف مملوك"[٥]، وهذا الرقم –على ما فيه من مبالغة- يشير إلى استفادة المهدي من العبيد الموجودين في البلاط الأغلبي، إذ لا يعقل أن يجلب المهدي هذا العدد ويجنده في فترة زمنية قصيرة.

وقد استخدم الفاطميون في المغرب نوعين من الرقيق:

أ. الرقيق الأبيض (الصقالبة).

ب. الرقيق الأسود (العبيد الزويلين).

---

(١) ادريس: تاريخ، ص٣٩٣-٣٩٤.

(٢) انظر الفصل الثاني من هذه الدراسة.

(٣) ابن عذاري: البيان المغرب، ج١، ص١٥٠، سالم: تاريخ المغرب، ج٢، ص٤٢٠.

(٤) الأنطاكي: تاريخ، ص٦٥.

(٥) ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ق٣، ص٥١.

❖ **الصقالبة:**

دخل الرقيق الأبيض المعروف بالصقالبة إلى شمال افريقيا من البلقان وجزر البحر المتوسط وبعض المدن الايطالية، في فترة سابقة للفاطميين، عن طريق الغارات التي شنها المسلمون على تلك المناطق[١]، وقد أكثر الأغالبة من استخدامهم في قصورهم، إذ تذكر المصادر أن زيادة الله الأغلبي –آخر الأمراء الأغالبة- اختار من عبيده الصقالبة ألف خادم عندما هرب من رقادة في جمادى الآخرة سنة ٢٩٦هـ/٩٠٨م[٢].

وقد استمر جلب الصقالبة –أطفالاً في الغالب- إلى افريقية زمن الفاطميين بسبب استمرار المعارك بين المسلمين وبيزنطة في جزيرة صقلية وجنوب إيطاليا، وقد خضع هؤلاء الصقالبة لتدريب عسكري منذ صغرهم[٣]، ومع أنه ليس لدينا نصوصاً تبين كيفية تدريب وتنشئة الصقالبة الصغار عند الفاطميين في المغرب، إلا أن نصاً هاماً ذكره الجوذري صاحب "سيرة جوذر" يفيد بأن جوذر –الذي بلغ مكانة هامة عند القائم والمنصور- أدّب في أحد الأيام بعض الصقالبة الذي تحت يده على جناية استحقوا عليها الأدب، وشدد عليهم ثم سجنهم حتى شفع فيهم المنصور[٤].

وقد وصل العديد من هؤلاء الصقالبة إلى مراكز قيادية في الجيش الفاطمي، فأطلق عليهم لقب "الخادم" أو "خادم الإمام"[٥]، وقد حفلت الفترة

---

(١) دشراوي: الخلافة الفاطمية، ص٥٤٣–٥٤٤.

(٢) النعمان: افتتاح، ص٢٠٧، ابن عذاري: البيان المغرب، ج١، ص١٦٧، ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ق٣، ص٤٣، ادريس: تاريخ، ص١٣٤.

(٣) ادريس: تاريخ، ص٢٥٣–٢٥٤، الجوذري: سيرة جوذر، ص١٣–١٤ (مقدمة التحقيق)، دشراوي: الخلافة الفاطمية، ص٥٤٣.

(٤) الجوذري: سيرة جوذر، ص٤١–٤٢، ونقل الداعي ادريس هذا النص: تاريخ، ص٢٥٣–٢٥٤.

(٥) دشراوي: الخلافة الفاطمية، ص٥٤٢.

المغربية بأسماء العديد من القادة الصقالبة يأتي في مقدمتهم القائد الشهير "جوهر" قائد المعز لدين الله، والمعروف بجوهر الصقلي نسبة إلى جزيرة صقلية[١]، جلبه خادم يعرف بصابر، إلى الخليفة المنصور وترقى في الجيش حتى بلغ مكانة عالية زمن المعز[٢]، الذي أوكل إليه عدة مهام عسكرية ناجحة كان أهمها فتح مصر.

ومن القادة الصقالبة أيضاً شفيع الصقلبي أحد أمراء الجيش الذي حارب فضل بن أبي يزيد، ثم صارت له مكانة هامة عند المعز لدين الله في مصر[٣].

وكان للصقالبة دور هام في المعارك التي خاضها الجيش الفاطمي خاصة تلك التي وُجهت لحرب أبي يزيد[٤]، وقد اشتهر منهم في تلك المعارك بعض القادة مثل: بُشرى الخادم، قدام الصقلبي والحسن بن رشيق الكاتب، ومظفر، وطارق، ووصيف وقيصر[٥].

ولم تكن أهمية الصقالبة عند الخلفاء الفاطميين تقل كثيراً عن مكانة كتامة، فقد عوملوا كالأمراء وحظوا بمكانة متميزة نظراً لصلة الولاء مع الخلفاء[٦]، وتتضح هذه المكانة في إحدى مجالس المعز لدين الله الذي لم ينسَ أن يؤكد على

---

(١) صحح بعض الدارسين المحدثين كلمة "الصقلي" إلى "صقلبي" بالنسبة لنسب جوهر إلى موطنه الأصلي، أيمن فؤاد السيد: الدولة الفاطمية في مصر، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ١٩٩٢م، ص٧٢ هامش (٩)، (يشار إليه فيما بعد: أيمن سيد: الدولة الفاطمية)، حسن: جوهر، ص٢٣.

(٢) ابن حماد: أخبار، ص٤٩-٥٠، ابن خلكان: وفيات، ج١، ص٣٧٥، ادريس: تاريخ، ص٦٠٤-٦٠٥.

(٣) الجوذري: سيرة جوذر، ص١٨٠، تعليق رقم (١٠٢)، دشراوي: الخلافة الفاطمية، ص٥٤٢.

(٤) انظر مثلاً: ادريس: تاريخ، ص٢٧٥، ٢٧٦، ٢٧٨، ٢٩٥-٢٩٦، ٣١٠، ٤٢٣.

(٥) ادريس: تاريخ، ص٣٦٥، ٤٢٤، دشراوي: الخلافة الفاطمية، ص٥٤٢-٥٤٣.

(٦) أجاز المعز لدين الله توريث العبيد الصقالبة الداخلين في الدعوة كما يورث الأحرار، النعمان: المجالس والمسايرات، ص٣٩٤.

دور الصقالبة الهام في الحرب ضد أبي يزيد، فبعد أن أكد دور كُتامة وبين فضلهم أشاد بالصقالبة قائلاً: "ليس سبقهم (كُتامة) وفضلهم عما ينقص فضل من جاء بعدهم من عبيدنا وأنصارنا (الصقالبة) فجاهد ونصر ونصح لنا، بل يؤتي الله (عز وجل) -كما قال-﴿كل ذي فضل فضله﴾"(١).

❖ **العبيد الزويليين:**

ينسب هؤلاء العبيد السود إلى مدينة زويلة المجاورة للمهدية(٢)، وكانت مكانتهم تقل كثيراً عن مكانة الصقالبة، إذ عهد بقيادتهم إلى القائد الصقلبي الحسن بن رشيق، بعد أن كانت قيادتهم لقائد منهم يدعى "صندل"(٣).

وقد شارك هؤلاء العبيد في بعض المعارك، فكانوا ضمن حملة القائم الأولى على مصر سنة ٣٠١هـ/٩١٣م، وقد وقع عدد كبير منهم في الأسر وقُتلوا مع أسرى كُتامة(٤)، كما شاركوا في الجيش الفاطمي أثناء حصار أبي يزيد لمدينة المهدية في جمادى الآخرة سنة ٣٣٣هـ/٩٤٤م(٥)، واستعان بهم المنصور في إحدى معاركه ضد أبي يزيد عندما وزعهم على الخندق الذي أمر بحفره حول معسكره في كيانه في شوال سنة ٣٣٥هـ/٩٤٦م(٦).

ويبدو أن هؤلاء العبيد قد استمروا في الجيش الفاطمي -دون أن نعلم حجم المشاركة- فقد شاركوا في حملة جوهر على مصر، وعندما بُنيت القاهرة اختطت كل قبيلة من القبائل المشاركة خِطة لها، فاختط الزويليون

---

(١) النعمان: المجالس والمسايرات، ص٢٤٦.

(٢) ياقوت: معجم البلدان، ج٣، ص١٥٩-١٦٠، ويقول الأصطخري "وزويلة بلد في وجه أرض السودان وهؤلاء الخدم السود أكثرهم يقع إلى زويلة"، مسالك الممالك، ص٤٤.

(٣) الجوذري: سيرة جوذر، ص١٠٤-١٠٥، Beshir: Fatimid Militarry organaization, P. 40

(٤) دشراوي: الخلافة الفاطمية، ص٥٤٦.

(٥) ادريس: تاريخ، ص٣٠٦-٣٠٧، دشراوي: الخلافة الفاطمية، ص٥٤٥.

(٦) ادريس: تاريخ، ص٤٢٣.

خطتهم التي اشتهر منها باب زويلة، وحارة زويلة[١].

(٣) العرب:

على الرغم من اعتماد الفاطميين على البربر والعبيد بشكل أساسي في جيوشهم، إلا أننا نجد تواجداً للعنصر العربي في ذلك الجيش، وقد أُطلق على القبائل العربية التي شاركت في هذا الجيش اسم: "أهل افريقية" تمييزاً لهم عن البربر والعبيد[٢].

وقد انضمت العديد من القبائل العربية إلى جانب الفاطميين بعد أن خلعت طاعة الأغالبة قبيل سقوط دولتهم، مثل بنو أبي خنزير في ميلة، وبنو مالك في بلزمة، وبنو تلاس في الأربس[٣].

وظهرت المشاركة الفعلية للعرب في حملة القائم على المغرب الأوسط سنة ٣١٥هـ/٩٢٧م، عندما انضم إلى الحملة خليل بن اسحق التميمي في جند طرابلس البالغ تعدادهم في رواية الداعي ادريس ٤٠ ألف جندي[٤].

وقد نجح الفاطميون في استمالة بعض الأسر العربية العريقة في المغرب واستفادوا منها في عملياتهم العسكرية باتجاه الغرب مثل أسرة بني حمدون الجذامية الأصل، وقد اشتهر من هذه الأسرة علي بن حمدون الذي أمره القائم ببناء مدينة المسيلة لتكون قاعدة للتصدي لقبيلة زناتة المناهضة للدولة[٥]، وظلت هذه الأسرة على ولائها للفاطميين حتى آخر عهد المعز، عندما خلع أبناء علي بن حمدون طاعة الفاطميين وأيدوا قبيلة زناتة[٦].

---

(١) المقريزي: الخطط، ج١، ص٤، وانظر الفصل الثاني من هذه الدراسة.

(٢) ادريس: تاريخ، ص١٩٤، هامش رقم (٧٧)، دشراوي: الخلافة الفاطمية، ص٥٤٧.

(٣) دشراوي: الخلافة الفاطمية، ص٥٤٧-٥٤٨.

(٤) ادريس: تاريخ، ص٢٢٠.

(٥) دشراوي: الخلافة الفاطمية، ص٥٤٩.

(٦) المرجع ذاته، ص٥٤٩.

ومن الأسر العربية التي استعان بها الفاطميون، أسرة بنو الكلبي اليمنية الأصل، وقد تولى العديد من أفراد هذه الأسرة شؤون جزيرة صقلية بإيعاز من الخلفاء، وقاموا بدور بارز في حملات الفاطميين على مدن الجزيرة وجنوب إيطاليا[١]، إضافة إلى مشاركتهم الجادة في إخماد ثورة أبي يزيد بقيادة أبرز رجالها وهو الحسن بن علي بن أبي الحسن[٢].

(ب) فرق الجيش وتنظيمه:

على الرغم من كثرة المعلومات التي أوردتها المصادر حول نشاط الجيش الفاطمي في المغرب، إلا أننا نفتقر إلى تلك المعلومات التي تُبين تنظيم ذلك الجيش من حيث فِرقه وأساليب قتاله في تلك الفترة، فكل ما ذُكر هو شذرات يصعب على الباحث أن يكوّن منها صورةً واضحةً عن ذلك التنظيم.

والواقع أن الإشارة الهامة -والتي لم تعززها أو تفسرها إشارات أخرى- هي التي وردت عند القاضي النعمان في "افتتاح الدعوة" حول تقسيم الجيش أيام الداعي أبي عبد الله، إذ يذكر أن الداعي بعد أن وطد أموره في بلاد كتامة وكوّن جيشاً من الأولياء "قَسّم كتامة أسباعاً وجعل على كل سُبعٍ منها عسكراً وقَدّم عليه مُقدماً"[٣].

وإزاء سكوت المصادر في بيان هذا التقسيم يمكن افتراض ما يلي:

١. إن الداعي قسم الجيش إلى "سبعة" أقسام لأهمية الرقم (٧) في العقيدة الاسماعيلية.

---

(١) انظر النشاط العسكري للجيش الفاطمي في جزيرة صقلية وجنوب إيطاليا في القسم الأول من هذا الفصل.

(٢) دشراوي: الخلافة الفاطمية، ص٥٤٩-٥٥٠.

(٣) النعمان: افتتاح الدعوة، ص١٢٧.

٢. إن هذا التقسيم كان هدفه عملية الإشراف على الجنود حشداً وتنظيماً وتجهيزاً من قبل "المقدم" قبل انطلاق الجيش إلى المعركة. إذ تفيد بعض تفاصيل المعارك التي خاضها الجيش الفاطمي على أن هذا الجيش كان يتبع النظام التقليدي المعروف في المعارك (ميمنة، ميسرة، قلب، مقدمة، ..الخ)، ولا وجود للنظام السبعي هذا في تفاصيل تلك المعارك.

٣. لا يمكن أن يكون التقسيم السبعي هذا موزعاً على سبع دوائر عسكرية – كما يعتقد فرحات الدشراوي[١]- إذ ليس معقولاً أن يتم توزيع الجيش على المدن بالتساوي، إذ تكتفي كل مدينة بحامية صغيرة من الجيش ترابط مع الوالي.

ويمكن القول أن الجيش الفاطمي في المغرب قسم إلى ثلاثة أقسام رئيسية:

أ. الخيالة (الفرسان).

ب. الرجالة (المشاة).

ج. رجال الأسطول (القوة البحرية).

أما الخيالة فكانوا يشكلون نسبة كبيرة في الجيش، فقبيلة كتامة كانت عبارة عن رجال مقاتلين جبليين اعتادوا امتطاء الخيول، وقد شارك الكتاميون بخيولهم وأسلحتهم الخاصة منذ البداية[٢]، فعندما حشد الداعي أوليائه الأوائل لقتال المتآمرين عليه من بعض بطون كتامة، أعد الأولياء عُدتهم "وأخرج كل واحد منهم ما عنده من سلاح وكراع، فأتوا به وحملوا من الرجالة منهم على الخيل من كان يُحسِن الركوب، واشتروا العُدة لمن لا عدة له واعترضوا فبلغوا

(١) دشراوي: الخلافة الفاطمية، ص٥٢١–٥٢٢.

(٢) دشراوي: الخلافة الفاطمية، ص٥٥٣.

سبعمائة فارس وزهاء ألفي راجل"[١].

ويمكن القول أن عدد الخيالة ازداد باستمرار مع كثرة الغنائم التي حصل عليها جيش الداعي من المعارك الكثيرة التي خاضها بنجاح، والتي كانت تحتوي بلا شك على الخيول[٢]، إضافة إلى كثير من الأسلحة التي استخدمها الفارس الفاطمي كالسيف، والرمح، والدرع، والسهام، .. الخ.

وقد تميزت خيالة كتامة بالخفة والسرعة وبراعة القتال، والشواهد على ذلك كثيرة، فقد اتبع الداعي في قتال جيش الأغالبة أسلوب المباغتة الذي قامت به فرقه من فرسانه الأشداء، والتي استطاعت إلحاق الهزيمة بجيش الأغالبة أكثر من مرة، كهزيمة أبي حوال الأغلبي في حملته الأولى على بلاد كتامة في مطلع عام ٢٩٠هـ/٩٠٢م[٣]، وهزيمة القائد الأغلبي ابراهيم بن حبشي الذي أُرسل لقتال الداعي بعد سقوط سَطيف في أواخر ذلك العام[٤].

والواقع أن حروب الجيش الفاطمي ضد أبي يزيد الثائر – والتي تميزت زمن المنصور بملاحقة الثوار في الجبال الوعرة وفي ظروف مناخية قاسية[٥]، قد أظهرت أن قوة الخيالة كانت تفوق الرجالة في المعارك التي اعتمدت على المسير لمسافات طويلة في تضاريس صعبةً للغاية.

أما الرجالة والمشاة، فكانوا في الغالب من العبيد والعرب وبعض البربر[٦]،

---

(١) ادريس: تاريخ، ص١٠٤.

(٢) ادريس: تاريخ، ص١٠٥.

(٣) النعمان: افتتاح، ص١٣٩–١٤٠، ابن الأثير: الكامل، ج٨، ص٣٥، ابن خلدون: العبر، ج٤، ق١، ص٤٣٧–٤٣٨.

(٤) النعمان: افتتاح، ص١٥٦–١٦٠، ابن الأثير: الكامل، ج٨، ص٤٠–٤١، المقريزي: اتعاظ، ج١، ص٦٢، ادريس: تاريخ، ص١١٦–١١٨.

(٥) انظر القسم الأول من هذا الفصل.

(٦) دشراوي: الخلافة الفاطمية، ص٥٥٥.

وإضافة إلى دور المشاة أثناء المعركة، فإنه كان لهم دور رئيسي وهام في عمليات الحصار التي قام بها الجيش الفاطمي سواء ضد المدن والقلاع الأغلبية، أو ضد القلاع والمدن المنتشرة في نواحي المغرب الأوسط والأقصى.

يبدأ تنظيم الجيش من خيالة ورجالة للقتال بعملية الحشد أو التعبئة، وهي جمع الجنود وعرضهم لمعرفة مدى استعدادهم للقتال، وقد لجأ الداعي إلى أسلوب النداء لحشد جنوده عند الحاجة، فعند الاستعداد لفتح مدينة طُبنة سنة ٢٩٣هـ/٩٠٥م، استدعى جنوده الأولياء بالنداء: "ثم أن أبا عبد الله نادى في الناس فاجتمعوا إليه وكذلك كان حشده إنما هو بالنداء"(١)، وهذا النداء يدعو إلى الافتراض بعدم وجود ديوان لتسجيل أسماء المقاتلين وهذا ما أكده ابن عذاري حين ذكر أن الداعي "كان حشده بغير ديوان، إنما كان يكتب إلى رؤساء القبائل فيحشدوا من يليهم طاعة له ورغبة فيه"(٢).

ويلي الحشد، العرض العسكري، وهنا ليس لدينا ما يبين كيفية العرض، لكن يُفترض وجود ملعب أو ميدان أو مكان فسيح لعرض الجند وتسليحه وتعيين القادة وأصحاب الطبول وحاملي الرايات لينطلقوا بعد ذلك إلى المعركة(٣).

أما تنظيم الجيش في القتال، ففي المعارك التي استوجبت الالتحام بين جيشين، اتبع الفاطميون الطريقة التقليدية في تقسيم الجيش إلى قلب، ميمنة، ميسرة، مقدمة أو طليعة، إضافة إلى ساقة الجيش، ففي معركة الأربس سنة ٢٩٦هـ/٩٠٨م وزع الداعي جيشه من قبائل كتامة بأن "جعل في الميمنة بني بنطاش، وفي الميسرة بني يناوة، وفي القلب ملوسة ومسالتة وانتقى عشرة آلاف

---

(١) النعمان: افتتاح، ص١٦٠.

(٢) ابن عذاري: البيان المغرب، ج١، ص١٣٨.

(٣) انظر مثلاً: ابن عذاري: البيان المغرب، ج١، ص١٤٤، دشراوي: الخلافة الفاطمية، ص٥٥٢–٥٥٣.

فارس من الدعاة، ووجوه القبائل وأهل النكاية فجعلهم معه"[1].

وفي إحدى معاركه الناجحة ضد أبي يزيد في محرم سنة ٣٣٥هـ/٩٤٦م، عبأ المنصور جيشه بأن "جعل في الميمنة أهل افريقية، وفي الميسرة لهيصة وجيملة، وفي القلب بني بنطاش وهو معهم وعبيده بين يديه ورجاله الأولياء، وخاصة جنده الذين لا يفرقون من القتال ولا يهابون مبارزة الأبطال"[2].

وقد فصل الداعي ادريس في تنظيم المنصور لجيشه في موقعة عين السودان التي انتصر فيها على أبي يزيد في ١٣ جمادى الأولى سنة ٣٣٥هـ/٩٤٦م"... وعبأ عساكره فجعل في الميمنة جيملة ولهيصة من قبائل كتامة، وجعفر بن علي صاحب المسيلة والتحق بهم بشرى الخادم بعد ذلك، وجعل في الميسرة ملوسة، واجانة من قبائل كتامة أيضاً، وجعل معه في القلب خاصة الأولياء من كتامة والعبيد وعسكر البُرقيين، وجعل طائفة من أهل الجزيرة وجندها في ظهر الميمنة، وأعطاهم بنداً وطبلاً، وأمرهم بالوقوف أيضاً حتى يرد أمره عليهم، وأقبل يسير من الميمنة إلى الميسرة يعدل الصفوف ويوصيهم بالصبر على الجلاد، ويعدهم بما أعد الله للباذلين أنفسهم في الجهاد، وهو كالأسد الباسل والهزبر المنازل، وقد عرف كل شجاعته وصبره، ورجا من الله امداده ونصره، وأفرق السلاح في الناس والتحم القتال"[3].

ومن تلك النصوص يمكن القول أن الإمام كان يقوم أحياناً بقيادة الجيش بنفسه، وأن مركزه في المعركة هو في القلب مع خيرة فرسانه وأوليائه، وقد روعي في ترتيب القبائل المشاركة الرابطة القبلية بحيث تبقى كل قبيلة في جهة من الجيش، وقد يستدعي الأمر أحياناً حفر خندق حول معسكر الجيش قبل القتال،

(١) النعمان: افتتاح، ص٢٠٢.

(٢) ادريس: تاريخ، ص٣٧٥-٣٧٦.

(٣) المصدر نفسه، ص٣٩٣-٣٩٤.

وهذا ما فعله المنصور عندما حفر حول جنده خندقاً قرب القيروان، استطاع به صد رجال أبي يزيد وهزيمتهم(١).

أما المعارك التي تتطلب اقتحام القلاع والحصون، فقد استخدمت أساليب الحصار المتنوعة التي استعملت فيها الأسلحة من منجنيقات ودبابات وسلالم... الخ، وقد برع الجيش الفاطمي في أعمال الحصار خاصة في نقب الأسوار واقتحام القلاع والحصون عنوة(٢). فقد سقطت العديد من الحصون والقلاع بيد الجيش الفاطمي بعد حصار شديد لها، سواء القلاع والحصون الأغلبية التي احتلها جيش الداعي، أو مدن وقلاع المغرب الأوسط والأقصى التي احتلها الجيش الفاطمي في حملاته العديدة على تلك المناطق(٣).

أما القوة البحرية؛ فقد شكلت جانباً هاماً من اهتمام الفاطميين بالجيش، وتجلى هذا الاهتمام منذ اعتلاء المهدي الخلافة، بقيامه ببناء مدينة المهدية، التي زودها بدار لصناعة الأسطول(٤)، فاقت دور الصناعة في كل من تونس وسوسة(٥)، كما احتوت المهدية على مرسى كبير منقور في حجر صلد يسع ثلاثين مركباً عليه بُرجين بينهما سلسلة حديدية ترفع بعد دخول السفن إلى المرسى لحمايتها من غزو محتمل(٦)، وقد شكلت جزيرة صقلية مصدر الأخشاب

---

(١) دشراوي: الخلافة الفاطمية، ص٥٥٨.

(٢) المرجع نفسه، ص٥٦٠-٥٦١.

(٣) انظر القسم الأول من هذا الفصل.

(٤) الأصطخري: مسالك، ص٣٨، أبو الفداء: تقويم البلدان، ص١٤٥، التجاني: رحلة، ص٣٢٠-٣٢٧، الوزان: وصف افريقيا، ص٨٥-٨٦.

(٥) أحمد مختار العبادي والسيد سالم: تاريخ البحرية الإسلامية في حوض البحر المتوسط (٢ج، الاسكندرية، د.ت)، ج٢، ص١٣٦، (يشار إليه فيما بعد: العبادي: تاريخ البحرية)، دشراوي: الخلافة الفاطمية، ص٥٦٦.

(٦) مجهول: الاستبصار، ص١١٨، العبادي: تاريخ البحرية، ج٢، ص١٣٦.

التي جلبها الفاطميون لدور الصناعة[١].

وقد عهد بالإشراف على قواعد الأسطول الفاطمي وقيادته إلى قواد أطلق على أحدهم "صاحب البحر" أو "متولي البحر"[٢]، تولى هذا المنصب الهام بعض القادة أبرزهم يعقوب بن اسحاق[٣]، قائد الأسطول الفاطمي المرافق للحملة الثانية على مصر، وقد أسر هذا القائد بعد هزيمة الأسطول الفاطمي أمام الأسطول العباسي، وسجن في بغداد خمسة عشر سنة، تمكن بعدها من الفرار بعد اغتيال الخليفة المقتدر، في حين قتل نائبه سليمان الخادم[٤]، كما تولى ابنه حسين منصب "صاحب البحر" في المهدية زمن المعز لدين الله[٥]، وبرز من أسرة بنو الكلبي -الذين تولوا شؤون صقلية- بعض قادة الأسطول مثل الحسن بن علي بن أبي الحسين وأبناءه أحمد وأبي القاسم[٦].

تميزت الفترة المغربية للدولة الفاطمية بنشاط بحري فاطمي كبير وعلى أكثر من صعيد، ويمكن القول أن المهدي استفاد من الأسطول الأغلبي الذي ورثه عنهم في حملاته على مصر بين عامي ٣٠١-٣٠٧هـ/٩١٣-٩١٩م[٧]، ذلك أن هذه الحملات تمت أثناء وبُعيد إنشاء المهدية، أي قبل قيام دار الصناعة فيها بتصنيع السفن وتجهيزها للقتال، بعد ذلك تنامت القوة البحرية الفاطمية بعد أن نشطت دار صناعة المهدية في تصنيع السفن التي أصبحت مع ما ورثه

---

(١) الجوذري: سيرة جوذر، ص١١٩، ١٢١.

(٢) دشراوي: الخلافة الفاطمية، ص٥٧٥.

(٣) الجوذري: سيرة جوذر، ص٩٧-٩٨.

(٤) ابن الأثير: الكامل، ج٨، ص١١٤.

(٥) دشراوي: الخلافة الفاطمية، ص٥٧٦.

(٦) ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ق٣، ص١٢٣-١٢٥، الجوذري: سيرة جوذر، ص١٠٣-١٠٤.

(٧) الكندي: ولاة، ص٢٨٦-٢٨٨، ٢٩٣-٣٩٥، ابن الأثير: الكامل، ج٨، ص١١٣-١١٤، المقريزي: المقفى، ج٤، ص٥٦٢، ادريس: تاريخ، ص١٩٢-١٩٥، ٢٠٤-٢٠٩.

الفاطميون من الأسطول الأغلبي، قوة بحرية هامة في ذلك الوقت، خاضت العديد من المعارك البحرية، خاصة بعد فرض السيطرة الفاطمية على جزيرة صقلية التي أصبحت منطلق العمليات العسكرية الفاطمية ضد بيزنطة في شرق الجزيرة، والأراضي البيزنطية في جنوب إيطاليا، إضافة إلى الحملة البحرية على شواطئ الأمويين في الأندلس في عهد المعز لدين الله[١].

(ج) إدارة الجيش ومرتباته:

لا نجد في مصادر الفترة المغربية للدولة الفاطمية معلومات واضحة عن إدارة الجيش الفاطمي، وكل ما يمكن التحدث عنه هو ديوان العطاء وخزائن السلاح.

لم نسمع طيلة عهد الداعي أبي عبد الله عن أية مؤسسات إدارية متعلقة بالجيش، وذلك بسبب انشغال الداعي بتوطيد أموره وانشغاله بالحروب المستمرة ضد الأغالبة، وقد دلت طريقة الداعي في حشد الجنود واستنفارهم بالنداء على أنه لم يكن هناك ديوان لتسجيل المقاتلين وإثبات أعطياتهم بل كان يكلف رؤساء القبائل بجمع المقاتلين من قبائلهم[٢].

ومنذ اعتلاء المهدي الخلافة بدأ تكوين الجيش النظامي عندما أنشأ المهدي ديواناً للعطاء، يقول النعمان: "ونصب ديواناً للعطاء، وأمر بإثبات الموالي وأبناء العبيد فيه ومن سارع إلى الرزق واكتتب به فاجتمع من ذلك عرائف كثيرة"[٣]، وعهد بولاية هذا الديوان إلى عبدون بن حباسة الكتامي[٤].

---

(١) انظر القسم الأول من هذا الفصل.

(٢) ابن عذاري: البيان المغرب، ج١، ص١٣٨.

(٣) النعمان: افتتاح، ص٢٥٧، وانظر: ادريس: تاريخ، ص١٧٧.

(٤) ابن عذاري: البيان المغرب، ج١، ص١٥٩، ولم أجد ترجمة لهذا الشخص الذي تولى هذا الديوان.

ورغم ورود هذه الإشارة الهامة عن ديوان العطاء في المغرب، إلا أننا نفتقر إلى ما يوضح طبيعة عمل هذا الديوان[1]، وهذا يدعو إلى الافتراض بأن عمل هذا الديوان يشبه إلى حد كبير عمل ديوان العطاء في المشرق والمتمثل بإحصاء الجنود وتقدير أعطياتهم وأرزاقهم.

أما خزائن السلاح فقد ظهرت بعد إنشاء المهدية ودار صناعة الأسطول فيها، وقد خصصت خزائن السلاح في "دار البحر" لغرضين الأول: تصنيع الأسلحة ومعدات الأسطول، والثاني: تخزين هذه الأسلحة لاستخدامها عند الحاجة[2]، وقد عُرف الخليفة المنصور باهتمامه الشديد بتصنيع الأسلحة في المهدية، ففي أحد أوامره إلى خادمه المعروف جوذر المشرف على إدارة دار الصناعة في المهدية يقول: "اعمل لنا سيوف بحمائل على نصول تطبعها بالمهدية تكون لها ولا يكون منها افرنجي ولا يماني ولا غيره، فإن هذه السيوف المستعملة أمضى من كل سيف رأيناه، وقد اختبرنا ذلك وجربناه مراراً وليكن حلية كل سيف منها بخمسين ديناراً"[3].

ويبدو أن خزائن دار البحر في المهدية قد امتلأت بمعدات الأسطول، إذ ترد إشارات إلى استخدام بعض المرافق المجاورة كالمسجد وبعض الدور لغايات التخزين[4].

أما مرتبات الجيش، فقد شكلت جانباً هاماً من عناية الفاطميين بالجيش على الرغم من شح المعلومات حول هذا الموضوع في مصادر الفترة المغربية.

---

(١) وردت عند الداعي ادريس إشارة حول "ديوان البربر"، أثناء حديثه عن مؤامرة الداعي ضد المهدي، وربما قصد بهذا الديوان ديوان العطاء نفسه الذي أنشأه المهدي، ادريس: تاريخ، ص١٨٦.

(٢) الجوذري: سيرة جوذر، ص١٠٢، دشراوي: الخلافة الفاطمية، ص٥٥٥–٥٥٦.

(٣) الجوذري: سيرة جوذر، ص٤٧–٤٨.

(٤) الجوذري: سيرة جوذر، ص١٠٢.

لقد استند الداعي أبي عبد الله الشيعي في الإنفاق على جيشه إلى مصدرين: الأول: الغنائم الكثيرة التي كان يحصل عليها جيشه في المعارك التي خاضها ضد الأغالبة، والتي احتوت دون شك على الأموال والأسلحة والخيول، والمصدر الثاني: استند إلى إحدى أسس الدعوة الشيعية الفاطمية، عندما فرض الداعي على أنصاره "دينار الهجرة" و"درهم الفطرة"[(١)]، وحفاظاً على مركزه ومكانته بين أنصاره، أبقى الداعي الأموال في أيدي مشايخ كتامة لإنفاقها على الجند واكتفى هو بحياة الزهد والتقشف.

وبعد إنشاء ديوان العطاء يفترض أن تتجه مرتبات الجيش نحو التنظيم، إلا أن الإشارات العامة في المصادر تجعل من الصعوبة تكوين صورة واضحة عن ذلك، فالمهدي بعد إنشاء الديوان أسبغ على كُتامة "العطاء وأجرى عليهم الصلات"[(٢)]، ويبدو أن قبيلة كتامة امتازت طوال العهد المغربي للفاطميين بأعلى المرتبات والمخصصات، فالمعز خاطب كتامة عندما استعدوا للمشاركة في حملة جوهر على المغرب الأقصى قائلاً: "وقد أمرت لكم بأجزل عطاء أعطيته من قبلكم إلى أبعد من مسافتكم، وقد علمتم أنه لم يعط قبلكم أحد قبلي مثل ما أعطيتم"[(٣)]، دون أن نعلم تفاصيل تلك الأعطيات، وفي الحملة التي أرسلها المعز إلى مصر، بلغت نفقة المقاتل من ألف دينار إلى عشرين ديناراً[(٤)].

وقد أورد القاضي النعمان في "المجالس والمسايرات" نصاً هاماً بيَّن فيه مرتبات الجيش زمن المعز لدين الله حين ذكر أن المعز كان "يُسبغ على أوليائه

---

(١) الحبيب الجنحاني: السياسة المالية في الدولة الفاطمية في المغرب، (ملتقى القاضي النعمان للدراسات الفاطمية – الدورة الثانية – دار الشؤون الثقافية، تونس، ١٩٧٤م، ص١٨٣-٢٠٥، ص١٩١، (يشار إليه فيما بعد: الجنحاني: السياسة المالية).

(٢) ادريس: تاريخ، ص١٧٦.

(٣) النعمان: المجالس والمسايرات، ص٢٥٦-٢٥٧.

(٤) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٥، ص٢٢٦.

وعبيده الصلات والأرزاق والكسي والحملان والعلوفة والجراية على نسائهم وأبنائهم يقبضون ذلك بأيديهم، وإن خرجوا في بعض حملهم وصلهم وأدر أرزاقهم ما غابوا، وأبقى على مخلفيهم ما كان يجري عليهم، ومن استشهد منهم أو مات أبقى ما كان يجري عليه لمخلفيه، ويفرق عليهم السلاح والزوامل[1] والمضارب وجميع أدوات السفر إذا سافروا، مع إقطاعهم القطائع أو الضياع أو استعمالهم على الأعمال وتعاهدهم بالهبات المجزلة والعطايا السنية وبلغتهم عند أوبتهم من البعوث بالكساء والصلات والمراكب والحملانات"[2].

ومن هذا النص يلاحظ ما يلي:

١. أن نظام المرتبات الفاطمي شمل (أموال نقدية، أرزاق (مواد عينية)، كسوة، أعلاف، مرتبات لنساء وأبناء المقاتلين، أسلحة، خيول وجمال، خيام، لوازم السفر، إقطاعات، مناصب على الولايات، هدايا وهبات، مراكب، ..).

٢. إتباع أسلوب توريث المرتبات لذوي المقاتل في حالة موته أو استشهاده.

٣. الإنفاق على ذوي المقاتل في حال خروجه للقتال.

٤. توزيع المرتبات قبل التوجه إلى المعركة وحين العودة منها.

---

(١) أي الرواحل من الإبل، دشراوي: الخلافة الفاطمية، ص٥٣٠.

(٢) النعمان: المجالس والمسايرات، ص٥٣١-٥٣٢.


الذخيرة العربية

الفصل الثاني

البنيـة البـشرية للجـيش الفـاطمي

١. العناصر المغربية (المغاربة).

أ. كُتامة.

ب. المَصامدة.

ج. البُرقية.

د. زويلة.

هـ. عناصر أخرى.

٢. العناصر المشرقية (المشارقة).

أ. الأتراك والديلم.

ب. الأرمن.

ج. الأكراد.

٣. الرقيق.

أ. الصقالبة.

ب. العبيد السودان.


الذخيرة العربية

الفصل الثاني

البُنية البشرية للجيش الفاطمي

امتاز الجيش الفاطمي -شأن أغلب الجيوش الإسلامية الأخرى- بتنوع بُنيته البشرية، التي ضمت عناصر مختلفة ومتباينة الأصول والمنابت، ففي المغرب كان جُل الاعتماد على البربر الذين قامت الدولة بينهم، مع إدخال عناصر أخرى متوفرة في المنطقة آنذاك.

وبعد انتقال الفاطميين إلى مصر، يمكن تمييز ثلاثة مجموعات بشرية شكلت البُنية العرقية للجيش الفاطمي في مصر، وهي:

١. العناصر المغربية: وتضم قبائل البربر التي انتقلت إلى مصر مع الفتح الفاطمي، وهي (كُتامة، مصمودة، صِنهاجة، زَويلة، البُرقية، وعناصر أخرى).

٢. العناصر المشرقية: وتضم عناصر اصطنعها الخلفاء الفاطميون في مصر مثل (الأتراك، الدّيلم، الأرمن، الأكراد).

٣. الرقيق:

أ. الرقيق الأبيض (الصقالبة).

ب. الرقيق الأسود (السودان).

(١) العناصر المغربية:

تكون الجيش الفاطمي الذي فتح مصر بقيادة جوهر الصقلي في عام ٣٥٨هـ/٩٦٨م من عناصر بشرية مغربية متنوعة اعتمد عليها الخلفاء الفاطميون الأوائل في إنشاء دولتهم في المغرب، ورغم ضخامة جيش جوهر[١]، إلا أن المصادر لم توضح نسبة مشاركة كل عنصر من هذه العناصر، لكن مما لا شك فيه أن معظم هذا الجيش كان من البربر، تتصدرهم كُتامة التي قامت الدولة الفاطمية على أكتافها[٢].

وقد عُرفت العناصر التي قدمت مع جوهر إلى مصر بـ"المغاربة"، تمييزاً لهم عن "المشارقة" وهي العناصر التي اصطنعها الخلفاء الفاطميون في مصر فيما بعد، وقد ظل المغاربة عنصراً غريباً عن أهل مصر، فعندما بُنيت القاهرة في أعقاب الفتح الفاطمي، دعا القائد جوهر كل قبيلة لاختطاط حارة لها للإقامة فيها، فاختطت حارات: كُتامة، زَويلة، البُرقية، الجوذرية، الباطلية، ..الخ، وقد استوعبت تلك الحارات باقي عناصر المغاربة التي جاءت مع المعز لدين الله حين قدم إلى مصر في سنة ٣٦٢هـ/٩٧٢م[٣].

---

(١) ابن خلكان: وفيات، ج١، ص٣٧٧، المقريزي: الخطط، ج١، ص٩٤، ادريس: تاريخ، ص٦٦٦-٦٦٨، ابن تغري بردي: أبو المحاسن جمال الدين يوسف بن تغري بردي (ت٨٧٤هـ/١٤٦٩م): مورد اللطافة فيمن ولي السلطنة والخلافة (مخطوط – جامعة مؤتة)، ورقة ١٤٩أ، (يشار إليه فيما بعد: ابن تغري بردي: مورد اللطافة)، عبد الرحمن زكي: الجيش المصري في العصر الإسلامي، القاهرة، ١٩٧٠م، ص٢٥، (يشار إليه فيما بعد: زكي: الجيش المصري).

(٢) R. Basset: Kutama, EI2, Vol (5), P. 540.

(٣) ابن أيبك: الدرة المضية، ص١٤٠، ابن دقماق: ابراهيم بن محمد (ت٨٠٩هـ/١٤٠٧م): الانتصار لواسطة عقد الأمصار (ج٤، ٥)، نشر Vollers، بولاق، ١٨٩٧م، ج٥، ص٣٧، (يشار إليه فيما بعد: ابن دقماق: الانتصار)، القلقشندي: أحمد بن علي (ت٨٢١هـ/١٤١٨م): صبح الأعشى في صناعة الانشا، ١٤ج، القاهرة، ١٩١٤م، ج٣، ص٣٥٤، (يشار إليه فيما بعد: القلقشندي: صبح الأعشى)، المقريزي: الخطط، ج٢، ص١٠، ابن ظهيرة: أبو اسحاق برهان الدين بن علي (ت٨٩١هـ/١٤٨٦م): الفضائل الباهرة في محاسن مصر والقاهرة، تحقيق مصطفى السقا

وكانت حارة كُتامة أكبر حارات المغاربة وأوسعها، امتدت إلى داخل القاهرة وخارجها[1]، ويبدو أن أعداد كُتامة الكبيرة التي تدفقت إلى مصر سواء مع الفتح أو مع المعز لدين الله، أدت إلى دمج هذه الحارة مع حارة الباطلية، فعرفت أحياناً باسم "كُتامة" وأحياناً باسم "الباطلية"[2].

والواقع أن المذهب الجديد الذي جاء به الفاطميون إلى مصر واختلاف طبائع البربر عن عامة مصر، جعل هؤلاء المغاربة على علاقة سيئة مع أهل مصر وصلت إلى حد القيام بأعمال السلب والنهب والإعتداء على الحرمات، وقد تنبه القائد جوهر إلى ذلك فحظر على المغاربة السكنى في الفسطاط أو القاهرة[3]، وعندما قدم المعز لدين الله إلى مصر أدرك سوء هذه العلاقة، فقرر بناء معسكرات خاصة بالمغاربة خارج مصر عرفت بخندق العبيد (نسبة إلى عبيد زَويلة القادمين مع كُتامة) وأسكنهم فيها، إلا أن المعز عدل عن هذه السياسة، فسمح للمغاربة بالسكنى في القاهرة بعد أن هدد كل من تصدر بحقه شكوى من العامة[4].

(أ) كُتامة:

استمرت كُتامة في أداء دورها العسكري بعد انتقال الفاطميين إلى مصر، فعليها وقع العبء الأكبر في قتال الكافورية والإخشيدية أثناء فتح مصر تحت قيادة أبرز زعمائها جعفر بن فلاح الكتامي الذي انتدبه القائد جوهر لقتال هذه

=

وزميله، القاهرة، ١٩٦٩م، ص١٨٠، (يشار إليه فيما بعد: ابن ظهيرة: الفضائل الباهرة)، محمد عنان: مصر الإسلامية وتاريخ الخطط المصرية، مكتبة الخانجي، مصر، ١٩٦٩م، ص٢٠، (يشار إليه فيما بعد: عنان: مصر الإسلامية)، زكي: الجيش المصري، ص٣٢.

(١) ابن دقماق: الانتصار، ج٥، ص٣٧، المقريزي: الخطط، ج٢، ص١٠.

(٢) المقريزي: الخطط، ج٢، ص١٠.

(٣) لقبال: دور كتامة، ص٤٩٧.

(٤) المقريزي: اتعاظ، ج١، ص١٤٥، لقبال: دور كتامة، ص٤٩٧-٤٩٨.

العناصر التي رفضت تسليم مصر بالأمان الذي أعطي لأهلها[١].

والواقع أن إسناد قيادة جيش معظمه من بربر كتامة لقائد من العبيد الصقالبة، قد أثار المنافسة بين جعفر الكتامي وجوهر الصقلي، مما جعل الأخير يفكر في إبعاد جعفر عن مصر، فأسند إليه قيادة الجيش المتوجه لفتح بلاد الشام سنة ٣٥٨هـ/٩٦٨م[٢]، حتى إذا نجح جعفر في مهمته تلك سارع إلى مكاتبة المعز في المغرب بأنباء الفتح مُتجاهلاً قائده جوهر في مصر –وكأنه يريد أن يمهد لاستقلال كتامة ببلاد الشام- فعاتبه المعز ورد عليه بأن لا يتجاوز رئيسه جوهراً[٣].

ولم تقف المنافسة بين جوهر وجعفر عند ذلك الحد، بل أن جوهر لم يرسل المساعدات العسكرية إلى جيش جعفر عندما حوصر في دمشق أمام القرامطة، مما جعل الكُتاميين يخسرون معركتهم وقائدهم سنة ٣٦٠هـ/٩٧٠م[٤] ويبدو أن أعداد كُتامة الكبيرة التي قدمت إلى مصر، جعلت جوهراً يخشى من ارتفاع مكانة جعفر الكتامي، باعتباره أبرز شخصيات البربر، الأمر الذي يهدد مكانة جوهر التي حصل عليها سواء في المغرب أو بعد فتح مصر.

ظلت كتامة تتمتع بامتيازاتها ومكانتها طوال عهد المعز في مصر، حتى

---

(١) ابن خلكان: وفيات، ج١، ص٣٦١، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ١٢ج، دار الكتب، القاهرة، د.ت، ج٤، ص٢٧، (يشار إليه فيما بعد: ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة).

(٢) المقريزي: اتعاظ، ج١، ص١٤٧–١٥٧، المقفى، ج٣، ص٩٠–٩٩.

(٣) المقريزي: اتعاظ، ج١، ص١١٨، لقبال: دور كتامة، ص٤٨٨.

(٤) ابن القلانسي: أبو يعلى حمزة بن أسد، (ت٥٥٥هـ/ ١١٦٠م): تاريخ دمشق، تحقيق سهيل زكار، دار حسان، دمشق، ١٩٨٣م، ص١–٢، (يشار إليه فيما بعد: ابن القلانسي: تاريخ)، العمري: مسالك، ج٢٦، ورقة ١٦٢، الصفدي: الوافي، ج١١، ص١٢٣، ابن أيبك: الدرة المضية، ص١٣٥، ابن الأثير: الكامل، ج٨، ص٦١٥، المقريزي: اتعاظ، ج١، ص١٨٧–١٨٨، والمقفى، ج٣، ص٥٧، ادريس: تاريخ، ص٧١٣.

تراجعت تلك المكانة ابتداء من عهد العزيز بالله الذي اصطنع عناصر جديدة في الجيش من الأتراك والديلم[١]، الأمر الذي أدى إلى استياء الكُتاميين الذين عبروا عن رفضهم لهذه السياسة بحركات عصيان وشغب وإثارة للنزاع مع العناصر الجديدة[٢].

وإزاء شعور الكتاميين بفضلهم على الدولة، ورغبة في استعادة مكانتهم التي أنقصها إدخال العناصر الجديدة، فقد قاموا باستغلال تولية الخليفة الجديد للحكم، فتخلف عدد كبير من قادة كتامة وجنودها عن البيعة للحاكم بأمر الله، الذي ولي الخلافة صغيراً في أواخر رمضان سنة ٣٨٦هـ/٩٦٦م، واشترطوا لهذه البيعة جملة شروط تعيد لهم مكانتهم وهي: ١. عزل عيسى بن نسطورس[٣]، ٢. إسناد الوساطة[٤] إلى رجل من المغاربة، ٣. دفع مخصصاتهم المالية[٥].

وقد سعى الحسن ابن عمار[٦] "شيخ كُتامة" وكبيرها مع بعض القادة إلى

---

(١) Beshir: Fatimied Military Organization (Der Islame, Berlin, New York, 1978, P. 37-56) P. 38-39 (يشار إليه فيما بعد: Beshir: Fatimid).

(٢) لقبال: دور كتامة، ص٤٩٨.

(٣) عيسى ابن نسطوريس: وهو من كبار المسؤولين عن القضايا المالية في عهد الحاكم، توفي في سنة ٤٠٣هـ/١٠١٢م، المقريزي: اتعاظ، ج٢، ص٩٣.

(٤) الوساطة: وهي وظيفة في معنى رتبة الوزارة، المقريزي: الخطط، ج٢، ص١٢.

(٥) ابن ميسر: محمد بن علي (ت٦٧٧هـ/١٢٧٨م): المنتقى من أخبار مصر، تحقيق أيمن السيد، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، ١٩٨١م، ص١٧٧-١٧٨، (يشار إليه فيما بعد: ابن ميسر: المنتقى)، المقريزي: الخطط، ج٢، ص٣٦، المقفى، ج٣، ص٤٣٧، اتعاظ، ج٢، ص٤، ٦، حسن ابراهيم: تاريخ الدولة الفاطمية، (دار النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٨١م)، ص١٦٤، (يشار إليه فيما بعد: حسن: تاريخ الدولة الفاطمية)، لقبال: دور كتامة، ص٤٩٩-٥٠٠.

(٦) الحسن بن عمار بن علي بن أبي الحسين، واسمه محمد بن الفضل بن يعقوب، وهو من أفراد أسرة بنو الكلبي العربية، ولقب "شيخ كتامة" هو ضرب من الولاء بين البربر وهذه القبيلة العربية، أُرسل إلى مصر على رأس الأسطول سنة ٣٥٩هـ/٩٦٩م، أوصاه العزيز بابنه الحاكم قبل موته، المقريزي: المقفى، ج٣، ص٤٣٤-٤٣٧، وهامش (٢) من ص٤٣٤.

الصلح بين الحاكم والمتخلفين عن البيعة، حتى تقرر الأمر على دفع المخصصات المالية وإسناد الوساطة وشؤون الإشراف على كتامة إلى الحسن بن عمار في ذلك العام، فالتزمت كتامة بالطاعة[1].

وقد عرف الحاكم لابن عمار فضله في إرجاع كتامة إلى الطاعة، فلقبه بأمين الدولة وخاطبه قائلاً: "أنت أمين على دولتي ورجالي"[2]، وهو أول من حظي بهذا اللقب من رجال الدولة الفاطمية، وقرر له امتيازات عديدة أطلقت يده في شؤون الدولة إطلاقاً كاملاً[3].

وسرعان ما عادت كتامة للتنفذ في الدولة، فاستعان ابن عمار بقادة كتامة في تسيير شؤون الدولة[4]، وغدت مكانته عالية بين رجال الجيش، وأصبحت داره محط جذب لرجال الدولة وموظفيها وعامتها، الذين كانوا يفدون كل صباح للسلام عليه، ويقفون مع وجوه كتامة في ترتيب خاص، وخَوَّل ابن عمار لنفسه دخول قصر الخلافة راكباً من الباب الخاص بجلوس خدم الخليفة، وكان يشق الدواوين ولا ينزل إلا أمام الحجرة التي يوجد فيها الخليفة، وإذا ركب إلى القصر سارع رجال الدولة إلى تقبيل يده أو ركبته أو ركابه كل حسب درجته وقربه منه[5].

لم يكتفِ الكتاميون باستعادة نفوذهم في الدولة، بل اتجهوا إلى التطرف في

---

(١) ابن ميسر: المنتقى، ص١٧٨، المقريزي: الخطط، ج٢، ص٣٦.

(٢) المقريزي: اتعاظ، ج٢، ص٥، الخطط، ج٢، ص٣٦، والمقفى، ج٣، ص٤٣٧، الروذاوري: أبي شجاع محمد بن الحسن (ت٤٨٨هـ/٩٩٥م): ذيل تجارب الأمم، نشر امدروز، القاهرة، د.ت، ج٣، ص٢٢٢، (يشار إليه فيما بعد: الروذاوري: ذيل).

(٣) ابن الأثير: الكامل، ج٩، ص١١٨، ابن القلانسي: تاريخ، ص٧٥، المقريزي: الخطط، ج٢، ص٣٦، محمد جمال الدين سرور: مصر في عصر الدولة الفاطمية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، د.ت، ص٧٣، (يشار إليه فيما بهد: سرور: مصر).

(٤) لقبال: دور كتامة، ص٥٠٠.

(٥) المقريزي: الخطط، ج٢، ص٣٦، والمقفى، ج٣، ص٤٣٨.

التعامل مع الخليفة وباقي عناصر الجيش والعامة، وأدى ضغطهم على ابن عمار إلى اتجاه الأخير نحو الانحراف لإرضاء أحداث كتامة الذين اتخذ منهم حرساً خاصاً له، وقد تطاول هؤلاء الأحداث بشدة وقسوة على رجال الدولة وعناصر الجيش من الأتراك، كما امتدت أيديهم إلى أموال العامة وحرماتهم[١].

ومما يلفت النظر إلى أنهم ألحوا على ابن عمار بضرورة التخلص من الخليفة الحاكم قائلين له: "لا حاجة لنا إلى إمام نقيمه ونتعبد له"[٢]، وكأنهم بذلك يريدون أن تكون رئاسة الدولة فيهم، فلا يجرؤ أحد على أن يحط من مكانتهم أو يدخل عناصر جديدة في الجيش، ولما كان طلبهم هذا خطراً على مكانة ابن عمار فإنه لم يذعن لهم وطمأنهم بأنهم أصحاب السيادة وليس للحاكم سلطة عليهم[٣].

وإرضاءً لأحداث كتامة اشتط ابن عمار في نهب أموال الدولة وتوزيعها عليهم، في حين قطع أرزاق ورسوم منافسيهم من الأتراك، الأمر الذي هيأ الظروف لاصطدام كتامة بعناصر الجيش الأخرى من المشارقة[٤].

وقد استغل برجوان[٥]، الاستياء العام من تصرفات ابن عمار والكُتاميين، واستطاع أن يُشكل من الأتراك والديلم والعبيد حزباً واجه به المغاربة في محاولة لإقصاء ابن عمار عن الوساطة والاستبداد هو بها[٦]، وقد ساعده في ذلك بعض شيوخ كتامة الذين أقصاهم ابن عمار عن السلطة وولى مكانهم بعض شُبان

---

(١) ابن القلانسي: تاريخ، ص٧٥، ابن الأثير: الكامل، ج٩، ص١١٨، المقريزي: الخطط، ج٢، ص٣٦، واتعاظ، ج٢، ص١٢.

(٢) ابن القلانسي: تاريخ، ص٧٥، المقريزي: اتعاظ، ج٢، ص١١.

(٣) ابن القلانسي: تاريخ، ص٧٥، ابن الأثير: الكامل، ج٩، ص١١٨، النويري: نهاية الأرب، ج٢٨، ص١٦٩.

(٤) ابن ميسر: المنتقى، ص١٨١، المقريزي: اتعاظ، ج٢، ص١١-١٢، والمقفى، ج٣، ص٤٣٨-٤٣٩، لقبال: دور كتامة، ص٥٠٢.

(٥) انظر الحديث عنه فيما يلي: (الصقالبة والأتراك).

(٦) لقبال: دور كتامة، ص٥٠٢.

كُتامة وأحداثها[1].

وبسبب حاجته إلى أعداد كبيرة من الأتراك لمقاومة العدد الكبير من كتامة، لجأ برجوان إلى استمالة أتراك دمشق بقيادة مَنجوتكين التركي[2]، الذي بعث إليه يعرفه حال اخوانه المشارقة وقد استطاع منجوتكين حشد جيش قوامه ٦ آلاف من الأتراك والعربان للتوجه إلى مصر، بعد أن خطب فيهم قائلاً: "وصار إخواننا المشارقة بينهم (المغاربة) كالذمة بين المسلمين، وما يسعنا الصبر على هذه الصورة، وتسليم الدولة إلى هذه العصابة المتسلطة"[3].

وصلت تلك الأنباء إلى ابن عمار فشعر بخطورة الموقف، وصور للخليفة والعامة منجوتكين بصورة الخارج عن الطاعة، وحشد لقتاله جيشاً كبيراً من كتامة والغلمان والعربان وعهد بقيادته إلى سليمان بن جعفر[4] وأخيه علي بن جعفر[5]، وقد اشترك الحاكم في وداع هذا الجيش الذي خرج إلى الشام في محرم سنة ٣٨٧هـ/٩٩٧م[6]. كما سعى ابن عمار إلى استحلاف برجوان وشُكر العضدي[7] على الطاعة، مُتعهداً بإنصاف

---

(١) ابن ميسر: المنتقى، ص١٨١.

(٢) انظر الحديث عنه فيما يلي: (الأتراك).

(٣) ابن القلانسي: تاريخ، ص٧٦-٧٧، وانظر: الروذاوري: ذيل، ج٣، ص٢٢٢، محمد المناوي: الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي، (دار المعارف، مصر، د.ت)، ص١٧٤، (يشار إليه فيما بعد: المناوي: الوزارة).

(٤) سليمان بن جعفر: لم أجد ترجمة لحياته قبل دخوله في خدمة الفاطميين.

(٥) علي بن جعفر: أبو الحسن علي بن جعفر بن فلاح الكتامي، من كبار الوزراء الفاطميين، قتل سنة ٤٠٩هـ/١٠١٨م، ابن الصيرفي: أمين الدين علي بن منجب (ت٥٤٢هـ/١١٤٧م)، الإشارة إلى من نال الوزارة، تحقيق أيمن السيد (مع كتاب قانون ديوان الرسائل)، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ١٩٩٠م، ص٦٢-٦٣، (يشار إليه فيما بعد: ابن الصيرفي: الإشارة).

(٦) ابن الصيرفي: الإشارة، ص٦٣، ابن القلانسي: تاريخ، ص٧٧، ابن الأثير: الكامل، ج٩، ص١١٩، المقريزي: اتعاظ، ج٢، ص٨-٩، والمقفى، ج٣، ص٤٣٨.

(٧) انظر عنه فيما يلي (الأتراك).

المشارقة[١]، وقد التقى جيش كتامة مع جيش الأتراك في عسقلان[٢]، وتمكنت كُتامة من إلحاق الهزيمة بالأتراك وإرسال مَنجوتكين أسيراً إلى القاهرة[٣].

لم ينتهِ الخلاف بين برجوان وابن عمار عند هذا الحد، إذ بدأ برجوان حركة مناهضة لابن عمار والكُتاميين، مُستغلاً خروج أكثر كتامة إلى الشام، واستطاع أن يستميل أحد قادة كتامة البارزين وهو جيش بن محمد بن الصمصامة[٤]، الذي عزله سليمان بن جعفر عن طرابلس وعين كُتامياً آخر مكانه[٥].

رأى ابن عمار أن الأمور لن تستقيم له إلا إذا تخلص من برجوان ومساعده شُكر، لكنه فشل في ذلك بسبب مراقبة برجوان المستمرة والدقيقة لتصرفات ابن عمار، فتوجه برجوان وشكر إلى قصر الحاكم يستغيثان به من ابن عمار، واستطاعا بالصياح والنداء تحريض الأتراك والعبيد على قتال المغاربة، ثم اشتبك الطرفان في قتال عام، خاضه ابن عمار بأعداد قليلة من كُتامة ضد المشارقة الذين قادهم برجوان وبعض القادة الأتراك الميزين أمثال (شكر، منجوتكين، يارختكين، إينال الطويل)[٦] ونتج عن القتال هزيمة

---

(١) ابن القلانسي: تاريخ، ص٧٧، لقبال: دور كتامة، ص٥٠٤.

(٢) عسقلان: مدينة على ساحل البحر في بلاد الشام تبعد عن غزة أربعة فراسخ، الحميري: الروض المعطار، ص٤٢٠.

(٣) الأنطاكي: تاريخ، ص٢٣٦، ابن القلانسي: تاريخ، ص٧٧–٧٨. M. Canard: Al-Hakim Bi Amr Allah, EI2, Vol (3) P. 77

(٤) جيش بن محمد: أبو الفتح جيش بن محمد بن الصمصامة، قدم مع المعز لدين الله إلى القاهرة سنة ٣٦٢هـ/٩٧٢م، وتولى دمشق في ربيع الآخر سنة ٣٦٤هـ/٩٧٤م، المقريزي: المقفى، ج٣، ص١١٧–١١٩.

(٥) ابن القلانسي: تاريخ، ص٨٠، لقبال: دور كتامة، ص٥٠٤–٥٠٥.

(٦) انظر عن هؤلاء فيما يلي (الأتراك).

منكرة للمغاربة[١]، تلاها استتار ابن عمار عند أحد العامة في الوقت الذي نهب فيه الأتراك قصره ودوره واسطبلاته، ودور بعض شيوخ كُتامة[٢].

وتلا هزيمة كُتامة، تجديد البيعة للحاكم، واستبداد برجوان بالحكم مكان ابن عمار، وقد أصدر برجوان أماناً للمغاربة بما فيهم ابن عمار الذي ظهر ولزم بيته مُنعزلاً عن السياسة، حتى أذن له الحاكم بالركوب للخدمة، وأطلقت له جميع مخصصاته المالية والعينية[٣].

وأسرع برجوان إلى تسوية الأمور في دمشق، فأرسل إلى المشارقة فيها بالثورة على سليمان بن جعفر ومن معه من المغاربة، فاضطر سليمان للتوجه إلى الرملة[٤]، ولم يكتفِ برجوان بذلك بل سعى إلى الحاكم بضرورة التخلص من ابن عمار، فتم ذلك في منتصف شوال سنة ٣٩٠هـ/١٠٠٠م[٥].

ثم أرسل الحاكم إلى ابن عمار المقتول يوسف بن أبي الحسين الكلبي – والي صقلية- بأسباب التخلص من ابن عمار، وبرر قتله بكثرة انحرافاته، وأفعاله الاستبدادية التي أثارت الفتنة بين عناصر الجيش[٦].

---

(١) الأنطاكي: تاريخ، ص٢٣٩-٢٤٠، ابن القلانسي: تاريخ، ص٨٠، ابن الأثير: الكامل، ج٩، ص١١٩-١٢٠، ابن سعيد: أبو الحسن علي بن موسى (ت٦٥٨هـ/١٢٨٦م)، النجوم الزاهرة في حلي حضرة القاهرة، تحقيق حسين نصار، دار الكتب القاهرة، ١٩٧٠م، ص٥٥، (يشار إليه فيما بعد: ابن سعيد: النجوم الزاهرة)، المقريزي: اتعاظ، ج٢، ص١٢-١٣، الخطط، ج٢، ص٣٧، المقفى، ج٣، ص٤٣٩-٤٤٠، سرور: مصر، ص٧٣، لقبال: دور كتامة، ص٥٠٥.

(٢) ابن القلانسي: تاريخ، ص٨٠، المقريزي: المقفى، ج٣، ص٤٤٠.

(٣) ابن القلانسي: تاريخ، ص٨١، ابن الأثير: الكامل، ج٩، ص١٢٠، المقريزي: الخطط، ج٢، ص٣٧، المقفى، ج٣، ص٤٤٠، لقبال: دور كتامة، ص٥٠٥.

(٤) ابن القلانسي: تاريخ، ص٨٢، المناوي: الوزارة، ص١٧٤.

(٥) الأنطاكي: تاريخ، ص٢٤٠، ابن الصيرفي: الإشارة، ص٥٦، ابن ميسر: المنتقى، ص١٨١، المقريزي: الخطط، ج٢، ص٣٧.

(٦) ابن الصيرفي: الإشارة، ص٥٦-٥٧، لقبال: دور كتامة، ص٥٠٦.

تراجعت مكانة كتامة وفقدت امتيازاتها بعد مقتل زعيمها، واستبداد برجوان والأتراك بالسلطة، وتماديه في النَيل منهم والسعي لتصفية أبرز عناصرهم، لكن برجوان لم يسعد طويلاً بالوساطة، فقد أدى تهاونه بشأن الحاكم والتقليل من هيبته إلى قيام الخليفة بقتله في نفس العام الذي قُتل فيه ابن عمار[1].

ويبدو أن سرعة الحاكم في التخلص من برجوان قد امتصت غضب الكُتاميين، ومنعتهم من التعبير عن سخطهم بالثورة، بل أن الحاكم سارع بعد مقتل برجوان إلى الإشادة بكُتامة وأعلن أمام شيوخهم وقادتهم بأنهم لا زالوا عماد الدولة وأساسها فخاطبهم قائلاً: "أنتم شيوخ دولتي، وأنتم الآن عندي أفضل مما كنتم فيه مما تقدم"[2].

ولما كانت هذه الكلمات تهدأةً لخواطر الكتاميين، فإن الحاكم لم ينسَ ما قام به أحداث كتامة أيام استبداد ابن عمار، فلم يتورع عن التخلص من عدد كبير من الكتاميين، ولم يكتفِ بقتلهم بل أحرق جثثهم بالنار[3].

وقد عبَّر الكتاميون عن سخطهم على الحاكم بالتقاعس عن قتال أبي ركوة[4]، عندما أرسلهم الحاكم لقتال هذا الثائر تحت قيادة إينال الطويل، ولم

---

(١) ابن القلانسي: تاريخ، ص٩١، المقريزي: المقفى، ج٢، ص٥٧٣-٥٧٥، لقبال: دور كتامة، ص٥٠٦، Lewis: Barjwan, EI2, Vol (1). P. 1042.

(٢) ابن ميسر: المنتقى، ص١٨٢، المقريزي: اتعاظ، ج٢، ص٢٧.

(٣) المقريزي: اتعاظ، ج٢، ص٤٧، لقبال: دور كتامة، ص٥٠٧-٥٠٨.

(٤) أبو ركوة: اسمه الوليد، وهو من نسل هشام بن عبد الملك بن مروان، هرب من الأندلس بعد استيلاء المنصور بن أبي عامر على الحكم، وقصد مصر حيث كتب الحديث وأخذ يعلم الصبيان، ثم ثار على الحاكم في سنة ٣٩٥هـ/١٠٠٤م، ودعا للقائم العباسي، وقد استجاب له بنو قرة وغيرهم، وسمي أبو ركوة لركوة كان يحملها للوضوء على طريقة الصوفية. ابن الأثير: الكامل، ج٩، ص١٩٧-١٩٨، الذهبي: دول الإسلام، (٢ق)، نشر عبد الله الأنصاري، قطر، د.ت، ق١، ص٢٣٨، (يشار إليه فيما بعد: الذهبي: دول)، تاريخ الإسلام، (٣٨١-٤٠٠هـ)،

ينسَ الكتاميون ما فعله هذا القائد التركي بهم أثناء قتالهم السابق مع الأتراك، فتخلوا عنه ليهزم ويقتل وتقطع أوصاله من قبل جيش الثائر[١]، كما استأمن جماعة من جند كتامة إلى أبي ركوة، مما جعل نطاق الثورة يتسع ويزداد، ولم ينجح القائد الكُتامي علي بن جعفر بن فلاح في هزيمة أبي ركوة حتى تمكن القائد الفضل بن صالح[٢] من إخماد الثورة واعتقال أبي ركوة في سنة ٣٩٧هـ/١٠٠٦م[٣].

ثم جاء انتقام كُتامة الأخير من الحاكم بالتآمر على قتله، على يد أحد كبار قادتهم حسين بن علي بن دواس[٤] الذي استمالته أخت الحاكم (ست المُلك)، لقتل أخيها الخليفة عندما اتهمها الأخير بشرفها، ورأت فيه خطراً عليها وعلى الدولة، فأوعزت إليه بالتخلص من الحاكم والبيعة لابنه الظاهر[٥]، والواقع أن ابن دواس كان يشعر بأن الحاكم سوف يقتله يوماً ما -في ضوء سياسة الحاكم التي انتهجها في التخلص من كبار رجال الدولة ومظفيها- فانقطع ابن دواس عن الذهاب للقصر والركوب للخدمة، فسأله الحاكم عن ذلك، فرد عليه ابن

=

تحقيق عمر تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٣م، ص٢٣٥، (يشار إليه فيما بعد: الذهبي: تاريخ الإسلام).

(١) ابن الأثير: الكامل، ج٩، ص١٩٩، ابن خلدون: العبر، ج٤، ق١، ص١٢٠-١٢٣، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٤، ص ٢١٥-٢١٧.

(٢) الفضل بن صالح: لم أجد ترجمة حول حياته قبل اللحاق بخدمة الفاطميين.

(٣) ابن الأثير: الكامل، ج٩، ص١٩٩-٢٠٣، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٤، ص٢١٧.

(٤) ابن دواس: سيف الدين حسين بن علي بن دواس الكتامي، أحد شيوخ كتامة، نبغ في عهد الحاكم، قتل سنة ٤١١هـ/١٠٢٠م، المقريزي: المقفى، ج٣، ص٥٦٠.

(٥) ابن الجوزي: المنتظم، ج١٥، ص١٤٠-١٤٢، ابن العميد: المكين جرجس أبو العباس، (ت٦٧٢هـ/١٢٧٣م)، تاريخ ابن العميد، مخطوط الجامعة الأردنية، رقم ٥٤٠، ورقة ١٤١ب-١٤٣ب، (يشار إليه فيما بعد: ابن العميد: تاريخ)، الذهبي: سير، ج١٥، ص١٨١-١٨٢، تاريخ الإسلام، (٤٠١-٤٢٠هـ)، ص٢٤٢، المقريزي: المقفى، ج٣، ص٥٦١، لقبال: دور كتامة، ص٥١٠. M. Canard: Al-Hakim Bi Amr Allah, EI2, Vol(3) P. 80

دواس قائلاً: "يا مولانا إن شئت أن تقتلني فما أحد يخالف أمرك، فأما أن تقتلني في قصرك ثم تحرق جثتي وتأمر بها للكلاب فلا تطيب نفسي"(١) وبناءً على ذلك لم يتردد ابن دواس في قبول المهمة، خاصة بعد أن تلقى وعداً من ست الملك، بأنه سيكون صاحب التصرف المطلق في شؤون الدولة(٢).

ولما تمت المؤامرة وبويع الظاهر بالخلافة في ذي القعدة سنة ٤١١هـ/١٠٢٠م، لم ينعم ابن دواس بالمكانة الجديدة طويلاً، بل رأت فيه ست الملك خطراً عليها لأنه المطلع على خيوط المؤامرة التي حاكتها، فدبرت قتله في القصر مُعلنة أنها اقتصت من قاتل أخيها(٣)، ثم قتلت زعيماً كتامياً آخر هو أبو الحسن عمار بن محمد(٤) في ذي الحجة من سنة ٤١٢هـ/١٠٢١م واستبدت بأمور الدولة إلى جانب الظاهر(٥).

ولم تكن كتامة في عهد الظاهر بأفضل مما كانت عليه في السابق، إذ كان اتجاه الدولة في استمرار الاعتماد على المشارقة في الجيش والإدارة -مع تجاهل العناصر القديمة من المغاربة- سبباً في قيام فتنة جديدة بين المغاربة والأتراك سنة ٤٢٠هـ/١٠٢٩م راح ضحيتها عدد كبير من الطرفين، وقد اشترك العامة في القتال إلى جانب كُتامة مما أدى إلى هزيمة الأتراك ثم سعى الظاهر في الصلح بينهما(٦).

---

(١) ابن ظافر: أخبار، ص٥٧، المقريزي: المقفى، ج٣، ص٥٦١.

(٢) ابن ظافر: أخبار، ص٥٧، المقريزي: المقفى، ج٣، ص٥٦٣.

(٣) ابن الجوزي: المنتظم، ج١٥، ص١٤٣، ابن العميد: تاريخ، ورقة ١٤٣أ-ب. المقريزي: المقفى، ج٣، ص٥٦٣.

(٤) هو الأمير الخطير رئيس الرؤساء أبي الحسن عمار بن محمد كان يتولى ديوان الإنشاء واليه زم المشارقة والأتراك، وهو الواسطة بين الحضرة وبين هذه الطوائف، وخلع عليه بالوساطة أيام الخليفة الظاهر، سنة ٤١٢هـ/١٠٢١م، انظر: ابن الصيرفي: الإشارة، ص٦٥.

(٥) لقبال: دور كتامة، ص٥١٢.

(٦) المقريزي: اتعاظ، ج٢، ص١٧٧.

وفي عهد المستنصر يمكن تمييز فترتين تتعلقان بأوضاع كتامة في القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، الأولى: والتي تسبق ظهور الأمير بدر الجمالي[١]، تُظهر أن كُتامة كانت لا تزال في صراع مستمر مع المشارقة وخاصة الأتراك[٢]، وقد قدر ناصر خسرو الرحالة الفارسي الذي زار مصر في عهد المستنصر، أعداد كُتامة في هذه الفترة بـ٢٠ ألفاً عند وصف الاستعراض العسكري الذي قام به الجيش الفاطمي بمناسبة فتح الخليج[٣].

أما الفترة الثانية: والتي تميزت باستقدام المستنصر لبدر الجمالي الأرمني والي عكا إلى مصر للقضاء على الفتن المنتشرة فيها، فقد ظهر العنصر الأرمني واضحاً فيها سواء في الجيش أو على مسرح السياسة، وتراجعت كتامة في المقابل[٤]، حتى ذكر المقريزي أنه "صار من حينئذ معظم الجيش الأرمن، وذهبت كُتامة وصاروا من جملة الرعية بعد أن كانوا وجوه الدولة وأكابر أهلها"[٥]، ويبدو أن التصفية التي قام بها بدر الجمالي لرؤوس الفتنة في مصر، قد شملت أعداداً كبيرة من كتامة والأتراك.

وبعد وفاة المستنصر أيدت كُتامة خلافة المستعلي ضد أخيه نزار، ووقفت بقايا كُتامة مع الأفضل بن بدر الجمالي في قتال نزار وأعوانه حتى أخمدوا ثورته في الاسكندرية في سنة ٤٨٧هـ/١٠٩٤م[٦].

---

(١) انظر الحديث عنه فيما يلي (الأرمن).

(٢) ابن ميسر: المنتقى، ص٣-٥، المقريزي: اتعاظ، ج٢، ص٣٠٢، الخطط، ج١، ص٣٥٦، أيمن السيد: الدولة الفاطمية، ص١٣٦.

(٣) ناصر خسرو: سفرنامة، ترجمة يحيى الخشاب، دار الكتاب الجديد، بيروت، ١٩٨٣م، ص٩٤، (يشار إليه فيما بعد: خسرو: سفرنامة).

(٤) Beshir: Fatimid, P. 39.

(٥) المقريزي: الخطط، ج٢، ص١٢.

(٦) لقبال: دور كتامة، ص٥١٦.

ويمكن القول أنه منذ عهد الحافظ لم يُشر إلى كتامة صراحة في الأحداث الداخلية المتعلقة بالصراع بين الجند، إذ تشير المصادر إلى أحداث هذا الصراع بين طوائف الجند المنسوبة للخلفاء والوزراء، دون الإشارة إلى عناصرها البشرية باستثناء الأرمن والسودان الذين ظل يرد ذكرهم حتى نهاية الدولة الفاطمية[١]، ويبدو أن تزايد عناصر الجيش المصطنعة من الأتراك والسودان والأرمن، قد أدى إلى تراجع مستمر لكُتامة وغيرها من البربر، حتى لم نعد نسمع عن وجود لهذه العناصر في حوادث السنوات الأخيرة لسقوط الدولة الفاطمية.

(ب) المَصامِدة:

ينتمي المصامدة إلى قبيلة مصمودة إحدى قبائل بربر البرانس[٢]، وقد شارك العديد من أفراد هذه القبيلة في الفتح الفاطمي لمصر، وشكلوا جزءاً من المغاربة الذين لعبوا دوراً هاماً في فتح بلاد الشام[٣].

لم توضح المصادر حجم المصامدة في الجيش الفاطمي، ولكن يبدو أن أعدادهم كانت كبيرة، فقد ذكر الرحالة الفارسي ناصر خسرو الذي زار مصر في عهد المستنصر ووصف الجيش الفاطمي، بأن المصامدة كان عددهم ٢٠ ألف رجل[٤]، ومن هذه الطائفة جماعة مرابطة في دمشق مع عناصر أخرى من المغاربة، يرأسهم مقدم منهم، كالأمير رزين الدولة انتصار بن يحيى المصمودي[٥]، الذي

---

(١) انظر الفصل الثالث من هذه الدراسة.

(٢) ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، ص٤٩٥، القلقشندي: قلائد الجمان، ص١٦٧.

(٣) ابن القلانسي: تاريخ، ص١٧٤-١٧٥، ابن الأثير: الكامل، ج١٠، ص٩٩-١٠٠، ابن ميسر: المنتقى، ص٤٢-٤٣.

(٤) خسرو: سفرنامة، ص٩٤.

(٥) لم أجد له ترجمة.

كان مقدمهم سنة ٤٦٨هـ/١٠٧٥م[١]. كما وجدت جماعة من المصامدة في مدينة حلب مع عريف لهم ورد ذكرهم أثناء مهاجمة الأمير انوشتكين[٢] هذه المدينة سنة ٤٢٨هـ/١٠٣٦م[٣].

ورغم أعداد المصامدة الكبيرة إلا أنهم لم يختطوا لأنفسهم حارة خاصة بهم عند بناء القاهرة كما فعلت القبائل الأخرى، ويظهر أنهم اشتركوا مع كُتامة في الإقامة بحارة كُتامة التي كانت أكبر حارات القاهرة آنذاك، وظل المصامدة كذلك حتى اختطت لهم حارة مستقلة بهم في خلافة الآمر بأحكام الله، ووزيره أبي عبد الله البطائحي[٤]، فقد ذكر المقريزي أن حارتهم ظهرت بعد عام ٥١٥هـ/١١٢١م عندما نوه الوزير البطائحي بذكر مقدم هذه الطائفة في ذلك الوقت وهو عبد الله المصمودي[٥]، وجعله أميناً على أمواله وممتلكاته، وكلفه باختيار حارة لطائفته، فوقع اختياره على بناء حارة لهم خارج باب الحديد[٦]، واشتهر من هذه الحارة الحي الذي عرف بحي بني سوس، الذين ينتمون إلى هذه الطائفة[٧].

---

(١) ابن الأثير: الكامل، ج١٠، ص٩٩-١٠٠، الذهبي: سير، ج١٥، ص١٩٣، ابن العديم: بغية الطلب في تاريخ حلب، ١١ج، تحقيق سهيل زكار، دمشق، ١٩٨٨م، ج٨، ص٣٦٧٧، (يشار إليه فيما بعد: ابن العديم: بغية الطلب)، الذهبي: تاريخ الإسلام، (٤٦١-٤٧٠هـ)، ص٣٢.

(٢) انظر ترجمته فيما يلي من هذا الفصل.

(٣) ابن العديم: بغية الطلب، ج٩، ص٤١٦٢.

(٤) أبو عبد الله محمد بن الأجل نور الدولة أبي شجاع الآمري، تولى الوزارة في ذي الحجة من سنة ٥١٥هـ/١١٢١م، ابن الصيرفي: الإشارة، ص١٠٣-١٠٧.

(٥) لم أجد له الترجمة.

(٦) ابن عبد الظاهر: محمد الدين عبد الله بن رشيد، (ت٦٩٢هـ/١٢٩٣م)، الروضة البهية الزاهرة في خطط المعزية القاهرة، مركز الوثائق والمخطوطات، مكتبة الجامعة الأردنية، مخطوط رقم ٥٤٣، ورقة ١٧٤ب، (يشار إليه فيما بعد: ابن عبد الظاهر: الروضة البهية)، المقريزي: الخطط، ج٢، ص٢٠، وانظر: القلقشندي: صبح الأعشى، ج٣، ص٣٥٩، Beshir: Fatimid, P. 39.

(٧) المقريزي: الخطط، ج٢، ص١٦.

(ج) البُرقية:

وهم جماعة من أهل بُرقة قدموا مع المعز لدين الله إلى مصر في سنة ٣٦٢هـ/٩٧٢م، واختطوا حارة لهم بالقاهرة عرفت باسمهم[١]، وقد أنشأ الصالح بن رزيك عندما تولى الوزارة في سنة ٥٤٩هـ/١١٤٩م فرقة من أمرائهم عرفوا بالبرقية، ازدادت أهميتها في أواخر العصر الفاطمي[٢].

ومن أشهر رجالات هذه الفرقة الأمير نجم الدين أبو الفتح سليم بن محمد بن مصال، الذي ولي الوزارة زمن الظافر بأمر الله، وقتل في فتنة ابن السلار[٣] في ذي القعدة من عام ٥٤٤هـ/١١٥٤م[٤]. ومنهم الوزير ضرغام بن سوار صاحب الباب[٥] الذي ولي الوزارة في أواخر العصر الفاطمي بالاستيلاء من الوزير شاور بن مجير السعدي[٦].

(د) زويلة:

وهم عناصر من الرقيق الأسود، موطنهم زويلة إحدى ضواحي مدينة المهدية[٧]، قدموا مع الجيش الفاطمي إلى مصر[٨]، وهم أول من اختطوا حارة لهم

---

(١) ابن عبد الظاهر: الروضة البهية، ورقة ١٥٥أ، ابن أيبك: الدرة المضية، ص١٤٠، ابن دقماق: الانتصار، ج٥، ص٣٧، القلقشندي: صبح الأعشى، ج٣، ص٣٥٤، المقريزي: الخطط، ج٢، ص١٢.

(٢) القلقشندي: صبح الأعشى، ج٣، ص٣٥٤. Beshir: Fatimid, P. 39 .

(٣) ابن الطوير: أبو محمد المرتضى عبد السلام بن الحسن القيسراني، (ت٦١٧هـ/١٢٢٠م): نزهة المقلتين في أخبار الدولتين، تحقيق أيمن فؤاد السيد، شتوتغارت، ١٩٩٢م، ص٥٥-٥٧، (يشار إليه فيما بعد: ابن الطوير: نزهة).

(٤) المقريزي: اتعاظ، ج٣، ص١٩٤-١٩٨.

(٥) صاحب الباب: وهي رتبة تلي الوزارة ويقال لها الوزارة الصغرى ينظر صاحبها في المظالم/صبح الأعشى، ٤٧٩/٣. وانظر الفصل الثالث من هذه الدراسة.

(٦) انظر عن هذين الوزيرين والصراع بينهما - في الحديث عن السودان في هذا الفصل.

(٧) عن دخول هؤلاء الرقيق في خدمة الفاطميين في المغرب، انظر الفصل الأول من هذه الدراسة.

(٨) لقبال: دور كتامة، ص٥٢٢.

في القاهرة عرفت بحارة زويلة[1].

(هـ) عناصر أخرى:

من العناصر المغربية التي شكلت الجيش الفاطمي في مصر، الجماعة التي عُرفت بـ "الباطلية" وهؤلاء قدموا مع جوهر إلى مصر، ولا ندري عن أصلهم شيئاً، أما سبب التسمية فترجع إلى أنهم لم يحضروا تقسيم المعز لدين الله الأموال على الجند عندما قدم إلى مصر، وعندما طلبوا مخصصاتهم لم يبق لهم شيء، فقالوا: "رُحنا في الباطل"[2]، فأطلق عليهم الباطلية، واختطوا حارة لهم في القاهرة عرفت باسمهم[3].

ويبدو أن هذه الطائفة هي التي ذكرها ناصر خسرو باسم "الباتليين" أثناء وصفه لعناصر الجيش الفاطمي في خلافة المستنصر بالله، خاصة وأنه لم يرد ذكر لـ "الباتليين" ضمن مصادر العصر الفاطمي، وقد وصفها ناصر خسرو بقوله: "وفرقة تسمى الباتليين، وهم رجال من المغرب دخلوا مصر قبل مجيء السلطان إليها، وقيل أن عددهم خمسة عشر ألف فارس"[4].

وقد ضم الجيش الفاطمي في مصر أعداداً قليلة من قبيلة صنهاجة البربرية، ورغم أن المصادر لم تذكر عنهم شيئاً في مصر، إلا أن الأمان الذي أصدره الحاكم بأمر الله للجند وأعيان الدولة في مصر سنة ٣٩٥هـ/١٠٠٤م، تضمن ذكراً للصنهاجيين[5].

---

(١) ابن أيبك: الدرة المضية، ص١٤٠، القلقشندي: صبح الأعشى، ج٣، ص٣٥٣، المقريزي: الخطط، ج٢، ص٤، ابن دقماق: الانتصار، ج٥، ص٣٧.

(٢) المقريزي: الخطط، ج٢، ص٨.

(٣) ابن عبد الظاهر: الروضة البهية، ورقة ١٥٥أ، المقريزي: الخطط، ج٢، ص٨، ابن دقماق: الانتصار، ج٥، ص٣٧.

(٤) خسرو: سفرنامة، ص٩٤-٩٥.

(٥) المقريزي: اتعاظ، ج٢، ص٥٦، والخطط، ج٢، ص٢١.

ويبدو أن السبب في قلة أعداد الصنهاجيين في جيش مصر، يعود إلى قيام دولتهم في المغرب في أعقاب رحيل المعز لدين الله إلى مصر، فلم تكن عند هؤلاء الصنهاجيين حاجة إلى ترك بلادهم ودولتهم قائمة بينهم.

(٢) المشارقة (العناصر المشرقية):

أطلقت لفظة "المشارقة" في الدولة الفاطمية على تلك العناصر التي أدخلها الخلفاء الفاطميون إلى الجيش في مصر من المناطق الشرقية للعالم الإسلامي في القرنين الرابع والخامس الهجريين، وقد جاءت هذه اللفظة لتمييز هذه العناصر عن "المغاربة" الذين جاءوا مع الفاطميين من المغرب، كما أطلق عليهم لفظة "المصطنعين" أو "الجنود المصطنعة"(١)، لتدل على حداثة دخولهم في الجيش واستخدام الخلفاء لهم، وقد أشار ناصر خسرو الذي زار مصر زمن المستنصر الفاطمي إلى أن المشارقة هم "ترك وعجم"(٢) وأن سبب التسمية تعود إلى أن "أصلهم ليس عربياً"(٣).

وقد ضمت مجموعة المشارقة في الجيش الفاطمي، العناصر التالية: الأتراك والديلم، الأرمن، الأكراد.

(أ) الأتراك والديلم:

أطلق اسم الترك عموماً على سكان سهوب آسيا الوسطى وبالتحديد حول حوض نهر ارتش، وهم شعوب بدوية كثيرة غلب عليها طابع الخشونة وامتهان

---

(١) ابن أيبك: الدرة المضية، ص٢٠٥، ٢٥٧، القلقشندي: صبح الأعشى، ج٣، ص٤٧٨، المقريزي: اتعاظ، ج٢، ص١٠.

(٢) خسرو: سفر نامة، ص٩٤.

(٣) المصدر ذاته، ص٩٤.

القتال، وتدفق معظمها إلى العالم الإسلامي في العصور الوسطى[١].

وقد دخل الأتراك في الجيوش الإسلامية في عهد مبكر يرجع إلى القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي، عندما أقصى الخليفة العباسي المعتصم بالله العرب عن الحياة العسكرية واعتمد على الأتراك في جيشه بصورة أساسية[٢].

وبالنسبة لمصر فقد ظهر العنصر التركي في جيوشها منذ أيام أحمد بن طولون -الذي كان تركياً في الأصل- حيث بلغ تعداد الأتراك في جيشه حوالي ٢٤ ألف غلام[٣]، وكان الأتراك أيضاً من العناصر التي تكون منها جيش الإخشيديين في مصر[٤].

أما الديلم، فهم من جند أسرة بني بويه الديلمية الشيعية، التي كان موطنها في جرجان وطبرستان، ثم استولت على السلطة في الدولة العباسية في بغداد منذ عام ٣٣٤هـ/٩٣٥م[٥]، وقد كانت عناصر كثيرة من هؤلاء الديلم قد تدفقت إلى بلاد الشام من العراق والجزيرة الفراتية في فترات مختلفة، واُستخدموا في جيوش الحمدانيين والعقيليين والمرداسيين[٦].

---

(١) باتولد: تاريخ الترك في آسيا الوسطى -ترجمة أحمد سليمان- القاهرة- ١٩٥٨م، ص١٢٢، (يشار إليه فيما بعد: باتولد: تاريخ الترك)، وحول قبائل الترك وتفرعاتها، وموجز عن تاريخها القديم، انظر: بارتولد: مادة "ترك" في دائرة المعارف الإسلامية (الترجمة العربية، القاهرة، د.ت)، ج٥، ص٣٤-٥٧.

(٢) المقريزي: الخطط، ج١، ص٩٤.

(٣) المقريزي: الخطط، ج١، ص٩٤، Beshir: Fatimid, P. 41.

(٤) سيدة كاشف: مصر في عهد الإخشيديين، القاهرة، د.ت، ص٢٥٧، (يشار إليه فيما بعد: كاشف: مصر).

(٥) ابن الأثير: الكامل، ج٨، ص٤٤٩-٤٥٠.

(٦) Beshir: Fatimid, P. 42.

يرجع استخدام الأتراك في الجيش الفاطمي إلى عهد العزيز بالله[1] الذي استخدم جماعة من الأتراك والديلم الذين قدموا مع قائدهم افتكين أو هفتكين، وكان هذا القائد التركي قد هرب من العراق إلى بلاد الشام بعد فتنة الأتراك في بغداد سنة ٣٦٣هـ/٩٧٣م، وبصحبته أربعمائة جندي من الأتراك والديلم، وقد استطاع هذا القائد الاستيلاء على دمشق بمساعدة أهلها وإخراج الحامية الفاطمية منها، كما استطاع -بمساعدة القرامطة- إلحاق الهزيمة بالجيش الفاطمي الذي أُرسل إليه من مصر بقيادة جوهر الصقلي والاستيلاء على بعض المدن الفاطمية الساحلية، إلى أن تمكن العزيز بالله من الخروج بنفسه على رأس الجيش وإلحاق الهزيمة به وبالقرامطة في سنة ٣٦٨هـ/٩٧٨م، ثم أسره واصطحبه إلى مصر[2].

- ولكن ما الذي دفع العزيز إلى استخدام هذه العناصر في الجيش؟

لم تذكر المصادر سبب ذلك، وقد حاول بعض الباحثين إرجاع ذلك إلى سعاية الوزير يعقوب بن كلس[3] عند العزيز لإدخال الأتراك في الجيش لإيجاد

---

(١) المقريزي: الخطط، ج١، ص٩٤، ج٢، ص١٩، ابن إياس: محمد بن أحمد (ت٩٣٠هـ/١٥٢٤م): بدائع الزهور في وقائع الدهور، ٥ج، تحقيق محمد مصطفى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٢م، ج١، ص١٩٢، (يشار إليه فيما بعد: ابن إياس: بدائع).

(٢) ابن سنان: ثابت بن سنان بن قرة (ت٣٦٥هـ/٩٧٥م): تاريخ أخبار القرامطة، تحقيق سهيل زكار، ضمن كتابه (الجامع في أخبار القرامطة)، دار حسان، دمشق، ١٩٨٧م، ص٢٣٤-٢٣٥، (يشار إليه فيما بعد: ابن سنان: تاريخ)، الأنطاكي: تاريخ، ص١٧٩-١٨٠، ابن القلانسي: تاريخ، ص١٠-٢٤، ٢٩-٣٥، ابن الأثير: الكامل، ص٦٥٧-٦٦٠، ابن العميد: تاريخ، ورقة ١٣٨أ-ب، العمري: مسالك، ج٢٦، ورقة ١٦٧، ابن كثير: البداية والنهاية، ج١١، ص٢٨٠-٢٨١، الذهبي: سير، ج١٥، ص١٦٠-١٦١، المقريزي: اتعاظ، ج١، ص٢٢٠-٢٢١، الخطط، ج٢، ص٩-١٠.

(٣) يعقوب بن كلس: كاتب يهودي اتصل بخدمة كافور الإخشيدي ثم أسلم، وأصبح وزيراً للعزيز الفاطمي سنة ٣٦٨هـ، ابن الصيرفي: الإشارة، ص٤٧-٤٩.

التوازن بين عناصر الجيش والحد من نفوذ المغاربة الذين تآمروا على حياة ابن كلس، ويستندون في ذلك إلى أن ابن كلس صاهر أحد الأتراك، ورتب بعض غلمانهم يركبون مع العزيز في المواكب والأعياد[١].

ويبدو أن السبب الفعلي في استخدام هذه العناصر هو إعجاب العزيز بشجاعتهم وقوتهم والتي لاحظها بنفسه عندما قاتل قائدهم، إذ يرد أن العزيز أعجب أثناء المعركة بشجاعة الفتكين وبراعته في القتال، يقول ابن الأثير: "فرأى العزيز من شجاعة الفتكين ما أعجبه، فأرسل إليه في تلك الحال يدعوه إلى طاعته ويبذل له الرغائب والولايات وأن يجعله مقدم عسكره والمرجوع إليه في دولته"[٢]، ولم يكن رفض الفتكين لتلك العروض لخوفه من العزيز، بل لاتفاقه مع القرامطة الذين يحارب معهم، كما لم تكن العروض خداعاً من العزيز، إذ نرى هذا الخليفة قد أكرم الفتكين بعد القبض عليه غاية الإكرام وأحسن إليه وصحبه إلى مصر وأسكنه ومن معه من الأتراك والديلم في حارات خاصة بهم[٣]، ليستخدمهم فيما بعد في الجيش، وعندما مات الفتكين سنة ٣٧٢هـ/٩٨٢م ميتة مشكوك فيها، اتهم العزيز وزيره ابن كلس بأنه هو الذي دبر له السم، لأن الفتكين كان يترفع عنه، فسجنه العزيز ثم أطلق سراحه[٤]، الأمر الذي يدعو إلى القول بأن استخدام الأتراك لم يكن لابن كلس دور فيه.

وسرعان ما اختطت حارتان للقادمين الجدد، حارة الديلم اسكن فيها جماعة من الأتراك والديلم، منهم أولاد معز الدولة البويهي مولى الفتكين سنة

---

(١) المناوي: الوزارة، ص١٧٣، عارف تامر: العزيز بالله (دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٨١م)، ص٤٨-٤٩، (يشار إليه فيما بعد: تامر: العزيز بالله).

(٢) ابن الأثير: الكامل، ج٨، ص٦٦٠.

(٣) ابن الأثير: الكامل، ج٨، ص٦٦٠-٦٦١، المقريزي: الخطط، ج٢، ص١٠.

(٤) المقريزي: الخطط، ج٢، ص١٠.

٣٦٨هـ/٩٧٨م[١]، وحارة للأتراك، وهي مجاورة ونافذة لحارة الديلم، تفرد أحياناً لوحدها وأحياناً أخرى تضم لحارة الديلم، انزلت فيها جماعة الأتراك تلك[٢]، ويذكر المقريزي أن هذه الحارة "كانت مختلطة بحارة الديلم لأنهما أهل دعوة واحدة (أي جاءوا في وقت واحد) إلا أن كل جنس على حدة لتخالفهما في الجنسية"[٣].

لم يقتصر الأتراك الذين دخلوا الجيش الفاطمي على تلك الأعداد القليلة التي استخدمها العزيز فقط، فعلى الرغم من أن المصادر لم تشر إلى أساليب أو طرق جديدة عن دخول الأتراك إلى الجيش فيما بعد، إلا أنه يمكن القول بأن أعداد الأتراك الكبيرة التي ظهرت فيما بعد قد دلت على أن العنصر التركي أصبح من العناصر التي جُلبت وأدخلت إلى الجيش بصورة مستمرة، وهذا ما تُبينه ترجمة القائد التركي الأمير المظفر أمير الجيوش أبو منصور انوشتكين الدزبري، الذي ولد في بلاد ما وراء النهر، وتنقَّل إلى بُخارى ثم إلى بغداد فدمشق وهناك اشتراه أحد قادة الديلم، ثم أهداه مع جملة من الغلمان الأتراك إلى الحاكم بأمر الله في سنة ٤٠٣هـ/١٠١٢م، فأودعه الحاكم في طباق الحُجرية ليتعلم فيها مع بقية الغلمان[٤]. كما أن القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي شهد دخول العديد من الغلمان الأتراك القادمين من العراق إلى مصر في الجيش الفاطمي[٥].

---

(١) ابن عبد الظاهر: الروضة البهية، ورقة ١٤٨ب، القلقشندي: صبح الأعشى، ج٣، ص٣٥٤، المقريزي: الخطط، ج٢، ص١٠.

(٢) المقريزي: الخطط، ج٢، ص١٠.

(٣) المقريزي: الخطط، ج٢، ص١٠، والقلقشندي لا يذكر سوى حارة الديلم، صبح الأعشى، ٣/٣٥٤.

(٤) ابن القلانسي: تاريخ، ص١١٦.

(٥) ابن أيبك: الدرة المضية، ص٢٠١، ٢٠٥، Beshir: Fatimid, P. 42.

ولم يقع إدخال هذه العناصر الجديدة –وازدياد أعدادها باستمرار– موقع القبول في نفوس البربر وخاصة كُتامة، فلم يكن سهلاً على الكتاميين أن تنافسهم عناصر جديدة، بعد أن كان لهم الفضل في إنشاء الدولة وتوسعها، كما لم يكن سهلاً عليهم أن يقاسمهم آخرون في المرتبات والاقطاعات، وأحداث النصف الأول من عصر الحاكم بأمر الله ٣٨٦-٣٩٠هـ/٩٩٦-٩٩٩م –وهي الفترة التي تسلط فيها ابن عمار وبرجوان على الحاكم– كانت شاهدة على رفض كُتامة لهذه العناصر.

ولم يكن الأتراك هم من أثاروا الفتن والخلافات، بل أن تعدي كُتامة عليهم بعد تولي ابن عمار الوساطة[١]، جعل هؤلاء الأتراك يدافعون عن حقوقهم التي يرونها لا تقل عن حقوق المغاربة، فكان إجراء ابن عمار في قطع مخصصات الأتراك المالية السبب في اشتعال هذه الفتنة[٢].

وكان الأتراك في هذه الفترة تنقصهم القيادة في مصر لمواجهة المغاربة، بعد خروج قائدهم المعروف مَنجوتكين التركي إلى بلاد الشام في جيش من الأتراك لمهمة أرسله العزيز بها سنة ٣٨١هـ/٩٩١م، لضم حلب للدولة الفاطمية، وقد رابط مَنجوتكين بمن معه من الأتراك في دمشق، بعد أن فشل مرتين في احتلال حلب، بسبب استنجاد الحمدانيين بالروم بين عامي ٣٨١-٣٨٥هـ/٩٩١-٩٩٥م[٣].

---

(١) ابن القلانسي: تاريخ دمشق، ص٧٥، ابن الأثير: الكامل، ج٩، ص١١٨، المقريزي: اتعاظ، ج٢، ص١٢، والخطط، ج٢، ص٣٦.

(٢) ابن ميسر: المنتقى، ص١١٨، المقريزي: اتعاظ، ج٢، ص١١-١٢، المقفى، ج٣، ص٤٣٨-٤٣٩.

(٣) الأنطاكي: تاريخ، ص٢٢٣-٢٢٤، ابن القلانسي: تاريخ، ص٦٩-٧٣، ابن الأثير: الكامل، ج٩، ص٨٩-٩٠، ابن ظافر الأزدي: أخبار الدولة الحمدانية، تحقيق تميمة الرواف، دار حسان للطباعة والنشر، دمشق، ١٩٨٥م، ص٥٥-٥٧، (يشار إليه فيما بعد: ابن ظافر: أخبار الدولة الحمدانية)، ابن خلدون: العبر، ج٤، ق١، ص١١٣-١١٤، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٤، ص١١٧-١١٨.

ولهذا السبب يمكن تفسير انضواء الأتراك والديلم تحت قيادة برجوان الصقلبي بمساعدة شُكر العضدي أحد كبار الأتراك، ولكل من الطرفين هدف خاص به: أراد الأتراك مكانة لائقة بهم بين عناصر الجيش، وأراد برجوان الاستبداد بالحكم مكان ابن عمار، ولما شعر برجوان بأن عدد الأتراك في مصر غير كافٍ للإطاحة بابن عمار الذي يسانده جيش ضخم من كُتامة، فإنه لم يتردد في الاستعانة بالقائد مَنجوتكين ومن معه من الأتراك في دمشق، وقد أثار منجوتكين حماس المشارقة في دمشق بعد أن صور في خطابه لهم بأن مشارقة مصر قد أصبحوا بين المغاربة كالذمة بين المسلمين وأن عصابة كُتامة المتسلطة سوف تنهي وجود هؤلاء الأتراك في مصر[1].

ولما كانت أعداد كُتامة تفوق أعداد الأتراك، فإن الجيش الضخم الذي أرسله ابن عمار لقتال مَنجوتكين وجيشه، قد ألحق الهزيمة بهؤلاء الأتراك على عسقلان في محرم سنة ٣٨٧هـ/٩٩٧م قبل أن يصلوا إلى مصر ويساندوا إخوانهم المشارقة[2]، ولم يكن بإمكان برجوان مساندة مَنجوتكين بأتراك مصر، بعد أن صور ابن عمار للخليفة والعامة بأن مَنجوتكين قد خرج عن الطاعة ووجب قتاله، ولذلك لم يستطع برجوان أن يلحق الهزيمة بالمغاربة إلا بعد أن خرج عدد كبير منهم إلى بلاد الشام بعد إلحاق الهزيمة بالأتراك، فأصبحت كُتامة في عدد قليل، في حين ظل برجوان محافظاً على جماعته من الأتراك في مصر مع بعض الأتراك الفارين إلى مصر بعد الهزيمة، وقد قاد فصائل المشارقة في مواجهتهم الأخيرة مع المغاربة، ثلة من القادة الأتراك أمثال (شُكر، مَنجوتكين، يارختكين، اينال الطويل)، الأمر الذي هيأ الظرف المناسب لإلحاق

(١) ابن القلانسي: تاريخ، ص٧٦-٧٧.

(٢) ابن القلانسي: تاريخ، ص٧٧، ابن الأثير: الكامل، ج٩، ص١١٩، المقريزي: المقفى، ج٣، ص٤٣٨، المقريزي: اتعاظ، ج٢، ص٨-٩.

الهزيمة بالمغاربة(١).

وتبدلت الصورة في مصر، فحل برجوان محل ابن عمار، وحل الأتراك محل المغاربة(٢)، وخوفاً من ردة فعل كُتامة ضد الأتراك، سعى برجوان إلى أمرين: الأول: تحريض المشارقة من الأتراك وغيرهم على المغاربة في دمشق وإخراجهم منها، وقد تحقق ذلك بخروج سليمان بن جعفر ومن معه من المغاربة إلى الرملة، وحلول الأتراك محلهم(٣)، والثاني: تحريض الحاكم على قتل ابن عمار، فتم ذلك في شوال سنة ٣٩٠هـ/٩٩٩م(٤).

وأمام اختلال التوازن بين عناصر الجيش شعر الحاكم بما يجري حوله، ورأى بأن قتل ابن عمار لا بد أن يتبعه قتل برجوان ليستقيم الحال، خاصة بعد أن تهاون برجوان بأمر الحاكم وقلل من هيبته أمام رجال الدولة فكانت النتيجة قتل برجوان في ذلك العام(٥).

ورأى الخليفة بأن الحكمة تقتضي بأن يوازن بين الطرفين، لئلا تنشب فتنة ثانية، فبعد أن هدأ خواطر الكُتاميين وأشاد بفضلهم ومكانتهم، لم ينسَ الحاكم أن يتودد إلى الأتراك قائلاً: "أنتم تربية العزيز بالله، وفي مقام الأولاد، وما لكل أحد عندي إلا ما يؤثره ويحبه، فكونوا على رسومكم وامضوا إلى منازلكم، وخذوا على أيدي سفهائكم"(٦).

---

(١) ابن القلانسي: تاريخ، ص٨٠، ابن الأثير: الكامل، ج٩، ص١١٩-١٢٠، المقريزي: المقفى، ج٣، ص٤٣٩-٤٤٠، اتعاظ، ج٢، ص١٢-١٣، الخطط، ج٢، ص٣٧.

(٢) ابن القلانسي: تاريخ، ص٨١، المقريزي: المقفى، ج٣، ص٤٤.

(٣) ابن القلانسي: تاريخ، ص٨٢، لقبال: دور كتامة، ص٥٠٥-٥٠٦.

(٤) ابن ميسر: المنتقى، ص١٨١، المقريزي: الخطط، ج٢، ص٣٧.

(٥) الروذاوري: ذيل، ج٣، ص٢٣٠-٢٣١ ابن القلانسي: تاريخ، ص٩١، المقريزي: المقفى، ج٢، ص٥٧٣-٥٧٥، ابن تغري بردي: مورد اللطافة، ورقة ٥١ أ-ب، Lewis: Barjawan, EI2, Vol(1), P. 1042.

(٦) المقريزي: اتعاظ، ج٢، ص٢٧.

تزايدت أعداد الأتراك في القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، حتى بلغ عددهم أيام المستنصر بالله "١٠ آلاف" رجل[١]، فقد مرت فترة كافية من الزمن لظهور جيل جديد من الأتراك في مصر، وهذا ما أكده ناصر خسرو الذي صرح بأن الأتراك في زمن المستنصر "أكثرهم ولد في مصر"[٢] مع إمكانية القول باستمرار جلب هذا العنصر من بلاد الشام والعراق.

وكانت أكثر أدوار الأتراك وضوحاً على مسرح الأحداث الداخلية في مصر في عصر المستنصر أيضاً، كما كانت تصرفات أم الخليفة المتمثلة بتدخلها المستمر في شؤون الدولة وسعيها الحثيث لجعل العنصر السوداني -الذي تنتمي إليه- يطغى على سائر عناصر الجيش الأخرى، قد أدى إلى فتن داخلية أضعفت اقتصاد الدولة، وزادت حدة الخلاف بين طوائف الجيش وقللت من إمكانية انسجام واتفاق هذه العناصر المتباينة الأصول والمنابت.

لقد حرضت أم المستنصر العديد من الوزراء على إثارة العبيد ضد الأتراك، وكانت السبب وراء قتل وعزل العديد من هؤلاء الوزراء الذين رفضوا مطالبها[٣]، حتى جاءت وزارة عبد الله بن محمد البابلي[٤] التي كانت بداية الخلاف بين الأتراك والعبيد[٥].

وأول حادثة مفتعلة بين الأتراك والعبيد جاءت سنة ٤٥٤هـ/١٠٦٢م عندما خرج المستنصر على عادته كل عام للتنزه في موضع يعرف بـ "جب عميرة" في

(١) خسرو: سفرنامة، ص٩٤.

(٢) ناصر خسرو: سفرنامة، ص٩٤.

(٣) ابن الأثير: الكامل، ج١٠، ص٨١-٨٢، ابن ميسر: المنتقى، ص٣-٥، ٢٥-٢٦، المقريزي: اتعاظ، ج٢، ص٢٦٦-٢٦٧.

(٤) أبو الفرج عبد الله بن محمد البابلي، ولي الوزارة ثلاث مرات في عهد المستنصر بالله، توفي سنة ٤٥٤هـ/١٠٦٢م، ابن الصيرفي: الإشارة، ص٨٢.

(٥) ابن الأثير: الكامل، ج١٠، ص٨١، المناوي: الوزارة، ص١٧٦.

جمادى الآخرة من تلك السنة، حيث قتل العبيد أحد الأتراك الذي اعتدى على مجموعة من العبيد، وقد شكى الأتراك إلى المستنصر قائلين: "إن كان هذا عن رضاك فالسمع والطاعة، وإن كان عن غير رضاك فلا نرضى بذلك"[(١)]، ولما أنكر المستنصر علمه بذلك، انتقم الأتراك من العبيد بقتل عدد كبير منهم في موقعة عرفت بـ "كوم شريك"[(٢)].

وتجدد القتال بين الطرفين في عام ٤٥٩هـ/١٠٦٦م بعد أن "قويت شوكة الأتراك واشتد بأسهم وطلبوا الزيادات في واجباتم ورواتبهم"[(٣)]، في الوقت الذي تزايدت فيه أعداد العبيد أيضاً واشتد فسادهم، وعاشت الدولة مرحلة من الإفلاس الناتج عن المجاعة الكبرى التي اجتاحت مصر في تلك الفترة، وكان الأتراك قد التفوا تحت قيادة الأمير ناصر الدولة ابن حمدان[(٤)]، الذي استغل هؤلاء الأتراك في تحقيق أهدافه الخاصة المتمثلة بالوصول إلى السلطة في مصر، بإسقاط الخلافة الفاطمية والدعوة للعباسيين.

وأمام تزايد ضرر العبيد على العامة، وتحرشهم المستمر بالأتراك وتطاولهم عليهم، توجه ابن حمدان في تلك السنة مع جماعة من الأتراك إلى القاهرة للشكوى للمستنصر، ففوجئ بقوة من العبيد أرسلتهم أم المستنصر لصدهم عن الشكوى، فخرج ابن حمدان من القاهرة، لينشب قتال جديد بين الطرفين في

---

(١) ابن ميسر: المنتقى، ص٢٤، المقريزي: اتعاظ، ٢/٢٦٥، الخطط، ج١، ص٣٣٥، ٤٨٩.

(٢) ابن ميسر: المنتقى، ص٢٥، المقريزي: اتعاظ، ج٢، ص٢٦٥-٢٦٦، الخطط، ج١، ص٣٣٥، ٤٨٩، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٥، ص١٨.

وكوم شريك: موضع بالقرب من الاسكندرية ينسب للصحابي شريك القطيفي الذي كان على مقدمة جيش عمرو بن العاص عندما فتح الاسكندرية، المقريزي: الخطط، ج١، ص١٨٣.

(٣) المقريزي: اتعاظ، ج٢، ص٢٧٣.

(٤) ناصر الدين الحسين بن ناصر الدولة الحسن بن الحسين بن عبد الله أبي الهيجاء بن حمدان التغلبي من أسرة الحمدانيين حكام مدينة حلب، قتل سنة ٤٦٥هـ/١٠٧١م، المقريزي: اتعاظ الحنفا، ج٢، ص٣٠٩.

الاسكندرية، انتهى بتغلب الأتراك وطلب العبيد الأمان[1].

ومع تزايد قوة الأتراك، تزايدت مطالبتهم بالأموال من الخليفة رغم إفلاس الخزينة، يقول ابن الأثير: "فلما خلت الدولة للأتراك طمعوا في المستنصر، وقل ناموسه عندهم وطلبوا الأموال فخلت الخزائن فلم يبق فيها شيء البتة، واختل ارتفاع الأعمال (الإنتاج الزراعي)، وهم يطالبون واعتذر المستنصر بعدم الأموال عنده، فطلب ناصر الدولة العروض (محتويات خزائن الدولة) فأخرجت إليهم وقومت بالثمن البخس وصرفت إلى الجند، قيل أن واجب (رواتب) الأتراك كان في الشهر عشرين ألف دينار صار الآن في الشهر أربعمائة ألف دينار"[2].

وفي العام التالي (٤٦٠هـ/١٠٦٧م) جمع ابن حمدان الأتراك لقتال العبيد واستئصال شأفتهم في الصعيد، غير أن أعداد العبيد الكبيرة التي تفوق كثيراً أعداد الأتراك، قد أدت إلى هزيمة الأتراك، فثاروا على المستنصر متهمين إياه بإمداد العبيد وتحريضهم، ولما أنكر ذلك وأرضاهم بالنفقة، عادوا لقتال العبيد حتى هزموهم وقتلوا عدداً كبيراً منهم[3].

وسرعان ما كشف ابن حمدان عن نيته وعدم اهتمامه بالأتراك، فهو لم يكن تركياً حين قاد الأتراك وتزعمهم، وبالتالي لم يحرص على مصلحتهم العامة بقدر ما كانت قيادته لهم وسيلة للوصول إلى أغراضه الخاصة. فقد خص حاشيته والمقربين إليه بالأموال التي حصل عليها من خزائن المستنصر، وحرم منها باقي الأتراك مما أفسد نياتهم تجاهه تدريجياً[4]، فرفعوا شكايتهم في سنة

---

(١) ابن ميسر: المنتقى، ص٣١-٣٢، المقريزي: اتعاظ، ج٢، ص٢٧٣-٢٧٤، وانظر: ابن الأثير: الكامل، ج١٠، ص٨٣، المقريزي: الخطط، ج١، ص٣٣٥.

(٢) ابن الأثير: الكامل، ج١٠، ص٨٣، وانظر: الذهبي: تاريخ الإسلام (٤٦١-٤٧٠هـ)، ص١٨.

(٣) ابن الأثير: الكامل، ج١٠، ص٨٣، ابن ميسر: المنتقى، ص٣٢-٣٣، المقريزي: اتعاظ، ج٢، ص٢٧٦.

(٤) ابن الأثير: الكامل، ج١٠، ص٨٤، المقريزي: الخطط، ج١، ص٢٢٦.

٤٦١هـ/١٠٦٨م إلى الوزير خطير الملك الذي لامهم وحملهم المسؤولية عن تردي الأوضاع في مصر وازدياد نفوذ ابن حمدان، ونصحهم بأن يتركوه ويتخلوا عنه، فسارعوا إلى الطلب من المستنصر بإخراج ابن حمدان من القاهرة، فأرسل الخليفة إليه يأمره بالخروج، ولم يَسع ابن حمدان إلا أن خرج إلى الجيزة، فنُهبت دُوره ودُور حاشيته وأصحابه[١].

لجأ ابن حمدان إلى الانتقام ممن ألب الأتراك عليه، واتفق مع أحد كبار قادة الجيش (تاج الملوك شاذي) على قتل الوزير والقائد التركي الدكز[٢] "شيخ الأتراك والمقدم عليهم"[٣]، فقُتل الوزير في إحدى مواكبه، على حين تنبه الدكز للمؤامرة فنجا من القتل واستطاع أن يجمع عدداً كبيراً من العامة والجند لقتال ابن حمدان، ونتج عن القتال هزيمة ابن حمدان وفراره إلى البحيرة في ذلك العام[٤].

ظهر ابن حمدان للخليفة بمظهر الخارج عن الطاعة، ولم يكن بوسع الأخير سوى محاربته، خاصة بعد أن أقدم ابن حمدان في عام ٤٦٢هـ/١٠٦٩م على مراسلة السلطان السلجوقي ألب ارسلان يطلب منه إرسال جيش لمساعدته على إقامة الدعوة العباسية في مصر، وقد تشجع السلطان السلجوقي على المسير بنفسه إلى مصر، لولا قيام الروم بالتوجه إلى خراسان في ذلك العام فعدل عن ذلك[٥].

---

(١) ابن ميسر: المنتقى، ص٣٣-٣٤، المقريزي: اتعاظ، ج٢، ص٢٧٨-٢٧٩، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٥، ص١٣-١٤.

(٢) أحد كبار الأتراك ومقدمهم، تزوج ابنة ناصر الدولة ابن حمدان، لكنه لم يكن على وفاق معه، المقريزي: اتعاظ، ج٢، ص٢٧٩، هامش (١).

(٣) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٥، ص١٣.

(٤) ابن الأثير: الكامل، ج١٠، ص٨٤، ابن ميسر: المنتقى، ص٣٤، المقريزي: الخطط، ج١، ص٣٣٦، المناوي: الوزارة، ص١٧٦.

(٥) المقريزي: اتعاظ، ج٢، ص٣٠٣، سرور: مصر، ص٧٧.

جهز المستنصر "عساكر كثيرة من الأتراك وجعلهم ثلاث فرق مع ثلاثة مقدمين"[(١)]، ويبدو أن توزيع الأتراك على ثلاثة فرق أضعف إمكانية هزيمة ابن حمدان الذي تمكن من إلحاق الهزيمة بهذه الفرق تِباعاً في ذلك العام، مما شجعه على فصل إقليم الوجه البحري عن القاهرة والخُطبة للخليفة القائم العباسي[(٢)].

وبسبب سوء الأوضاع الإقتصادية في مصر، راسل الأتراك ابن حمدان في سنة ٤٦٣هـ/١٠٧٠م طالبين الصلح معه، فتم الصلح على أن يكون القائد تاج الملوك شاذي[(٣)] نائباً عن ابن حمدان في القاهرة يحمل إليه الأموال وإليه التصرف المطلق في ذلك[(٤)]، غير أن تاج الملوك لم يمكث طويلاً في القاهرة، حتى اختص الأموال لنفسه ولم يرسل لابن حمدان منها شيئاً، فتوجه الأخير إلى الجيزة واستدعى تاج الملوك ومجموعة من مقدمي الأتراك وألقى القبض عليهم، وأخذ في نهب وحرق العديد من القرى[(٥)].

وللمرة الثانية يفشل جيش المستنصر من الأتراك في القضاء على ابن حمدان، مما جرأ الأخير على قطع خطبة المستنصر من الاسكندرية ودمياط "وأرسل إلى الخليفة ببغداد يطلب خِلعاً ليُخطب له بمصر"[(٦)].

والواقع أن الأتراك لم يكونوا جادين في قتال ابن حمدان ومن معه،

---

(١) ابن ميسر: المنتقى، ص٣٦.

(٢) ابن الأثير: الكامل، ج١٠، ص٨٥، ابن ميسر: المنتقى، ص٣٦، ابن خلدون: العبر، ج٤، ق١، ص١٣٣-١٣٤، المقريزي: اتعاظ، ج٢، ص٣٠٢-٣٠٣.

(٣) لم أجد له ترجمة.

(٤) ابن الأثير: الكامل، ج١٠، ص٨٥، ابن ميسر: المنتقى، ص٣٧، الذهبي: تاريخ الإسلام (٤٦١-٤٧٠هـ)، ص١٩.

(٥) ابن الأثير: الكامل، ج١٠، ص٨٥-٨٦.

(٦) ابن الأثير: الكامل، ج١٠، ص٨٦.

مدفوعين إلى ذلك بعدة عوامل منها اضمحلال مكانة المستنصر بعد إفلاس الخزينة وعدم تمكنه من الإنفاق عليهم بشكل مستمر، والثاني نقص الإمدادات في جيش المستنصر، إذ أن ابن حمدان استولى على غلات أقاليم مصر وحاصلاتها وقطعها عن القاهرة، في حين "اضمحل أمر المستنصر وبطل ذكره وتفرق الناس من القاهرة"[(١)]. وبلغ من إذلال ابن حمدان للمستنصر أنه خصص له كل يوم مائة دينار، بعد أن بلغه جلوس الخليفة على "حصير وليس حوله غير ثلاثة من الخدم"[(٢)].

على أن نهاية ابن حمدان جاءت أخيراً على يد الأتراك، عندما جمع القائد التركي الدكز، قادة وجنود الأتراك الآخرين، واتفقوا على قتله في رجب من سنة ٤٦٥هـ/١٠٧١م[(٣)].

ولم يكن قتل ابن حمدان نهايةً لمتاعب المستنصر، فقد عاد الأتراك إلى مضايقة المستنصر بزعامة جديدة لشخص يدعى سلطان الجيش يلدكوش التركي[(٤)]، حتى قرر المستنصر أخيراً استدعاء والي عكا الأرمني بدر الجمالي إلى مصر للقضاء على مدبري الفتن سنة ٤٦٦هـ/١٠٧٣م[(٥)].

لقد شهد الجيش الفاطمي تحولاً هاماً في بُنيته البشرية منذ قدوم بدر الجمالي إلى مصر مع جيشه الأرمني، إذ تراجع العنصر التركي تراجعاً ملحوظاً بعد أن أخذ بدر في "القبض على الأتراك وتتبعهم حتى لم يدع منهم

---

(١) ابن الأثير: الكامل، ج١٠، ص٨٦.

(٢) المصدر ذاته، ج١٠، ص٨٦، المقريزي: الخطط، ج١، ص٣٣٧.

(٣) ابن الأثير: الكامل، ج١٠، ص٨٧، ابن ميسر: المنتقى، ص٣٨-٣٩، ابن خلدون: العبر، ج٤، ق١، ص١٣٤، المقريزي: اتعاظ، ج٢، ص٣٠٩-٣١٠، المناوي: الوزارة، ص١٧٧.

(٤) لم أجد له ترجمة.

(٥) المقريزي: اتعاظ، ج٢، ص٣١١.

أحداً يُشار إليه"[1]. ولم نعد نسمع عن مكانة متميزة للأتراك كما هو الحال زمن المستنصر.

وقد أخذت أعداد الأتراك في مصر بالتناقص التدريجي، ويبدو أن سياسة بدر الجمالي ومن خلفه من أبنائه كانت تقوم على زيادة الأرمن ووقف قدوم الأتراك إلى مصر، وهذا ما يؤكده بقاء العنصر التركي متواجداً في بلاد الشام كولاة للأقاليم أو كجنود مرتزقة، فعندما استولى الأفضل بن بدر الجمالي على القدس من سقمان بن أرتق سنة ٤٩٢هـ/١٠٩٨م، أقام فيها حاميةً فاطميةً من الترك[2]. ومع نهاية عهد أسرة بدر الجمالي نسمع عن قدوم أعداد من الأتراك إلى مصر من بلاد الشام، كالجماعة التي قدرت بـ "١٠٠٠" فارس، وقدمت مع الوزير الأفضل رضوان بن ولخشي[3] في عام ٥٣٤هـ/١١٤٨م لقتال جند الخليفة الحافظ[4].

وكجنود مرتزقة، ظهر الأتراك أيضاً بأعداد قليلة (٨٠٠-١٠٠٠ فارس تقريباً) في نزاعات داخلية في مصر، لعل أهمها نزاع الخليفة الظافر مع الوزير عباس وابنه نصر بين عامي ٥٤٨-٥٤٩هـ/١١٥٣-١١٥٤م[5].

---

(١) المقريزي: اتعاظ، ج٢، ص٣١٢.

(٢) Hamblin: William James: The fatimid Army during the early crusades, The university of Michigan, 1985, P. 33-34 (يشار إليه فيما بعد: Hamblin: the fatimid Army).

(٣) كان هذا الوزير قد هرب من مصر إلى صرخد في سنة ٥٣٣هـ/١١٣٨م، ثم عاد في العام التالي لقتال جند الخليفة الحافظ، لكنه هُزم وحُبس، ثم هرب في سنة ٥٤٢هـ/١١٤٧م. المقريزي: اتعاظ، ج٣، ص١٧٣، ١٨٠-١٨٢. Lanne Pool: Stanley: A history of Egypt in the middle ages, London, 1901. P. 160. (يشار إليه فيما بعد: Pool: A history).

(٤) ابن منقذ: أسامة (ت٥٨٤هـ/١١٨م): كتاب الاعتبار، حرره فيليب حتي، جامعة برنستون، أمريكا، ١٩٣٠م، ص٤٠-٤١، (يشار إليه فيما بعد: ابن منقذ: الاعتبار)، المقريزي: اتعاظ، ج٣، ص١٧٣، Hamblin: The fatimid Army, P. 34-35.

(٥) ابن منقذ: الاعتبار، ص٣١-٣٢، المقريزي: اتعاظ، ج٣، ص٢٠٤-٢٠٦. Hamblin: The fatimid Army, P. 34.

ومع استمرار تدفق الأتراك من شرق العالم الإسلامي إلى العراق وبلاد الشام في القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي، نسمع عن وجود للأتراك الغُز كمرتزقة في الجيش الفاطمي(١). ونظراً لحداثة دخولهم في الجيش فقد أُطلق عليهم "الغُز الغرباء"(٢) أو "الغُز المصطنعة"(٣)، ولم تُبين المصادر أعداد هؤلاء الأتراك، وفي حوادث السنوات الأخيرة من الدولة الفاطمية أطلقت المصادر مصطلح "الغُز" على الأتراك الذين كونوا جزءاً هاماً من جيش أسد الدين شيركوه، الذي حارب به صلاح الدين السودان والأرمن(٤).

(ب) الأرمن:

تعود أصول الأرمن جغرافياً إلى بلادهم أرمينية، وهي المنطقة الجبلية الواقعة في غرب آسيا، والتي يحدها من الغرب آسيا الصغرى، ومن الشرق هضبة اذربيجان والشاطئ الجنوبي لبحر الخزر، ومن الشمال والشمال الغربي الأراضي الواقعة على شواطئ بحر بنطش وبلاد القوقاز، ومن الجنوب السهل الشمالي الغربي لبلاد ما بين النهرين(٥).

هاجر الأرمن من بلادهم إلى مصر وبلاد الشام بعد خضوع أرمينيا

---

(١) Hamblin: The fatimid Army. P. 34.

(٢) المقريزي: اتعاظ، ج٣، ص١٥٥، الخطط، ج٢، ص١٧-١٩، المقفى، ج٣، ص٤١٨.

(٣) ابن الطوير: نزهة، ص١٦٥، القلقشندي: صبح الأعشى، ج٣، ص٥٠٤، المقريزي: الخطط، ج١، ص٤٥٠، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٤، ص٩٠، وانظر ملحق رقم (١) في نهاية هذه الدراسة.

(٤) المقريزي: اتعاظ، ج٣، ص٢٦٨، ٢٦٩، ٢٧٠، ٢٧٦، ٣١١، ٣١٢، ٣١٣، الخطط، ج١، ص٤٦٩، ج٢، ص٢-٣، محسن حسين: الجيش الأيوبي في عهد صلاح الدين، (مؤسسة الرسالة – بيروت – ١٩٨٦م)، ص٦٨، (يشار إليه فيما بعد: محسن: الجيش الأيوبي). David Ayalon: The Mamluk Military society (London, 1979) Part (X), P. 1-3. (يشار إليه فيما بعد: Ayalon: The Mamluk).

(٥) مقال، بارتولد عن "أرمينية" في دائرة المعارف الإسلامية (الترجمة العربية)، ج١، ص ٦٣٧.

للإمبراطورية البيزنطية[1] ودخلوا في جيوش مصر الإسلامية منذ عهد ابن طولون[٢]، كما دخلوا في الجيوش البيزنطية وجيوش بلاد الشام عند الحمدانيين والمرداسيين[٣].

وعلى الرغم من دخول الأرمن في جيوش بلاد الشام، وتوفر هذا العنصر في المنطقة في العصر الفاطمي، إلا أننا لم نلحظ وجوداً لهم في الجيش الفاطمي قبل وزارة الأمير بدر الجمالي الأرمني في خلافة المستنصر بالله، بدليل أن ناصر خسرو، الرحالة الفارسي الذي وصف الجيش الفاطمي وعناصره بدقة زمن المستنصر -قبل قدوم بدر الجمالي-[٤] لم يُشر إلى الأرمن ضمن عناصر هذا الجيش، ويبدو أن عدم وجود الأرمن في المئة سنة الأولى من العهد الفاطمي في مصر، يعود إلى أن المغاربة ظلوا يشكلون قوة الجيش الأساسية زمن المعز والعزيز، وأن إدخال العناصر الجديدة من الأتراك والديلم والسودان، وما أدى إليه من ظهور الصراع بين طوائف الجند، لم يشجع الخلفاء الفاطميين على استخدام عناصر أخرى خاصة وأن الأرمن ظلوا محتفظين بمسيحيتهم لفترة طويلة.

يرتبط دخول الأرمن في الجيش الفاطمي بقدوم بدر الجمالي[٥] بناء على

---

(1) ر.س. سميل: فن الحرب عند الصليبيين، ترجمة محمد وليد الجلاد، دار طلاس، دمشق، ١٩٩٥م، ص ٨٨، (يشار إليه فيما بعد: سميل: فن الحرب). Beshir: Fatimid, p43.

(٢) Beshir: Fatimid, P43, Hamblin: the fatimid Army, P20.

(٣) Beshir: Fatimid, P43.

(٤) خسروا: سفرنامة، ص ٩٤-٩٥.

(٥) أصله من الأرمن، اشتراه جمال الدولة ابن عمار فنسب إليه، وتربى عنده وترقى في الوظائف حتى عين حاجبا لصاحب دمشق ثم واليا عليها زمن المستنصر، ثم واليا على عكا حتى استدعاه المستنصر في تلك السنة. انظر: ابن الصيرفي: الإشارة، ص ٩٤، الصفدي: الوافي، ج١٠، ص ٩٥، ابن خلكان: وفيات: ج٢، ص ٤٤٨، الذهبي: سير، ج١٩، المقريزي: الخطط، ج١، ص ٣٨١-٣٨٢، ابن حجر: أحمد بن علي (ت٨٥٢//١٤٤٨م): رفع الأصر عن قضاة مصر،

استدعاء المستنصر له في عام ٤٦٦هـ/١٠٧٣م ليقضي على رؤوس الفتنة ومدبريها من الأتراك وغيرهم، وقد لبى بدر طلب المستنصر مُشترطاً عليه أن لا يأتي إلى مصر إلا ومعه رجاله –الذي شكلوا جيشه الخاص به- حتى "لا يُبقي أحدا من عساكر مصر ولا وزراءهم"(١) فوافق المستنصر على ذلك.

ولما أتم الجمالي استعداده للرحيل أبحر من عكا بمراكبه "ومعه جند كثيف من الأرمن"(٢) في شتاء ذلك العام، حتى وصل إلى دمياط، وبعث إلى المستنصر يطلب منه التخلص من قائد الأتراك بلدكوش التركي، فتم له ذلك(٣).

ولما دخل بدر القاهرة في أواخر جمادي الأولى من ذلك العام، قوبل بالحفاوة من أهل الدولة وأمرائها، وتودد إلى الأتراك، وتظاهر بإهمال شأن المستنصر، حتى إذا اطمأن الأتراك إليه استدعى كبارهم في إحدى الليالي وأعد لهم طعاما، وعين لكل أمير أرمني قائدا من الأتراك ليقتله في تلك الليلة، وما أن ظهر صباح اليوم التالي حتى كانت رؤوس قادة الأتراك بين يدي بدر(٤)، "واستولى كل رجل من أصحابه على دار أمير من الأمراء وأحاط بجميع ما كان له"(٥).

وهكذا مهد بدر الجمالي لإدخال العنصر الجديد إلى الجيش بعد أن

= تحقيق حامد بن عبد المجيد وآخرون، المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٩٥٧م، ق١، ص ١٣٠، (يشار إليه فيما بعد: ابن حجر: رفع الأصر).

(١) ابن ميسر: المنتقى ص ٣٩-٤٠، المقريزي: اتعاظ، ج٢، ص ٣١١.

(٢) ابن خلدون: العبر، ج٤، ق١، ص ١٣٤، وانظر: ابن حجر: رفع الأصر، ق١، ص ١٣١.

(٣) ابن ميسر: المنتقى، ص ٤٠، المقريزي: اتعاظ، ج٢، ص ٣١٢، والخطط، ج١، ص ٣٨٢، سرور: مصر، ص ٨٠-٨١، أيمن فؤاد: الدولة الفاطمية، ص ١٤٣-١٤٤، وانظر: Pool; A history, p. 150.

(٤) ابن ميسر: المنتقى، ص ٤٠، المقريزي: اتعاظ، ج٢، ص ٣١٢، وانظر: الذهبي: تاريخ الإسلام (٤٦١-٤٧٠هـ)، العمري: مسالك، ج٢٦، ورقة ٢٨٠-٢٨١، المناوي: الوزارة، ص ١٧٧.

(٥) المقريزي: اتعاظ، ج٢، ص ٣١٢، وانظر: Pool: A history, p 150-151.

تخلص من زعماء الأتراك ومن كل شخص يعارض إدخال الأرمن إلى الجيش، وقد عَقبّ المقريزي على ذلك بقوله: "وقَتل رجال الدولة وأقام له جنداً وعسكراً من الأرمن، فصار من حينئذ معظم الجيش من الأرمن"[١]، واسكن هؤلاء الأرمن في حارة الحسينية إحدى حارات القاهرة الكبرى[٢].

والسؤال الذي يثار هنا: كم كان عدد الأرمن الذين أدخلهم بدر الجمالي في الجيش؟

ليس في المصادر سوى تحديد واحد ذكره المقريزي وهو ٧٠٠٠ أرمني سكنوا الحسينية[٣] في حين ذكر Hamblin[٤]، أن ١٠ آلاف عائلة أرمنية سكنت في مصر في تلك الفترة مكونة من ٣٠,٠٠٠ فرد، منهم ٧ آلاف مقاتلين، وهو الرقم الذي ذكره المقريزي، والباقي هم نساء وأطفال ورجال متقدمين في السن[٥].

غير أن السبعة آلاف الذين سكنوا الحسينية ليس بالضرورة أن يكونوا جميعهم مقاتلين، ومع أنه يصعب تحديد المقاتلين منهم إلا أنه يمكن القول بأن عددهم لم يكن يتجاوز ٣-٤ آلاف مقاتل.

لقد احتفظ معظم الأرمن في مصر بديانتهم المسيحية في تلك الفترة[٦]، ففي

---

(١) المقريزي: الخطط، ج٢، ص ١٢.

(٢) القلقشندي: صبح الأعشى، ج٣، ص ٣٥٥، المقريزي: الخطط، ج٢، ص ٢١.

(٣) المقريزي: الخطط، ج٢، ص ٢١ (عن ابن عبد الظاهر)، القلقشندي: صبح الأعشى، ج٣، ص ٣٥٣.

(٤) استند Hamblin إلى مقالة Canard بالفرنسية عن الأرمن في مصر في العصر الفاطمي بعنوان: Notes sur les Armeniens en Egypt a l'epoque fatimite (Annales de L'instiute des etudes orientalies, vol 13 (1955), p142-157.

(٥) Hamblin: The fatimid Army, P 24.

(٦) سرور: مصر، ص ٨١-٨٢. Hamblin: The fatimid Army, P 20.

سنة ٤٨٠هـ/١٠٨٧م زار جريجوري بطريك الأرمن مصر واستقبله بدر بحفاوة بالغة، وخلال هذه الزيارة تم تعيين بطريركاً خاصاً بالأرمن في مصر(١)، كما أن بدر الجمالي أعطى الأرمن الذي أسكنهم الحسينية كنيسة يعاقبه مهجورة لهم في سنة ٤٨٣هـ/١٠٩٠م(٢)، كما يدل على انتشار المسيحية بين الأرمن في مصر كثرة الكنائس التي بُنيت بإيعاز من الأمير بدر الجمالي(٣).

لم يقتصر وجود الأرمن على الجيش الفاطمي في مصر، بل توفر هذا العنصر بكثرة في بلاد الشام واستخدم بين الفترة والأخرى في الجيش، فعندما أعلن الأمير الفاطمي شمس الخلافة(٤) والي عسقلان عصيانه على الدولة سنة ٥٠٦هـ وراسل الفرنجة لتسليم عسقلان لهم، اخرج الجند الفاطمي من المدينة، ولجأ إلى تجنيد الأرمن في الجيش، حيث استدعى جماعة من الأرمن "واتخذهم جنداً"(٥)، واستمر في عصيانه تسانده فرقة الأرمن هذه حتى وثب عليه جماعة من أهل عسقلان وقتلوه في ذلك العام(٦).

استمر وجود الأرمن قائماً في الجيش الفاطمي كعنصر هام بين عناصر الجيش، ولم يكن انتهاء عهد أسرة بدر الجمالي بوفاة ابنه الأفضل سنة ٥١٦هـ/١٢٢م نهاية لوجود الأرمن في الجيش فقد استمرت طائفة الجيوشيه الأرمنية التي أنشأها أمير الجيوش الأفضل بن بدر الجالي، تلعب دورا هاما وحاسما في الصراع بين الخلفاء والوزراء، وكان أشد منافس لها من طوائف

---

(١) Hamblin: The fatimid Army, p 20-21

(٢) Hamblin: The fatimid Army, p21

(٣) Hamblin: The fatimid Army, p 21

(٤) لم أجد ترجمة عن حياته قبل هذا التاريخ.

(٥) ابن الأثير: الكامل، ج١٠، ص ٤٨١.

(٦) ابن الأثير: الكامل، ج١٠، ص ٤٨١، المقريزي: اتعاظ، ج٣، ص ٤٧.

الجيش طائفة الريحانية من العبيد السود[1].

ازدادت أعداد الأرمن زمن الحافظ عما كانت عليه في السابق سواء في مصر عامة أو في الجيش الفاطمي خاصة، وذلك بتأثير شخصيات أرمنية بارزة لعل أهمها الوزير بهرام الأرمني، الذي كان القائم بأمر الأرمن في تل باشر[2]، واستمر كذلك حتى ثار عليه جماعة منهم فخرج متوجها إلى القاهرة، وترقى في الخدمة فيها حتى ولي المحلة[3] وظل بها واليا حتى عام ٥٢٩هـ/١١٣٤م عندما نشب النزاع بين الخليفة الحافظ وابنه حسن على ولاية العهد، وكان الأمير حسن قد أرسل بهرام إلى إقليم الغربية لجمع الأرمن ومساعدته في الثورة، ولما قتل حسن في القصر، جمع بهرام الأرمن والعربان وتوجه بهم إلى القاهرة – بإيعاز من الحافظ- لمقاومة عناصر الجيش التي حاصرت قصر الحافظ، واستطاع بجيشه الأرمني إلحاق الهزيمة بالعديد من طوائف الجيش في الحادي عشر من جمادي الآخرة من ذلك العام[4]، وكان مع بهرام "من الأرمن نحو الألفين يقولون بقوله"[5].

وكافأ الحافظ بهرام بأن ولاه الوزارة في تلك السنة، ولقبه تاج الدولة[6]، أو

---

(١) سيتم الحديث بالتفصيل عن هذه الطوائف في الفصل الثالث.

(٢) تل باشر: حصن يقع غربي الفرات شمال حلب، أهله من الأرمن. ياقوت: معجم البلدان ج٢، ص ٤٠٢.

(٣) ابن ميسر: المنتقى، ص ١٢٣، المقريزي :اتعاظ، ج٣، ص ١٧٥، والمحلة: هي مدينة المحلة الكبرى قاعدة إقليم الغربية في مصر، وهي من المدن القديمة ذات أسواق وجوامع ومدارس، محمد رمزي: القاموس الجغرافي للبلاد المصرية (٢ق)، مطبعة وزارة التربية والتعليم، القاهرة، ١٩٥٨م، ق٢، ج٢، ص ١٦-١٨، (يشار إليه فيما بعد: رمزي: القاموس الجغرافي).

(٤) المقريزي: اتعاظ، ج٣، ص ١٥٥، وانظر: ابن الطوير: نزهة، ص ٣٨، ٤٣.

(٥) المقريزي: اتعاظ، ج٣، ص ١٧٥.

(٦) المقريزي: اتعاظ، ج٣، ص ١٥٥.

تاج الملوك[1]، وقد ظل بهرام على دينه النصراني ولم يسلم[2]، كما كان شديد التعصب لجنسه من الأرمن، فاستقدم أقاربه وقومه من تل باشر، واستكثر منهم حتى وصل عددهم إلى (٣٠) ألفاً[3]، وقد استطال هؤلاء النصارى على المسلمين وأكثروا من بناء الكنائس والأديرة[4] "فخاف الناس منهم أن يغيروا الملة الإسلامية ويغلبوا على البلاد فيردوها دار كفر، فتتابعوا في الشكاية من أهل بهرام وأقاربه"[5].

وتتابع قدوم الأرمن إلى مصر بشكل متزايد، حتى أنه في عام ٥٣٠هـ/١١٣٥م أرسل بهرام الأمير رضوان بن ولخشي واليا على عسقلان، فلما وصل إليها وجد بها جماعة من الأرمن في طريقهم إلى القاهرة، فمنعهم من القدوم، ولما بلغ ذلك بهرام استدعى رضوان وصرفه عن عسقلان، وأبعده عن القاهرة بأن ولاة الغربية في ذلك العام[6].

ولما كان الأمير رضوان أول من فكر في مقاومة الأرمن والحد من تزايدهم، فقد أجمع أمراء الجيش من غير الأرمن، على مكاتبته في سنة ٥٣١هـ/١١٣٦م للقدوم إلى القاهرة والقضاء على بهرام ومن معه من الأرمن[7].

ولما وصلت المكاتبة إلى رضوان جمع من الأجناد والعربان نحو ٣٠ ألفا، وحثهم على القتال والجهاد في سبيل الله ضد الأرمن، وكأن الحرب المقبلة

---

(١) ابن ظافر، أخبار، ص ٩٧.

(٢) ابن ايبك: الدرة المضية، ص ٥١٤، ابن ظافر: أخبار، ص ٩٧.

(٣) ابن ميسر: ص ١٢٤، المقريزي: اتعاظ، ج٣، ص ١٥٩.

(٤) ابن ظافر: أخبار، ص ٩٧، ابن ميسر: المنتقى، ص ١٢٤، المقريزي: اتعاظ، ج٣، ص ١٥٩، حسن إبراهيم: الفاطميون في مصر وأعمالهم الدينية والسياسية بوجه خاص (القاهرة ١٩٣٢م)، ص ٢١٤، (يشار إليه فيما بعد: حسن: الفاطميون).

(٥) المقريزي: اتعاظ، ج٣، ص ١٥٩.

(٦) ابن الطوير: نزهة، ص ٤٥، ابن ميسر: المنتقى، ص ١٢٤، المقريزي: اتعاظ، ج٣، ص ١٥٨.

(٧) ابن ميسر: المنتقى، ص ١٢٤، المقريزي: اتعاظ، ج٣، ص ١٥٩.

أصبحت بين المسلمين والنصارى[1].

أما بهرام فقد جمع الأرمن وخاطبهم قائلا: "اعلموا أننا قوم غرباء ولم نزل نخدم هذه الدولة، والآن فقد كثر بغضهم لأيامنا، وما كنت بالذي أكون عبد قوم واخدمهم من حال الصبا فلما بلغني الكبر أقاتلهم، لا ضربت في وجوههم بسيف أبداً"[2].

ولما رأى بهرام جيش رضوان وقد رفعوا المصاحف على الرماح، هرب بمن معه من الأرمن إلى خارج القاهرة، فامتدت أيدي الجند إلى دور الأرمن التي بُنيت في الحسينية كما نُهبت بعض الكنائس[3].

وصلت تلك الأنباء إلى ولاية قوص[4] وكان عليها الوالي الأرمني باساك (أخ بهرام) فثار عليه أهلها وقتلوه، وكان بهرام قد انتخب من الأرمن الفين من الرُماة البارعين قاموا بنهب قوص وقتل عدد من أهلها[5]، ثم تابع بهرام هربه إلى أسوان "فتفرق عنه عدة من الأرمن وساروا يريدون بلادهم"[6] وأما رضوان فقد كافأه الخليفة فعينه وزيرا في ١٣ جمادي الأول من ذلك العام[7].

ثم أرسل رضوان عسكرا في أثر بهرام داعيا له بالعودة مكرما مع طائفته من الأرمن إلا أن الحال تقرر في النهاية على أن يقيم بهرام مع أهله في الأديرة،

---

(١) ابن ميسر: المنتقى، ص ١٢٤-١٢٥، المقريزي: اتعاظ، ج٣، ص ١٥٩-١٦٠.

(٢) المقريزي: اتعاظ، ج٣، ص ١٦٠.

(٣) ابن ميسر: المنتقى، ص ١٢٥، المقريزي: اتعاظ، ج٣، ص ١٦٠-١٦١، وانظر: ابن الطوير: نزهة، ص ٤٥، ٤٦، العمري: مسالك، ج٢٦، ورقة ٣٦٩-٣٧٠.

(٤) قوص: مدينة اقليم الأعمال القوصية على الضفة الشرقية لنهر النيل، ابن دقماق: الانتصار، ج٥، ص ٢٨.

(٥) ابن ميسر: المنتقى، ص ١٢٥، المقريزي: اتعاظ، ج٣، ص ١٦١.

(٦) ابن ميسر: المنتقى، ص ١٢٥، المقريزي: اتعاظ، ج٣، ص ١٦١.

(٧) المقريزي: اتعاظ، ج٣، ص ١٦١.

وما تبقى من الأرمن –ممن لم يعودوا إلى بلادهم- آثر أن يصبح فلاحا في أراضي مصر، فطلبوا مواضع لهم يسكنوها، فأُفردت لهم عدة جهات في صعيد مصر[1].

لقد تميز الأرمن في الجيش الفاطمي بأنهم رُماة بارعون، وقد ظهروا أكثر من مرة في العديد من الحوادث، ففي الحملة التي أُرسلت إلى اليمن سنة ٥١٥هـ/١١٢١م شارك الأرمن بـ ٤٠٠ جندي من الرماة من تعداد الحملة البالغ ألف رجل[2]. كما أن بهرام –كما سبق- استعان بـ ٢٠٠٠ من الرماة الأرمن عندما خُلع من الوزارة وطارده عسكر رضوان بن ولخشي، وظل الرماة الأرمن متواجدين في الجيش الفاطمي حتى نهاية الدولة، فقد انضموا إلى جانب السودان في قتالهم جيش صلاح الدين الأيوبي سنة ٥٦٤هـ/١١٦٨م[3].

وقد أكد المقريزي على دور الرماة الأرمن في مقاومة جيش صلاح الدين، وأن صلاح الدين لجأ إلى إحراق مساكن السودان والأرمن وأنه "أحرق أيضا دار الأرمن التي كانت بين القصرين، وكان بها خلق كثير من الأرمن كلهم رُماة لهم جارٍ (مخصصات) وكانوا في هذه الحروب قد أنكوا الغُز (جيش صلاح الدين) بشدة رميهم ومنعوهم أن يتجاوزوا من موضعهم إلى محاربة العبيد، فلما احترقت عليهم الدار، لم يكد يفلت منهم أحد"[4].

---

(١) المقريزي: اتعاظ، ج٣، ص ١٦١-١٦٢.

(٢) عمارة اليمني: أبو محمد عمارة بن أبي الحسن (ت٥٦٩هـ/١١٧٤م): تاريخ اليمن، تحقيق محمد بن علي الأكوع، المكتبة اليمنية، صنعاء، ١٩٨٥م، ص ١٣٣-١٣٤، (يشار إليه فيما بعد: عمارة: تاريخ اليمن).

Hamblin: The fatimid Army, p26.

Beshir: Fatimid, p25.

(٣) ابن الطوير: نزهة، ص ٤٦، المقريزي: اتعاظ، ج٣، ص ٣١٢-٣١٣، الخطط، ج٢، ص ٢-٣.

(٤) المقريزي: اتعاظ، ج٣، ص ٣١٣، وانظر الخطط، ج٢، ص ٢-٣.

وهكذا جاءت نهاية الأرمن -كما جاءت نهاية السودان- على يد صلاح الدين وجيشه الذي تتبع السودان والأرمن بعد هزيمتهم في كل مكان، واستولى على دورهم وممتلكاتهم(١).

(ج) الأكراد:

لم يظهر الأكراد بوضوح بين عناصر الجيش الفاطمي، رغم أن القلقشندي يشير إليهم كأحد العناصر البشرية التي تكونت منها طوائف الجيش المختلفة(٢)، والمثال الواضح حول مشاركة الأكراد في الجيش الفاطمي هو الوزير العادل سيف الدين أبو الحسن علي بن السلار، الذي تولى الوزارة سنة ٥٤٤هـ/١١٤٨م، وكان كرديا من قبيلة زرزاري، وعُيِنَ ضمن الحامية الفاطمية التي رتبها الأفضل بن بدر الجمالي في القدس بعد انتزاعها من سقمان بن ارتق التركماني في سنة ٤٩٢هـ/١٠٩٨م(٣).

أما في بلاد الشام فقد كان الأكراد يشكلون جزءاً من جيش نور الدين زنكي، ثم انتقل هذا العنصر مع حملات شيركوه إلى مصر، فقد صاحبت شيركوه جماعات كردية، شكلت الجيش الأيوبي فيما بعد، وترجع إلى قبائل الأكراد الهذبانيين الذين حكموا بعض المناطق الكردية في شمال العراق(٤)، كما شكل الأكراد أيضا جزءاً هاماً من جيش شيركوه، الذي اعتمد عليه صلاح الدين في محاربة قوات الجيش الفاطمي من السودان والأرمن(٥)، ثم كوّن منهم جيشا خاصا به بعد القضاء على عناصر الجيش الفاطمي: يقول المقريزي:

---

(١) المقريزي: اتعاظ، ج٣، ص ٣١٤، Hamblin: The Fatimid Army, p. 22.

(٢) القلقشندي: صبح الأعشى، ج٣، ص ٤٧٨.

(٣) ابن خلكان: وفيات، ج٣، ص ٤١٦، ابن الطوير: نزهة، ص ٥٧.

(٤) المقريزي: اتعاظ، ج٣، ص ٣٠٥، محسن حسين: الجيش الأيوبي، ص ٦٨.

(٥) Ayalon: The Mamluk, p 3-8.

"فلما زالت دولتهم (الفاطميين) على يد السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب، أزال جند مصر من العبيد والسودان والأمراء المصريين والعربان والأرمن وغيرهم واستجد عسكرا من الأكراد والأتراك خاصة"[1]، وكان أولئك هم نواة الجيش الأيوبي الذي حل محل الجيش الفاطمي في مصر مع قيام الدولة الأيوبية.

(٣) الرقيق:

استخدم الفاطميون في جيوشهم في مصر نوعين من الرقيق، الرقيق الأبيض المعروف بالصقالبة أو الروم، والرقيق الأسود المعروف بالسودان أو عبيد الشراء.

أ. الصقالبة:

لعب الصقالبة دوراً هاماً في جيش الدولة الفاطمية في المغرب[2]، وقد انتقل هؤلاء الصقالبة إلى مصر مع الفتح الفاطمي لها، إذ كانوا يشكلون جزءاً لا نعلم مقداره من جيش جوهر الفاتح، ولم يكن يعني هذا أن مصر لم تعرف الصقالبة قبل الفتح الفاطمي، إذ يرد أن الأخشيديين استخدموا الصقالبة في جيوشهم[3]، كما استخدمهم الحمدانيون في جيوشهم أيضا في بلاد الشام[4].

وأطلق على الصقالبة في مصر أحيانا "الروم"[5] أو "الروم المرتزقة"[6] وهي

---

(١) المقريزي: الخطط، ج١، ص ٩٤.

(٢) انظر الفصل الأول من هذه الدراسة.

(٣) Beshir: Fatimid, p 41.

(٤) ابن ظافر: أخبار، ص ٥٥. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٤، ص ١١٧، Beshir; fatimid, p41.

(٥) القلقشندي: صبح الأعشى، ج٣، ص ٣٥٣.

(٦) المقريزي: الخطط، ج٢، ص ٢١. وكان جوهر الصقلي مثلا يدعى بجوهر الرومي: العمري: مسالك، ج٢٦، ورقة ١٥٨، المقريزي: المقفى، ج٣، ص ٤٩٦،
H. Mones: Djawher Al-sikilli, El2, Vol (2), p494.

لفظة لها علاقة بموطن الصقالبة التي هي في الأصل من أراضي الدولة البيزنطية، وقد اختط هؤلاء الروم لهم حارتان في القاهرة، حارة الروم الجوانية، وحارة الروم البرانية[1]، كما نسبت إليهم أحد دروب القاهرة المعروف بدرب الصقالبة والموجود في حالة زويلة[2].

ومما يلفت النظر عند دراسة تاريخ مصر الفاطمية أن الصقالبة لم يكن لهم دور كبير في الجيش الفاطمي –كما هو الحال في الفترة المغربية- وأن جل ما يرد من إشارات عن الصقالبة تُبين أن هؤلاء العبيد اقتصرت مهامهم على وظائف إدارية، أو وظائف متعلقة بشؤون القصر والخلافة، الأمر الذي يدعو إلى الافتراض بأن أعداد الصقالبة في جيش مصر الفاطمي كانت قليلة مقارنة بالعناصر الأخرى من الجيش، وأن لفظه "الخدام الصقالبة" التي أطلقت عليهم في تلك الفترة، تؤيد انصراف الصقالبة إلى هذا النوع من الخدمة.

ولابد من الإشارة إلى الشخصيات الصقلبية التي تردد ذكرها في حوادث تلك الفترة والوظائف التي تولتها في محاولة لبيان دور هؤلاء العبيد في مصر، فإضافة إلى القائد الصقلبي المعروف بجوهر الكاتب أو جوهر الرومي، الذي لعب دوراً هاماً في تاريخ الفاطميين سواء في المغرب أو في فتح مصر وما أعقب ذلك من أحداث[3]، يمكن الإشارة إلى الشخصيات التالية:

١. حسين بن جوهر الصقلبي: عين قائدا للقواد في عهد العزيز والحاكم، وقد جعل إليه الحاكم أمر التوقيعات والنظر في أمور الناس وتدبير المملكة[4]،

---

(١) ابن عبد الظاهر: الروضة البهية، ورقة ١٤٨ب، ابن دقماق: الانتصار، ج٥، ص ٣٧، القلقشندي: صبح الأعشى، ج٣، ص ٣٥٣، ٣٥٥.

(٢) المقريزي: الخطط، ج٢، ص ٤٢، Beshir: fatimid, p41.

(٣) انظر الفصل الأول من هذه الدراسة.

(٤) المقريزي: المقفى، ج٣، ص ٤٩٦.

واستمر كذلك حتى قتله بعد أن هرب من مصر في سنة ٤٠١هـ/١٠١٠م[١].

٢. خود الصقلبي: ولي الشرطة السفلى (محرم ٣٨٨هـ/٩٩٨م)[٢].

٣. يانس الصقلبي: ولي برقة وطرابلس الغرب بين عامي ٣٨٨-٣٩٠هـ/٩٨٨-٩٩٩م[٣].

٤. برجوان: خصي أبيض من الصقالبة[٤]، رُبيَّ في دار العزيز بالله، وتولى أمر القصور[٥]، أصبح وصياً على الحاكم بأمر الله عندما ولي الخلافة صغيرا، ولعب دورا بارزا في الصراع بين الأتراك وكتامة أيام الحاكم[٦]، أمر الحاكم بقتله في ربيع الآخرة سنة ٣٩٠هـ/٩٩٨م[٧].

٥. ريدان الصقلبي: ولي وظيفة حمل المظلة أيام العزيز[٨]، وهو الذي كلفه الحاكم بقتل برجوان في سنة ٣٩٠هـ/٩٩٩م[٩] وتُنسب إليه الريدانية خارج القاهرة[١٠].

---

(١) ابن الصيرفي: الإشارة، ص ٥٨. المقريزي: الخطط، ص ١٤-١٥، والمقفى، ج٣، ص ٤٩٥.

(٢) المقريزي: اتعاظ، ج٢، ص ١٧.

(٣) المقريزي: اتعاظ، ص ١٧، ٣٧.

(٤) المقريزي: المقفى، ج٢، ص ٥٧٢، Lewis: Barjawan, El2, Vol(1), p. 1041.

(٥) ابن أيبك: الدرة المضية، ص ١٤٢، الصفدي: الوافي، ج١٠، ص ١١٠، المقريزي: الخطط، ج٢، ص ٣، والمقفى، ج٢، ص ٥٧٢-٥٧٣.

(٦) انظر الحديث عن كتامة والأتراك فيما سبق (المغاربة، المشارقة).

(٧) ابن خلكان: وفيات، ج١، ص ٢٧٠-٢٧١، الصفدي: الوافي، ج١٠، ص ١١٠.

(٨) المقريزي: الخطط، ج٢، ص ١٣٩، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٤، ص ١٢٣.

(٩) ابن خلكان وفيات، ج١، ص ٢٧٠-٢٧١، الصفدي: الوافي، ج١٠، ص ١١٠، المقريزي: المقفى، ج٢، ص ٢٧٤-٢٧٥.

(١٠) الصفدي: الوافي، ج١٠، ص ١١٠.

٦. مسعود الصقلبي: ولي وظيفة صاحب السِتر[١] في أيام الحاكم بأمر الله[٢].

٧. نسيم الصقلبي: ولي وظيفة صاحب الستر أيام الحاكم وابنه الظاهر[٣]، وهو الذي كلفته ست الملك بقتل ابن دواس الكُتامي في سنة ٤١١هـ/١٠٢٠م[٤].

٨. صبوح الصقلبي: كان مُتولياً للشرطة (إشارة له سنة ٤١٤هـ/١٠٢٣م)[٥].

٩. مظفر الصقلبي: ولي عدة وظائف منها الشرطة والحسبة وحمل المظلة أيام الحاكم وابنه الظاهر[٦]، إضافة إلى ولاية دمشق في سنة ٤٤٠هـ/١٠٤٨م[٧].

١٠. طارق الصقلبي: تولى دمشق (إشارة له سنة ٤٤٠هـ/١٠٤٨م[٨].

١١. المختار الصقلبي: ولي وظيفة زمام[٩] (؟)[١٠].

---

(١) صاحب الستر: أو متولي الستر وهو نفسه صاحب العذاب الذي يتولى ضرب من يؤمر بضربه من قبل الخليفة، ابن الطوير: نزهة، ص ٥٤، هامش (٣).

(٢) المقريزي: المقفى، ج٣، ص ٤٩٧، اتعاظ، ج٢، ص ٣٠.

(٣) المسبحي محمد بن عبد الله (ت ٤٢٠هـ/١٠٢٩م): أخبار مصر في سنتين (٤١٤-٤١٥هـ) تحقيق وليم ملورد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٠، ص ١٧٦، (يشار إليه فيما بعد: المسبحي: أخبار مصر). المقريزي: المقفى، ج٣، ص ٥٦٣، اتعاظ، ج٢، ص ١٢٧-١٢٨.

(٤) المقريزي: المقفى، ج٣، ص ٥٦٣، ابن العميد: تاريخ، ورقة ١٤٩ب.

(٥) المسبحي: أخبار مصر، ص ٣٢.

(٦) المقريزي: اتعاظ، ج٢، ص ١٠٠، ١٥٩.

(٧) ابن ميسر: المنتقى، ص ٧.

(٨) الذهبي: سير، ج١٥، ص ١٨٧، المقريزي: اتعاظ، ج٢، ص ٢٠٧.

(٩) زمام القصر: وهي وظيفة من وظائف الاستاذين المحنكين تشبه وظيفة زمام الدور زمن المماليك، القلقشندي: صبح الأعشى، ج٣، ص ٤٨١.

(١٠) المقريزي: الخطط، ج٢، ص ٢٠.

ب. العبيد السودان:

دخل العبيد السودان الجيوش الإسلامية في مصر في فترة سابقة للفاطميين، فقد استخدمهم أحمد بن طولون في جيشه حتى كان "أكثر عسكره من السودان"[١]، وتابعه الأخشيديون في ذلك[٢].

وللفاطميين سابقة في استخدام الرقيق الأسود في جيوشهم، فقد استخدموا العبيد الزويليين السود في المغرب، وانتقل قسم منهم إلى مصر بعد الفتح[٣]، أما في مصر فقد توسعوا في استخدام العبيد السودان في الجيش، ويبدو أن قرب بلاد السودان من مصر قد سهل على الفاطميين استخدام هذا العنصر بكثرة، إضافة إلى ما يتميزون به قوة وجلد على القتال.

جُلب الرقيق الأسود إلى مصر من بلاد النوبة أو أثيوبيا[٤]، بطرق شتى، ذكرت منها المصادر ثلاثة طرق، الأول: الضريبة التي فُرضت على ملك النوبة في العصر الفاطمي، والتي تضمنت إرسال ٣٦٠ راسا من الرقيق إلى مصر سنويا[٥]، والثاني: الهدايا التي كانت ترسل من بلاد النوبة إلى خلفاء الفاطميين

---

(١) القلقشندي: صبح الأعشى، ج٣، ص ٤٦٧، Beshir: fatimid, p40، وقد ذكر القلقشندي أن تعداد السود في جيش ابن طولون بلغ ١٢ ألفا، صبح الأعشى، ج٣، ص ٤٦٧، في حين ذكر مؤرخون آخرون أن تعدادهم بلغ ٤٠ ألف عبد، انظر الأسدي: محمد بن أحمد (ت٦٥٨هـ/ ١٢٦٠م): التيسير والاعتبار والتحرير والاختبار، تحقيق عبد القادر الطليمات، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٦٨، ص ٦٧، (يشار إليه فيما بعد: الأسدي: التيسير)، المقريزي: الخطط، ج١، ص ٩٤، ابن اياس: نزهة الأمم في العجائب والحكم، تحقيق محمد زينهم، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٥م، ص ١٣٣، (يشار إليه فيما بعد: ابن إياس: نزهة).

(٢) المقرزي: الخطط، ج١، ص ٩٤، ابن إياس: نزهة، ص ١٣٣، كاشف: مصر، ص ٢٥٧-٢٥٨.

(٣) انظر الفصل الأول من هذه الدراسة.

(٤) خسرو: سفر نامة، ص ٨١، ص Hamblin: The fatimid Army, p31-32, Beshir: fatimid, 40.

(٥) المقريزي: اتعاظ، ج٣، ص ٤١. عبد المنعم سلطان: المجتمع المصري في العصر الفاطمي، دار المعارف، مصر، ١٩٨٥، ص ٨٦، (يشار إليه فيما بعد: سلطان: المجتمع المصري).

بين فترة وأخرى والتي تتضمن أحيانا عددا من الرقيق[1]. أما الطريق الثالث فقد ذكره الرحالة بنيامين التطيلي الذي زار مصر في أواخر العصر الفاطمي، وذكر بأن أهل أسوان كانوا يصطادون العبيد في أراضي النوبة عن طريق ترغيبهم بالطعام من خبز وزبيب وتين ونحوه، ثم يستدرجونهم إلى أسواق الرقيق ليباعوا هناك[2].

والواقع أن أعداد السودان الكبيرة التي شهدتها مصر الفاطمية، لا يمكن أن تكون هذه الطرق هي المسؤولة عن وجودها فقط، إذ يمكن القول أن تجارة الرقيق والشراء الرسمي للعبيد من قبل الدولة هو أكثر الطرق شيوعاً، وهذا ما يؤديه إطلاق مصطلح "عبيد الشراء" على أعداد كبيرة من السودان ليتميزوا عن باقي العناصر السودانية التي جاءت من الطرق الأخرى.

لم يظهر العنصر السوداني في الجيش بشكل واضح أيام العز لدين الله، فقد كانت كُتامة لا تزال العنصر صاحب السيادة في الجيش الفاطمي، واستمر ذلك في عهد العزيز رغم إدخال عناصر جديدة من الأتراك والديلم، أما في عهد الحاكم فقد ظهر العبيد ضمن العسكر الذي كلفه بإحراق مصر (الفسطاط)، بعد أن سخر منه العامة بصنع امرأة من قماش في يدها قدح لاذع له، وقد لجأ الحاكم إلى تكليف العبيد بالذات لهذه المهمة لأنهم غرباء عن العامة ولفظاظتهم وقسوتهم وميلهم إلى العنف المتمثل بالسلب والنهب والاعتداء على حرمات الناس وممتلكاتهم، يؤيد ذلك امتناع كُتامة والأتراك عن إحراق الدور، ووقوفهم ضد العبيد الذين كان يزودهم الحاكم بالأوامر والسلاح سرا[3].

---

(١) المسبحي: أخبار مصر، ص ٣١، ٥٦.

(٢) بنيامين التطيلي: رحلة بنيامين التطيلي، (ترجمة عزرا حداد، بغداد، ١٩٤٥)، ص ١٧٠، (يشار إليه فيما بعد: التطيلي: رحلة) سلطان: المجتمع المصري، ص ٨٥.

(٣) الذهبي: سير، ج١٥، ص ١٨٠-١٨١، ابن الجوزي: المنتظم، ج١٥، ص ١٣٩-١٤٠، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٤، ص ١٨١-١٨٢، سبط ابن الجوزي: يوسف بن غزاوغلي (ت

ومنذ ذلك العهد بدأ العبيد يظهرون على مسرح الأحداث الداخلية المتعلقة بالصراع بين طوائف الجند المختلفة، خاصة بعد أن اعتق الحاكم أعداداً كبيرة من الرقيق في مصر مع سائر ما يملك من عبيد وإماء، وملكهم ما كانوا يملكونه في حال رقهم من الأموال، وذلك في عام ٤٠٤هـ/١٠١٣م[١]، ويبدو أن هذا الإجراء قد شجع العبيد على ممارسة أعمال السلب والنهب ضد العامة في أماكن متفرقة من مصر[٢].

ازدادت أعداد السودان في الجيش بعد ذلك بصورة ملفتة للنظر حتى أصبح هؤلاء السود يشكلون أهم عناصر الجيش في عهد المستنصر، ولم يأتِ هذا التزايد من طرف المستنصر نفسه، بل جاء من طرف أمه، تلك الجارية السوداء التي أخذت على عاتقها الإكثار من بني جنسها في الجيش[٣]، الأمر الذي أدى إلى ظهور عبيد الشراء ضمن عناصر الجيش كفئة كبيرة بقدر عدد أفرادها بالآلاف. وقد لاحظ الرحالة الفارسي ناصر خسروا الذي زار مصر زمن المستنصر في مطلع عام ٤٣٩هـ/١٠٤٧م أي بعد حوالي اثني عشر عاما من خلافة المستنصر – أن تعداد عبيد الشراء في الجيش الفاطمي بلغ ٣٠ ألف عبد[٤] وأن باقي السود من الزنوج في الجيش قد شكلوا نفس العدد أيضا[٥].

= ٦٥٤هـ/١٢٥٦م): مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، ج١٢، مخطوطة مكتبة البودليان، رقم ٣٧٠، ميكروفيلم في مكتبة الجامعة الأردنية، رقم الشريط ٥٤٣، ورقة ١٣٩أ–١٤٠ب، (يشار إليه فيما بعد: سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان)، ابن العميد: تاريخ، ورقة ١٥٠أ–ب.

(١) ابن ايبك: الدرة المضية، ص ٢٨٨، سلطان: المجتمع المصري، ص ٨٧.

(٢) انظر مثلا: المُسبحي: أخبار مصر، ص ٢٠٣–٢٠٤، ٢٠٨–٢٠٩، المقريزي: اتعاظ الحنفا، ج٢، ص ١٦٣٥، ١٦٨، ١٦٩–١٧٠.

(٣) ابن ميسر: المنتقى، ص ٢٥، النويري: نهاية الأرب، ج٢٨، ص ٢٢٥، المقريزي: اتعاظ، ج٢، ص ٢٦٦، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٥، ص ١٨.

(٤) خسرو: سفر نامة، ص ٩٤.

(٥) خسرو: سفر تامة، ص ٩٥.

وهذا يدل على نشاط واضح في شراء العبيد السود، فاق السنوات السابقة لخلافة المستنصر الأمر الذي أدى إلى أن يصطبغ الجيش الفاطمي بالعنصر السوداني حتى نهاية الدولة الفاطمية.

والواقع أن تزايد العنصر السوداني بهذه الصورة قد أدى إلى ظهور النزاع المسلح بين طوائف الجند المختلفة، بسبب تزايد الاهتمام بهذه العنصر ذي المكانة الاجتماعية المتدنية، وقد شهد النصف الثاني من عهد المستنصر نزاعا مستمرا بين السودان الذين تساندهم أم المستنصر وتغدق عليهم الأموال، وبين الأتراك الذين يطالبون المستنصر باستمرار بالزيادة في مقرراتهم المالية، وقد بدأ ذلك النزاع منذ عام ٤٥٤هـ/١٠٦٢م، ففي جمادي الآخرة من ذلك العام اعتدى أحد الأتراك في سكرة منه على بعض عبيد الشراء، فاجتمع عليه العبيد وقتلوه، فاشتكى جماعة من الأتراك إلى المستنصر، فأنكر علمه بذلك، فتطور النزاع إلى قتال شديد بين الطرفين في موقعه عرفت بـ "كوم شريك" انهزم فيها العبيد، وأخذت أم الخليفة تزود العبيد بالأموال والسلاح سرا، وظل النزاع قائما حتى تم الصلح بين الطرفين، ثم تلا ذلك إخراج العبيد إلى أحد ضواحي القاهرة[1].

لم تتراجع مكانة العبيد السود بانهزامهم أمام الأتراك، بل أن أعداد عبيد الشراء أخذت في التزايد المستمر حتى بلغت عام ٤٥٩هـ/١٠٦٦م ٥٠ ألف عبد ما بين فارس وراجل[2]، وإزاء تسلط الأتراك على المستنصر ومطالبتهم المستمرة بزيادة مقرراتهم ورواتبهم، أخذت أم المستنصر في إثارة العبيد مجدداً ضد الأتراك في ذلك العام، وأرسلت إلى قادتهم تحثهم على مقاتلة الأتراك وإخراجهم من مصر، فجمع العبيد قواتهم والتقوا مع الأتراك في الجيزة في قتال عنيف أدى

(١) ابن الأثير: الكامل، ج١٠، ص ٨١-٨٢، ابن ميسر: المنتقى، ص ٢٤-٢٦، المقريزي: اتعاظ، ج٢، ص ٢٦٥-٢٦٦، والخطط، ج١، ص ٤٨٩، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٥، ص ١٨-١٩، أيمن فؤاد: الدولة الفاطمية، ص ١٣٦-١٣٨.

(٢) ابن الأثير: الكامل، ج١٠، ص ٨١، ابن ميسر: المنتقى، ص ٣١، المقريزي: اتعاظ، ج٢، ص ٢٧٣.

إلى هزيمتهم ولجوئهم إلى الصعيد[1].

وفي الصعيد تجمع أكثر من خمسة عشر ألفاً من العبيد لقتال الأتراك الذين تزعمهم آنذاك الأمير ناصر الدولة ابن حمدان، وقد توجه قسم من الأتراك إلى القاهرة للشكوى للمستنصر من أفعال العبيد المتكررة ضدهم، فأرسلت أم المستنصر فرقة من العبيد لإخراج هؤلاء الأتراك من القاهرة، فتوجه ابن حمدان بالأتراك إلى خارج القاهرة، ثم تتبعهم العبيد[2]، والتقوا في قتال آخر كانت الغلبة فيه للأتراك أيضا، وقتل من العبيد عدد لا يحصى وتبعهم الأتراك بالقتل في الإسكندرية والصعيد وحاصروهم بها حتى طلبوا الأمان[3].

وتجدد قتال الأتراك للعبيد في العام التالي بعد أعمال الفساد والأذى التي قام بها العبيد ضد العامة، وقد أسفر القتال الذي دار بين الطرفين عن هزيمة الأتراك الذين اتهموا المستنصر بمساندة العبيد سراً، وطالبوه بالنفقة فأنفق عليهم، ثم عادوا لقتال العبيد عدة مرات حتى هزموهم[4]، وتتبعوا العبيد حتى "قُتل كثير من أعدادهم بحيث لم ينجُ منهم إلا القليل وزالت حينئذ دولتهم"[5]. واشتط ابن حمدان في التنكيل بالعبيد، مما أدى إلى تجدد الحرب التي استمرت ثمانية أشهر من عام ٤٦٢هـ/١٠٦٩م، الأمر

---

(١) ابن ميسر: المنتقى، ص ٣١، المقريزي: اتعاظ، ج٢، ص ٢٧٣، الخطط، ج١، ص ٣٣٥–٣٣٦، المناوي: الوزارة، ص ١٧٥–١٧٦.

(٢) ابن الأثير: الكامل، ج١٠، ص ٨٢، ابن ميسر: المنتقى، ص ٣١–٣٢، الذهبي: تاريخ الإسلام (٤٦١–٤٧٠هـ)، ص ١٩، النويري: نهاية الأرب، ج٢٨، ص ٢٢٦–٢٢٧، المقريزي: اتعاظ، ج٢، ص ٢٧٣–٢٧٤، الخطط، ج١، ص ٣٣٦.

(٣) ابن الأثير: الكامل، ج١٠، ص ٨٢، المقريزي: اتعاظ، ج٢، ص ٢٧٤، الذهبي: سير، ج١٥، ص ١٩.

(٤) ابن الأثير: الكامل، ج١٠، ص ٨٣، ابن ميسر: المنتقى، ص ٣٢–٣٣، المقريزي: اتعاظ، ج٢ـ ص ٢٧٦.

(٥) ابن ميسر: المنتقى، ص ٣٢–٣٣، المقريزي: اتعاظ، ج٢، ص ٢٧٦، والخطط، ج١، ص ٣٣٦.

الذي أدى إلى تعطل الحياة الزراعية في إقليم الوجه البحري[١].

وتميز عهد المستنصر أيضا بظهور حارات السودان التي اختطت بعد خروج مصر من محنة المجاعة الكبرى التي عرفت بالشدة العظمى، وكانت أهم حارات السودان في تلك الفترة حارة الحُسينية التي سكنتها طائفة الريحانية[٢]، كما نُسبت إليها طائفة أخرى من عبيد الشراء عرفت بطائفة الحسينية[٣]، وتلا ذلك ظهور طوائف متعددة للسودان نسبت إلى أشخاص اشتروا أعدادا كبيرة من عبيد الشراء، فظهرت طائفة الفرحية المنسوبة إلى حارة الفرحية[٤] والميمونية المنسوبة إلى ميمون أحد الخدام[٥].

وقد لعبت هذه الطوائف دوراً بارزاً في الصراع الذي نشب بين الخلفاء والوزراء أو بين طوائف الجند أنفسها، والتي شهدها النصف الأول من القرن السادس الهجري وحتى نهاية الدولة الفاطمية[٦]، وكانت الريحانية أقوى هذه الطوائف وأشدها تأثيرا في مجرى الحوادث التي شهدتها هذه الفترة، فقد وقفت هذه الطائفة إلى جانب الأمير حسن بن الحافظ ضد والده الخليفة في سنة ٥٢٨هـ/١١٣٣م[٧]، ولما كان السودان أقوى طوائف العسكر في الجيش، فقد استمالهم الحافظ لإخضاع تمرد وزيره رضوان بن ولخشي

---

(١) المقريزي: اتعاظ، ج٢، ص ٣٠٢-٣٠٣، وانظر: ابن الوردي: تاريخ ابن الوردي: (٢ج، المطبعة الحيدرية، النجف، ١٩٦٩)، ج١، ص ٥٢٣، (يشار إليه فيما بعد: ابن الوردي: تاريخ).

(٢) المقريزي: الخطط، ج٢، ص ١٣٦

(٣) المقريزي: الخطط، ج٢، ص ٢٠.

(٤) المقريزي: الخطط، ج، ص ١٤.

(٥) المقريزي: الخطط، ج٢، ص ١٤.

(٦) سيتم الحديث بالتفصيل عن هذه الطوائف في الفصل الثالث من هذه الدراسة.

(٧) ابن ميسر: المنتقى، ص ١١٩-١٢٠، المقريزي: الخطط، ج٢، ص ١٧-١٩، والمقفى، ج٣، ص ٤١٦.

وقتله في ذي القعدة من عام ٥٤٢هـ/١١٤٧م(١).

وقد شهدت الأيام الأخيرة من خلافة الحافظ صراعاً مريراً بين طائفة الريحانية، التي أشار إليها أسامة بن منُقذ على أن أفرادها أصبحوا عبيداً للحافظ(٢)، وبين طوائف الجيش الأخرى من الأرمن وصبيان الخاص، راح ضحيتها أعداداً كبيرة من العبيد السودان(٣).

ظل السودان يشكلون عماد الجيش في المؤامرات التي قامت حول الخلافة والوزارة، والقوة التي استندت إليها الخلافة في الإطاحة بالمتآمرين، فاستعان بهم أهل القصر في قتل الوزير عباس وابنه نصر الذين اتُهما بقتل الخليفة الظافر في سنة ٥٤٩هـ/١١٥٤م(٤)، كما استعانت بهم سِت القصور (أخت الخليفة الظافر) على قتل الوزير طلائع بن رزيك في ١٩ رمضان سنة ٥٥٦هـ/١١٦٠م بسبب مضايقاته المستمرة لأهل القصر(٥).

وقد دلت أحداث السنوات الأخيرة للدولة الفاطمية على أن العنصر السوداني استمر يشكل الغالبية العظمى في الجيش الفاطمي، والعنصر الأكثر وضوحاً على مسرح الأحداث والقوة التي يُحسب حِسابها، فعندما كلف نور الدين زنكي قائده شيركوه بقيادة الحملة على مصر لإرجاع شاور

---

(١) ابن ميسر: المنتقى، ص ١٣٧-١٣٨، المقريزي: اتعاظ، ج٣، ص ٢٤٦-٢٤٨، وانظر: ابن منقذ: الاعتبار، ص ٤٠-٤١.

(٢) ابن منقذ: الاعتبار، ص ٦-٧.

(٣) ابن ميسر: المنتقى، ص ١٤٠، ابن منقذ: الاعتبار، ص ٦-٧.

(٤) ابن الأثير: الكامل، ج١١، ص ١٩٣، ابن خلكان: وفيات، ج٣، ص ٤٩٢-٤٩٣، ابن ميسر: المنتقى، ص ١٤٩-١٥٠، المقريزي: اتعاظ، ج٣، ص ٢١٤-٢١٦.

(٥) الأصفهاني: عماد الدين أبو عبد الله محمد بن محمد (ت ٥٩٧/١٢٠١م): البستان الجامع لجميع تواريخ أهل الزمان، تحقيق أحمد الطعاني، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، ١٩٨٤، ص ٣٤١، (يشار إليه فيما بعد: الأصفهاني: البستان الجامع)، المقريزي: اتعاظ، ج٣، ص ٢٤٦-٢٤٧.

إلى منصب الوزارة في عام ٥٥٩هـ/١١٦٣م رد عليه شيركوه قائلا: "لا أمشي بألف فارس إلى إقليم فيه عشرة آلاف فارس، ومائة شيني (سفينة) فيها عشرة آلاف مقاتل، وعندهم أربعون ألف عبد لخمس خلفاء[١]، وهم مستوطنون في أوطانهم قريبة منهم خزائنهم"[٢].

وقد استطاع ضرغام بن سوار الذي اغتصب الوزارة من شاور، الاستناد إلى الريحانية من العبيد السود إضافة إلى عناصر أخرى من الأرمن في قتاله لجيش شيركوه وإلحاق الهزيمة به في البداية[٣]، إلا أن كراهية العامة لضرغام دفعت من معه من السودان إلى الانضمام إلى جانب شيركوه، الأمر الذي عجل بنهاية ضرغام في أواخر جمادي الآخر سنة ٥٥٩هـ/١١٦٣م[٤].

ولما تولى صلاح الدين الوزارة في سنة ٥٦٤هـ/١١٦٨م، استبد بأمور الحكم دون الخليفة العاضد، ووزع مساحات كبيرة من أراضي مصر كإقطاعات لجيشه، فاستنكر أمراء مصر ذلك، وعلى رأسهم مؤتمن الخلافة جوهر –مقدم السودان في ذلك الوقت- وسعى إلى التخلص من صلاح الدين وجيشه، فراسل الفرنجة لقصد مصر لينشغل بهم صلاح الدين، في الوقت الذي تقوم به الثورة في الداخل، إلا أن صلاح الدين اطلع على تلك المراسلة قبل وصولها، وسارع إلى التخلص من جوهر[٥].

---

(١) ذكر المقريزي أن العبيد السود بلغوا في هذه الفترة أكثر من ٤٠ ألف فارس و ٣٠ ألف راجل، الخطط، ج١، ص ٨٢.

(٢) المقريزي: اتعاظ، ج٣، ص ٢٢٦.

(٣) المقريزي: اتعاظ، ج٣، ص ٢٦٩، الخطط، ج١، ص ٣٣٨.

(٤) المقريزي: اتعاظ، ج٣، ص ٢٦٩–٢٧٠، الخطط، ج١، ص ٣٣٨.

(٥) ابن الأثير: الكامل، ج١١، ص ٣٤٥–٣٤٦، ابن واصل: محمد بن سالم (ت٦٩٧هـ–١٢٩٨م) مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، ٥ج، ج١، تحقيق جمال الدين الشيال، مصر د.ن، و د.ت،

جاءت ردة فعل السودان على قتل مقدمهم سريعة وقوية، فقد تجمع الأمراء والجنود من العبيد السودان في نحو خمسين ألفا كما تذكر المصادر[1]. وانضاف إليهم الأرمن، وطيلة قتال امتد يومين كاملين استطاع السودان والأرمن إلحاق الهزيمة بجيش صلاح الدين، الأمر الذي دفع الأخير إلى إرسال من يحرق مساكن العبيد في حارة المنصورة فاحترقت على أهليهم وأملاكهم[2]. كما أن أحد خواص الخليفة أطل من شرقة القصر، ووجه إلى الأمير شمس الدولة تورانشاه –أخ صلاح الدين- خطابا يقول فيه "أمير المؤمنين يسلم عل شمس الدولة، ويقول: دونكم والعبيد الكلاب، أخرجوهم من بلادكم"[3]. ولما سمع العبيد تلك المقولة –والتي ظهرت وكأنها مكيدة- ضعفت نفوسهم مما أدى إلى هزيمتهم وتتبعهم جيش صلاح الدين في كل مكان حتى طلبوا الأمان، فأمنوا على أن يتركوا القاهرة، فتركوها إلى الجيزة، في الوقت الذي استباح فيه جيش صلاح الدين أموال العبيد وممتلكاتهم، في أواخر ذي القعدة من عام

= ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

ج١، ص ١٧٤–١٧٥، (يشار إليه فيما بعد: ابن واصل: مفرج الكروب)، العمري: مسالك، ج٢٧، ورقة ٥١، ابن الفرات: محمد بن عبد الرحيم (ت ٨٠٧هـ/١٤٠٤م٩، تاريخ ابن الفرات، م٤، ج١، تحقيق حسن الشماع، منشورات جامعة البصرة، ١٩٦٧م، م٤، ج١، ص ٦٧–٦٩، (يشار إليه فيما بعد: ابن الفرات: تاريخ)، المقريزي: اتعاظ، ج٣، ص ٣١٢، ابن تغري بردي: مورد اللطافة، ورقة ٥٦ ب.

(١) ابن الأثير: الكامل، ج١١، ص ٣٤٦، البنداري: الفتح بن علي بن محمد (ت ٦٤٢هت/١٢٤٤م)، سنا البرق الشامي، تحقيق فتحية النبراوي، مكتبة الخانجي، مصر، ١٩٧٩م، ص ٤٢–٤٤، (يشار إليه فيما بعد: البنداري: سنا البرق)، ابن العميد: تاريخ، ورقة ١٣٢أ، ابن واصل: مفرج الكروب، ج١، ص ١٧٦، المقريزي: اتعاظ، ج٣، ص ٣١٢، الخطط، ج٢، ص ٣، ١٩، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٥، ص ٣٥٤.

(٢) ابن الأثير:الكامل، ج١١، ص ٣٤٧، ابن العميد: تاريخ، ورقة ١٩١أ، ابن واصل: مفرج الكروب، ج١، ص ١٧٦، ابن الفرات: تاريخ، م٤، ص ٧٠، المقريزي: اتعاظ، ج٣، ص ٣١٣.

(٣) ابن الفرات: تاريخ، م٤، ج١، ص ٧٠، المقريزي: اتعاظ، ج٣، ص ٣١٣.

٥٦٤هـ/١١٦٨م[1].

وخوفا من تجمع قواتهم من جديد، فقد تتبع شمس الدولة العبيد إلى الجيزة "بالجيش فأبادهم حصدا بالسيف، ولم ينج منهم إلا الشريد، وأمر صلاح الدين بتخريب المنصورة وصيرها بستانا فمضى العبيد وذهبت آثارهم من مصر"[2].

ولم يكتفِ صلاح الدين بذلك، بل سعى إلى تصفية واسعة النطاق للعناصر السودانية، ذكر المقريزي في حوادث الأيام الأخيرة من سنة ٥٦٤هـ/١١٦٨م "واخرج صلاح الدين خاله الأمير شهاب الدين الحارمي إلى الصعيد، يتبع من فر من العبيد، فأفناهم ولم يبق منهم بديار مصر إلا من اختفى بعد أن كانت البلاد لا تخلو من مدينة ولا محلة من أن يكون فيها مكان مُعدٌ للعبيد محمي لا يدخله والٍ ولا غيره"[3]، كما "أخذ صلاح الدين في الاستيلاء على دور العبيد والأرمن والأمراء واسكن فيها أصحابه معه

---

(١) الأصفهاني: البستان الجامع، ص ٣٥٧، ابن الأثير: الكامل، ج١١، ص ٣٤٧، أبو شامة: عبد الرحمن بن إسماعيل (ت٦٥٥هـ/٢٦٧م)، الروضتين في أخبار الدولتين، تحقيق محمد حلمي أحمد، القاهرة، ١٩٦٢م، ج١، ق٢، ص ٤٥٠-٤٥٢، (يشار إليه فيما بعد: أبو شامة: الروضتين)، وانظر: ابن سعيد: النجوم الزاهرة، ص ١٨٤، العمري: مسالك، ج٢٧، ورقة ٥١، ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٢، ص ٢٥٨، ابن الفرات: تاريخ، م٤، ج١، ص ٧٠-٧١، ابن خلدون: العبر، ج٤، ق١، ص ١٧١، المقريزي: اتعاظ، ج٣، ص ٣١٢-٣١٣، الخطط، ج٢، ص ٢-٣، ١٩، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٥، ص ٣٥٤، مورد اللطافة، ورقة ٥٦ ب-١٥٧أ.

Lanne pool: Saladin and the fall of the kingdom of Jerusalem, Beirut, 1964, p. 100-102.

(يشار إليه فيما بعد: pool: Saladin)

مصطفى الحياري: صلاح الدين، القائد وعصره، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٤، ص ١٢٦-١٢٧، (يشار إليه فيما بعد: الحياري: صلاح الدين).

(٢) المقريزي: اتعاظ، ج٣، ص ٣١٣، الخطط، ج٢، ص ٣.

(٣) المقريزي: اتعاظ، ج٣، ص ٣١٤، الخطط، ج٢، ص ٣.

بالقاهرة"[1].

ورغم حملة الإبادة الجماعية التي تعرض لها العبيد السودان على يد صلاح الدين وجيشه إلا أننا نسمع عن ثورة جديدة للعبيد بعد ثلاث سنوات من سقوط الدولة الفاطمية، ففي سنة ٥٧٠هـ/١١٧٤م، جمع شخص يدعى "الكنز"، أعدادا كبيرة من العبيد من أطراف مصر، بالغت المصادر في تقديرهم بـ "١٠٠" ألف عبد، وتوجه بهم إلى أسوان قاصدا إرجاع الدولة الفاطمية، فأرسل إليهم صلاح الدين جيشا كبيرا بقيادة أخيه العادل، والحق بهم هزيمة قوية واستأصل شأفتهم، وقتل مقدمهم "الكنز"[2].



(١) المصادر ذاتها.

(٢) أبو شامة: الروضتين، ج١، ق٢، ص ٦٠٠-٦٠١، وانظر: ابن شداد: يوسف بن رافع (ت ٦٢٣هـ/١٢٣٤م): النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، تحقيق جمال الدين الشيال، الإسكندرية، ١٩٦٤م، ص ٣٧، (يشار إليه فيما بعد: ابن شداد: النوادر)، سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان، ج٨، ق١، ص ٣٣٨، ابن خلكان: وفيات، ج٧، ص ١٦٥، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٦، ص ٢٤، ٧٨.

الفصل الثالث

فـــرق الجـــيش وطوائفـــه

أولا : خواص الخليفة

ثانيا : الأمراء

ثالثا : طوائف الجيش

رابعا : القوة البحرية (الأسطول)

خامسا : الفرق المحلية


الذخيرة العربية

الفصل الثالث

فرق الجيش وطوائفه

تكون الجيش الفاطمي من فرق عدة وطوائف مختلفة، بعضها خاص بالخليفة وبعضها الآخر كان للوزراء والأمراء والخدام دور في نشأتها، إضافة إلى ما أُستجد من فرق حسب حاجة الدولة وظروفها، وقد ارتأى الباحث أن يقسم تلك الفرق على النحو التالي:

أولا: خواص الخليفة

ثانيا: الأمراء

ثالثا: طوائف الجيش

رابعا: القوة البحرية

خامسا: الفرق المحلية

أولا: خواص الخليفة:

تضم هذه المجموعة، جميع العناصر التي تلازم الخليفة في خدمته، ومصاحبته في ركوبه ومواكبه، وتقسم إلى ما يلي:

أ. الأستاذون:

عرف البلاط الفاطمي – كما هو الحال في جميع دول العصور الوسطى، الخدام من العبيد الخصيان وغير الخصيان، ومن البيض والسود على حد

سواء[1] ومن عناصر متنوعة، شكل الصقالبة[2] الغالبية العظمى منهم في الدولة الفاطمية.

وقد أطلق على طبقة الخدام في العصر الفاطمي لقب "الأستاذون" وهو اللقب الذي تطور فيما بعد إلى "الطواشية" زمن الأيوبيين والمماليك[3]، وقد مَيّز مصطلح "الأستاذون" الطبقة الرفيعة من الخدام الملازمين للخليفة عن غيرهم، والذين شكلوا الفئة الأولى من خواص الخليفة المقربين والحائزين على كثير من وظائف الدولة الهامة[4].

لم تحدد المصادر العدد الإجمالي لطبقة الأستاذين في الدولة الفاطمية، ويبدو أن أعدادهم كانت في تغير مستمر تبعاً للأحوال السياسية للدولة، ومدى اهتمام الخلفاء بهذه الطبقة، والتحديد الوحيد الذي بين أيدينا ذكره الرحالة ناصر خسرو الذي زار مصر زمن المستنصر بالله، وذكر بأن أعداد الأستاذين بلغ آنذاك "٣٠" ألف أستاذ في مختلف المراتب[5]، وهذا الرقم -على ما فيه من مبالغة- يشير إلى كثرة أعداد هؤلاء الخدام في الدولة الفاطمية.

ونظرا لتمايز أفراد هذه الطبقة، فقد قُسمت إلى قسمين:

١. الأستاذون المحنكون:

وهم الفئة العليا من طبقة "الأستاذون"، وسبب تسميتهم بالمحنكين يعود إلى

---

(١) ماجد: نظم، ج٢، ص ١١.

(٢) أنظر عن الصقالبة الفصلين الأول والثاني من هذه الدراسة.

(٣) عن دور الطواشية في جيش المماليك، انظر: محمد العمايرة: الجيش في العصر المملوكي الثاني، رسالة ماجستير، إشراف د. مصطفى الحياري، الجامعة الأردنية، ١٩٩٤م، ص ١٧١-١٧٦، (يشار إليه فيما بعد: العمايرة: الجيش).

(٤) القلقشندي: صبح الأعشى، ج٣، ص ٤٧٧، Hamblin: the Fatimid Army, P. 38.

(٥) خسرو: سفرنامة، ص ٩٤.

زي الرأس الذي تميزوا به عن غيرهم، إذ كانوا "يدورون عمائمهم (مناديلهم) على أحناكهم"[١]، أي أن يمر طرف المنديل تحت الحنك ليصعد من الجهة المقابلة، ويلتف من جديد حول الرأس[٢]، وهؤلاء أقرب الخواص إلى الخليفة، ولهم حق التلقب بلقب أمير، وعددهم كان لا يقل عن ألف أستاذ في عصر كل خليفة[٣].

أما عن طريقة وصولهم إلى هذه المرتبة، وما يتبع ذلك من مراسيم، فقد ذكر ابن الطوير: "أنه متى ترشح أستاذ منهم (من طبقة الخدام) للحنك وحُنِكَّ حمل إليه كل أستاذ من المحنكين بدلة كاملة من ثيابه وسيفا وفرسا فيصبح لاحقاً بهم، وفي يده مثل ما في أيديهم"[٤]، وفي هذا دلالة على تماسك أفراد هذه الطبقة، وتساويهم في الامتيازات، ولدينا من الواقع مثال ذكره المقريزي بيّن فيه أسماء بعض هؤلاء الأستاذين، في ثامن ذي القعدة من سنة ٤١٥هـ/١٠٢٤م "حُنِّكَ ثلاثة من الخدام وألبسوا العمائم الشرب[٥] البيض، فتشبهوا بمن تقدم من مقدمي قواد الخدم كميمون وبدر ونصر العزيز ونظرائهم، وهؤلاء المقودون هم معضاد ومناد ورق، وأضيف إليهم فاتك ورجاء ومسرور النصاري ونامق، فجلسوا بحضرة الظاهر وهنأهم الناس بذلك"[٦].

وقد تمتع الأستاذون المحنكون بشرف مصاحبة الخليفة في مواكبة

---

(١) القلقشندي: صحب الأعشى، ج٣، ص ٤٧٧.

(٢) ماجد: نظم، ج٢، ص ١١.

(٣) القلقشندي: صبح الأعشى، ج٣، ص٤٧٧، ماجد: نظم، ج٢، ص ١٢.

(٤) ابن الطوير: نزهة، ص ٢١٠، وعنه نقل القلقشندي: صبح الأعشى، ج٣، ص ٤٧٧.

(٥) الشرب: جمع شروب وهي منسوجات رقيقة من الكتان أو الحرير، ابن الطوير: نزهة، ص ١٢٩، هامش (٥).

(٦) المقريزي: اتعاظ، ج٣، ص ١٦٣.

المختلفة، كركوبه في أول العام[١]، وفي عيد الغدير[٢]، ويوم فتح الخليج[٣] وصلاة العيدين[٤] وأيام الجمع الثلاث من شهر رمضان[٥]، حيث يقف هؤلاء الأستاذون في مواقع متقدمة مع الوزير واسفهسلار العسكر وغيرهم من كبار رجال الدولة.

وكانت العادة أن ينتسب الأستاذون المحنكون إلى الخلفاء القائمين بخدمتهم إلى أن تغير ذلك الوضع في ذي القعدة سنة ٥١٥هـ/١١٢١م، عندما قرر الخليفة الآمر نقل نسبة الأستاذين المحنكين من الآمري إلى المأموني (نسبة إلى الوزير المأمون البطائحي الذي ولي الوزارة في ذلك الشهر)[٦]، وكان هذا من مظاهر سيطرة الوزراء من أرباب السيوف على الخلافة.

ونظراً لمكانتهم الهامة، فقد أُسندت للأستاذين المحنكين، وظائف هامة في الدولة مثل:

❖ شد التاج: يتولى صاحب هذه الوظيفة شد تاج الخليفة الذي يلبسه في المواكب، بترتيب خاص يُعبر عنه بـ "شدة الوقار" بحيث يشد التاج بمنديل من لون لباس الخليفة[٧]، ثم ينظم جوهرة عظيمة القيمة تدعى "اليتيمة" مع

(١) ابن الطوير: نزهة، ص ١٤٧-١٦٧، القلقشندي: صبح الأعشى، ج٣، ص ٤٩٩-٥٠٠، المقريزي: الخطط، ج١، ص ٤٤٦-٤٥٠، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٤، ص ٧٩-٩١.

(٢) ابن الطوير: نزهة، ص ١٨٦-١٨٧، المقريزي: الخطط، ج١، ص ٣٨٩. وعيد الغدير من أهم احتفالات الشيعة يخلد ذكرى مؤاخاة النبي صلى الله عليه وسلم لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه عند عودته من حجة الوداع في السنة العاشرة للهجرة في موقع بين مكة والمدينة يسمى غدير خم. القلقشندي: صبح الأعشى، ج٢، ص ٤١٧، ج١٣، ص ٢٤١.

(٣) القلقشندي: صبح الأعشى، ج٣، ص ٥١٥، وانظر، ج٣، ص ٥١٣.

(٤) القلقشندي: صبح الأعشى، ج٣، ص ٥٠٩.

(٥) القلقشندي: صبح الأعشى، ج٣، ص ٥٠٦-٥٠٧.

(٦) المقريزي: الخطط، ج١، ص ٤٦٣، واتعاظ، ج٣، ص ٧٥.

(٧) القلقشندي: صبح الأعشى، ج٣، ص ٤٨٠، ماجد: نظم، ج٢، ص ٣٠-٣١.

جواهر أخرى بشكل هلال على التاج بأعلى جبهة الخليفة(١)، ولصاحب هذه الوظيفة مكانة هامة عند الخليفة وله "ميزة على غيره بلمسه التاج الذي يعلو رأس الخليفة"(٢).

❖ صاحب المجلس: ويتولى أمر مجلس الخليفة العام في المواكب، ويكلف بإبلاغ الوزير والأمراء بجلوس الخليفة، ويطلق عليه لقب "أمين المُلك"(٣).

❖ صاحب الرسالة: وهو المكلف بإبلاغ أوامر الخليفة إلى الوزير وكبار موظفي الدولة(٤)، وقد وصف بأنه من فُصحاء وعقلاء وعلماء الأستاذين المحنكين(٥).

❖ زمام القصور: وهو المشرف على أمور القصور وحوائجها(٦).

❖ صاحب بيت المال: هو المسؤول عن الشؤون المالية المتعلقة ببيت المال(٧).

❖ صاحب الدفتر: وهو المعروف بدفتر المجلس، وصاحب هذه الوظيفة هو "المتحدث على الدواوين الجامعة لأمور الخلافة"(٨).

❖ حامل الدواة: وهو الذي يحمل دواة الخليفة أمامه على السرج، ويسير بها

---

(١) ابن الطوير: نزهة، ص ١٥٥-١٥٦، المقريزي: الخطط، ج١، ص ٤٤٨، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٤، ص ٨٤.

(٢) ابن الطوير: نزهة، ص ١٥٦، القلقشندي: صبح الأعشى، ج٣، ص ٤٨٠، المقريزي: الخطط، ج١، ص ٤٤٨، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٤، ص ٨٤.

(٣) القلقشندي: صبح الأعشى، ج٣، ص ٤٨١، ماجد: نظم، ج٢، ص ٣١.

(٤) القلقشندي: صبح الأعشى، ج٣.، ص ٤٨١.

(٥) ابن الطوير: نزهة، ص ١٥٣، المقريزي: الخطط، ج١، ص ٤٤٧، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٤، ص ٨٣.

(٦) القلقشندي: صبح الأعشى، ج٣، ص ٤٨١.

(٧) المصدر ذاته، ج٣، ص ٤٨١.

(٨) المصدر ذاته، ج٣، ص ٤٨١.

في مواكب الخليفة[1].

❖ زمام الأقارب: وهو المشرف على شؤون أقارب الخليفة من الأشراف[2].

❖ زم الرجال: وهو المكلف بالأشراف على طعام الخليفة[3].

❖ متولي الستر: وهو المشرف على ستر سرير الملك فيرفعه ويخفضه في مجلس الخليفة[4].

٢. الأستاذون غير المحنكين:

وهم أقل مرتبة من الأستاذين المحنكين، وتقتصر تسميتهم على "الأستاذين" فقط، لأنهم لا يمررون طرف العمامة تحت الحنك كما يفعل المحنكون[5].

ويبدو أن أعدادهم كانت كبيرة، إذ لم يشكل الأستاذون المحنكون من هذه الطبقة أكثر من ألف أستاذ، في حين بقي العدد الأكبر من هذه الفئة غير المحنكة، وقد أُسندت لهؤلاء الأستاذين وظائف عادية في القصر، أما وظائفهم الهامة فاقتصرت على اثنتين:

الأولى: نقابة الطالبين (العلويين): وتُسند إلى شيخ قدير منهم ينظر في أمور الأشراف العلويين من نسل الخليفة و "من يدخل من الأدعياء منهم بالتأكد من نسبه، وينظر في مرضاهم وموتاهم ويعاقب المعتدي منهم، ولا يقطع أمراً من أمورهم إلا بمشاورة مشايخهم"[6].

---

(١) المصدر ذاته، ج٣، ص ٤٨١، ٥٠٣.

(٢) المصدر ذاته، ج٣، ص ٤٨١، ماجد: نظم، ج٢، ص ٣٢.

(٣) القلقشندي: صبح الأعشى،ج٣، ص ٤٨١.

(٤) ماجد: نظم، ج٢، ص ٣٣.

(٥) ماجد: نظم، ج٢، ص ١٢.

(٦) القلقشندي: صبح الأعشى، ج٣، ص ٤٨١-٤٨٢، وانظر، ج١٠، ص ٣٠٨.

الثانيـة: زم الرجـال: وهـي تختلـف عـن الوظيفـة الـسابقة الـتي أسـندت للأسـتاذين المحـنكين وهـذه الوظيفـة يـشرف صـاحبها "علـى طوائـف الرجـال والأجنـاد كـزم صـبيان الحُجـر، وزم الطائفـة الأمريـة والطائفـة الحافظيـة، وزم السودان وغيرهم"[١].

ب. صبيان الخاص:

تُشكل هذه الفئة الحرس الخاص بالخليفة الفاطمي، وقد ذكر ابن ميسر أن أفراد هذه الفئة هـم "أولاد الأجناد والأمراء وعبيد الدولة"[٢]، ينتقلون إلى خدمة الخليفة بعد وفاة ذويهم بحيث "يودعوا في أماكن مخصوصة، ويؤخذ في تعليمهم الفروسية"[٣]، وقد يصل عدد منهم إلى الإمرة مع بقاءهم ضمن هذه الفئة[٤].

بلغت أعداد صبيان الخاص في الدولة الفاطمية حوالي ٥٠٠ شخص لكل خليفة تقريبا[٥] وتتلخص وظائفهم بملازمة الخليفة وحراسته في قصره وعند خروجه في المواكب للتنزه، إضافة إلى وجود فئة منهم مكلفة بحمل الرايات والأعلام أثناء المواكب[٦]، وقد أطلق المقريزي على هذه الفئة من صبيان الخاص اسم "صبيان الرايات والأعلام"[٧]، ففي ركوب الخليفة في موكب أول العام يقوم واحد وعشرون صبياً منهم بحمل "إحدى وعشرين راية لطافاً من الحرير المرقوم

(١) القلقشندي: صبح الأعشى، ج٣، ص ٤٨٢. وسيتم الحديث عن هذه الوظيفة في الفصل الرابع من هذه الدراسة.

(٢) ابن ميسر: المنتقى، ص ١٤٢، وعنه نقل المقريزي: اتعاظ، ج٣، ص ١٩٩، زكي: الجيش، ص ٢٧.

(٣) ابن ميسر: النتقى، ص ١٤٢-١٤٣، المقريزي: اتعاظ، ج٣، ص ١٩٩.

(٤) القلقشندي: صبح الأعشى، ج٣، ص ٤٧٧، Hamblin: the fatimid Army, P. 40.

(٥) القلقشندي: صبح الأعشى، ج٣، ص ٤٧٧، Hamblin: the Fatimid Army, P. 40.

(٦) القلقشندي: صبح الأعشى، ج٣، ص ٤٦٩-٤٧٠، ماجد: نظم، ج٢، ص ٧٢.

(٧) المقريزي: الخطط: ج١، ص ٤٧١.

بكتابة تخالف ألوانها من غيرها ونص كتابتها (نصر من الله وفتح قريب)[1] على رماح مُقومة من القنا المنتقى طول كل راية ذراعان في عرض ذراع ونصف في كل واحدة ثلاث طرازات"[2]. كما يقوم صبيّان آخران في هذا الموكب بحمل رُمحين "رؤوسهما أهلة من ذهب صامتة في كل واحد سُبعٌ من ديباج أحمر وأصفر، وفي فمه طارة مستديرة يدخل فيها الريح فينتفخان فيظهر شكلهما"[3].

ويقوم الأمراء من هذه الفئة بحمل السلاح حول الخليفة أثناء مسيره من القصر إلى المسجد في أيام الجمع من شهر رمضان[4] في حين يحفظ باقي صبيان الخاص مقصورة الخليفة في المسجد[5].

ولم يقتصر دور الصبيان الخاص على ملازمة الخليفة وحراسته وخدمته، بل شاركوا في بعض الأحداث السياسية الحرجة، كالتي شهدها عصر كل من الحافظ والظافر، ففي سنة ٥٤٣هـ/١١٣٩م استخدم الخليفة الحافظ فرقة من صبيان الخاص مع باقي عناصر الجيش في قتال الوزير رضوان بن ولخشي الذي خرج على طاعة الخليفة في ذلك العام[6].

وفي سنة ٥٤٤هـ/١١٤٩م رتب الخليفة الظافر جماعة من صبيان الخاص لقتل الوزير ابن السلار، ولما علم هذا الوزير بتدبير الخليفة سارع إلى القبض

---

(١) الآية ١٣ من سورة (الصف).

(٢) ابن الطوير: نزهة، ص ١٥٨، المقريزي: الخطط، ج١، ص ٤٤٨، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٤، ص ٨٥.

(٣) ابن الطوير: نزهة، ص ١٥٩، المقريزي: الخطط، ج١، ص ٤٤٨، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٤، ص ٨٥.

(٤) القلقشندي: صبح الأعشى، ج٣، ص ٥٠٦-٥٠٧.

(٥) المصدر ذاته: ج٣، ص ٥٠٦.

(٦) ابن منقذ: الاعتبار، ص ٤٠-٤١، المقريزي: اتعاظ، ج٣، ص ١٧٣.

على حوالي ٥٠٠ من صبيان الخاص فقتل أكثرهم وفرق باقيهم على الثغور[١].

أما عن المشاركة ضمن فعاليات الجيش الفاطمي خارج مصر، فلم نسمع عن مشاركة لهذه الطائفة في هذا المجال، مما يدل على أنها فئة أُعدت خصيصاً لخدمة الخليفة وحراسته، ولم تكن مشاركتهم في الأحداث السياسية إلا دليلاً على أهمية هذه الفئة بالنسبة للخليفة.

ج. صبيان الحُجر:

أطلق مصطلح "صبيان الحُجر" أو "الحُجرية" على تلك الفئة من الجيش الفاطمي التي خضعت لتدريب عسكري دقيق في مرحلة مبكرة من العمر، وفي أماكن أُعدت خصيصا لذلك[٢]، وقد جاءت تلك التسمية نسبة إلى الحُجرات التي تعلموا فيها فنون القتال والفروسية.

لقد حرص الخلفاء الفاطميون منذ انتقالهم إلى مصر على إعداد فئة مدربة من الجند تدريباً عسكرياً خاصاً، إذ يذكر ابن أبي طيء أن الخليفة المعز لدين الله "شرط على ولاة الأعمال عرض أولاد الناس بأعمالهم، فمن كان ذا شهامة وحسن خلقة ارسله ليخدم في الركاب، فسيروا إليه عالما من أولاد الناس، فأفرد لهم دورا سماها الحُجر"[٣]، كما عُرف عن الخليفة الظاهر لإعزاز دين الله اهتمامه الواضح بهذه الطائفة، إذ "اتخذ حُجرا لمماليكه وعلمهم أنواع العلوم وسائر فنون الحرب"[٤]، واستمر الاهتمام بإعداد تلك الفئة إلى فترة متأخرة من الدولة الفاطمية، إذ يذكر ابن الطوير أن الوزير الأفضل بن بدر الجمالي أنشأ في

---

(١) ابن ميسر: المنتقى، ص ١٤٣، المقريزي: الخطط، ج٢، ص ٣٠، واتعاظ، ج٣، ص ١٩٨-١٩٩، ابن الطوير: نزهة، ص ٦٣، ابن خلدون: العبر، ج٤، ق١، ص ١٥٥-١٥٦.

(٢) ابن عبد الظاهر: الروضة البهية، ورقة ١٥٧ب. ابن الطوير: نزهة، ص ٥٧، القلقشندي: صبح الأعشى، ج٣، ص ٤٧٧، المقريزي: الخطط، ج١، ص ٤٤٤.

(٣) المقريزي: الخطط، ج١، ص ٤٤٣ (ابن أبي طيء).

(٤) المصدر ذاته: ج١، ص ٣٥٥، وانظر: ج١، ص ٤٢٣.

سنة ٥١٣هـ/١١١٩م سَبع حُجرٍ لتعليم الصبيان وتأسيس جيش قوي منهم، بعد أن فشل جيشه في استرجاع بعض المدن الساحلية من الفرنجة في ذلك العام(١).

بُنيت حجرات الصبيان في القاهرة في موقع معزول عن القصر، يقع داخل باب النصر بجوار حارة الجوانية(٢)، وقد حملت بعض هذه الحجر أسماءً خاصةً بها، مثل المنصورة، والفتح، والجديدة(٣)، ويبدو أنها كانت حُجراً واسعةً جداً، إذ استطاعت أن تستوعب ما لا يقل عن خمسة آلاف نفر من هؤلاء الصبيان(٤). وقد استمرت هذه الحجر قائمةً بعد نهاية الدولة الفاطمية وحتى القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي، عند بُنيت في مكانها دُوراً ومساكن للعامة(٥).

كما أفرد لصبيان الحُجر اصطبلات خاصة بخيولهم التي كانت تصرف لهم بعد مرحلة من التدريب(٦) ومن أشهر هذه الاصطبلات، الاصطبل الذي أقيم بجوار دار الضيافة في القاهرة وأصبح يعرف زمن المقريزي (ت٨٤٥هـ/١٤٤١م) بخان الوراقة(٧).

أما عن طبيعة هؤلاء الصبيان وأعمارهم، فالأصل في ذلك إلحاق الصبيان بهذه الحجر في سن مبكرة قد تتراوح بين ١٠-١٥سنة، وهؤلاء الصبيان إما أن

---

(١) ابن الطوير: نزهة، ص ٤-٥، وعنه نقل المقريزي: الخطط، ج١، ص ٤٤٣،
Hamblin: The fatimid Army, P. 42-43.
Beshir: Fatimid, p 47.

(٢) القلقشندي: صبح الأعشى، ج٣، ص ٤٧٧، المقريزي: الخطط، ج١، ص ٤٤١،

Hambln: the fatimid Army, P42.

(٣) المقريزي: الخطط، ج١، ص ٤٤٤.

(٤) المقريزي: الخطط، ج١، ص ٤٤٣، ٤٦١، ج٢، ص ٢٣.

(٥) المصدر ذاته، ج١، ص ٤٤٣-٤٤٤.

(٦) القلقشندي: صبح الأعشى، ج٣، ص ٤٧٧، المقريزي: الخطط، ج١، ص ٤٤٣.

(٧) المقريزي: الخطط، ج١، ص ٤٦١.

يكونوا صغاراً جلبهم تجار الرقيق من خارج مصر، أو صبياناً تم اختيارهم من أبناء الأمراء والأجناد أو من صغار الأسرى الذين يتم أسرهم مع ذويهم في الحرب، وهؤلاء حملوا اسم "الترابي"[1]، ليتميزوا عن غيرهم من صبيان الحجر، مع العلم أنهم خضعوا لنفس التعليم والتدريب الذي خضع له باقي الصبيان في الحُجر[2].

أما بالنسبة للتعليم والتدريب فيمكن تمييز فترتين فيما يخص هذه الفئة، الأولى يتعلم فيها الصبيان "أنواع الحرف والعلوم التي تحتاج الدولة إليها"[3] والثانية، يتلقون فيها تدريباً عسكرياً دقيقاً على فنون الفروسية وما يتصل بها من لياقة بدنية وركوب للخيل واستخدام للسلاح "وأنواع آلة الحرب وصنوف حيلها من الرماية والمطاعنة والمسابقة وغير ذلك"[4] حتى إذا أتم الصبي تعلم ذلك كله "سُلِمَ إليه سلاح كامل يكون عنده متى جُرِدَ لا يكون له عائق"[5].

وهاتان الفترتان تفسران لنا تقسيم الصبيان الحُجرية المشاركين في مواكب الخليفة المختلفة إلى "حُجرية كبار" أتموا التعليم والتدريب و "حُجرية صغار منقولين" أي التحقوا حديثا بالحُجر، ولا زالوا في طور التعليم الأول[6].

ولم يكن إتمام الصبيان لهذه المهارات يعني تركهم للحُجر، بل أصبحت هذه الحُجر مسكناً دائماً لهم حتى يلتحقوا بأية خدمة عسكرية أخرى، فكان

---

(١) لم أهتدِ إلى التفسير اللغوي لهذه الكلمة.

(٢) ابن الطوير: نزهة، ص ٩٩-١٠٠، المقريزي: الخطط، ج٢، ص ١٩٣-١٩٤.

(٣) ابن الطوير: نزهة، ص ٥٧، وانظر: القلقشندي: صبح الأعشى، ج٣، ص ٤٧٧.

(٤) المقريزي: الخطط،ج١، ص ٤٢٣.

(٥) ابن الطوير: نزهة، ص ٥٧.

(٦) ابن الطوير: نزهة، ص ١٦٥-١٦٦، القلقشندي: صبح الأعشى، ج٣، ص ٥٠٤، المقريزي: الخطط، ج١، ص ٤٥٠، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٤، ص ٩٠، زكي: الجيش، ص ٣٠.

هؤلاء الصِبّية "لا يأوي أحد منهم إلا بحجرته بفرسه وعدته وقماشه"[١]، ويبقى سلاحهم ملازما لهم ليلا نهارا وهم على استعداد كامل لأي استدعاء من الخليفة[٢].

أما عن مصير صبيان الحجر بعد التعليم والتدريب وقضاء فترة طويلة في الحجر فكان الالتحاق بفئات الجيش الأخرى كصبيان الخاص والركابية وغيرها[٣]، وقد يلعب ذكاء الصبي وفطنته وتقدمه على غيره في التعليم دورا هاما في وصول الواحد منهم إلى الإمرة، يقول ابن الطوير: "فإذا ظهر أثر الواحد منهم ونبغ في شيء مما أخرج إليه صُيِّر أميراً وولي مكاناً"[٤]، ومن الأمثلة على الأمراء الذين كانوا صبيانا في الحجر، الأمير أنوشتكين الدزبري[٥] الذي ولي دمشق بين السنوات (٤٢٠-٤٢٣هـ/١٠٢٩-١٠٣١م) وخاض حروباً عديدة في بلاد الشام ضد الحمدانيين والقبائل العربية الأخرى[٦]، والأمير أبو الحسن علي بن السلار (ت٥٤٨هـ/١١٥٣م) الذي وُلي الوزارة للخليفة الحافظ سنة ٥٤٣هـ/١١٤٨م[٧].

د. العناصر الملحقة بخدمة الخليفة:

ومن خواص الخليفة هناك مجموعة من الأمراء والصبيان الذين يلازمون

---

(١) المقريزي: الخطط، ج١، ص ٤٤٤.

(٢) ابن عبد الظاهر: الروضة البهية، ورقة ١٥٧أ، ابن الطوير: نزهة، ص ٥٧، القلقشندي: صبح الأعشى، ج٣، ص ٤٧٧، المقريزي: الخطط، ج١، ص ٤٤٤.

(٣) ابن الطوير: نزهة، ص ٩٩-١٠٠/ المقريزي: الخطط، ج١، ص ٤٣، ٤٨٠، ج٢، ص ١٩٣-١٩٤.

(٤) ابن الطوير: نزهة، ص ٥٨.

(٥) ابن القلانسي: تاريخ دمشق، ص ١١٦، Beshir: Fatimid, p. 458.

(٦) ابن القلانسي: تاريخ دمشق، ص ١١٨-١٢٠، ابن الأثير: الكامل، ج٩، ص ٢٣١، المقريزي: اتعاظ، ج٢، ص ١٧٨، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٤، ص ٢٥٢-٢٥٤.

(٧) ابن الطوير: نزهة، ص ٥٧-٦٤، ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٣، ص ٤١٦-٤١٧، النويري: نهاية الأرب، ج٢٨، ص ٣١٢، Hamblin: the fatimid Army, P45.

الخليفة في قصره ومواكبه، مكلفون بأعمال خاصة ومحددة يقومون بها، وهم:

١. حامل سيف الخليفة:

ويسمى "صاحب السيف"، وهو المكلف بحمل سيف الخليفة في المواكب(١)، ويعتبر سيف الخليفة من آلات الموكب الهامة "حِليته ذهب مُرصعة بالجواهر، يوضع في خريطة مَرقومة بالذهب لا يظهر إلا رأسه ليُسلّم إلى حامله"(٢)، وصاحب هذه الوظيفة "أمير عظيم القدر" ويُعتبر من الخدام ذوي المكانة الرفيعة حيث يقف مع كبار رجال الدولة أثناء المواكب، وقد نظر إلى وظيفته على أنها "رُتبة جليلة المقدار"(٣).

٢. حامل المظلة:

وهو المكلف بحمل المظلة فوق رأس الخليفة في المواكب، ويسير بها مع سير الخليفة "وهو يحرص ألا يزول ظلها عن الخليفة"(٤)، وصاحب هذه الوظيفة "أمير جليل وله عندهم التقدمة والرفعة لحمل ما يعلو رأس الخليفة"(٥).

٣. حامل الرمح:

وهو الذي يحمل رمح الخليفة في المواكب(٦)، "وهو رمح لطيف في غلاف منظوم من اللؤلؤ وله سنان مختصر بحلية ذهب، وردقة (درع) بكوابج (مقابض) ذهب فيها سعة منسوبة إلى حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه في غشاء من

---

(١) ابن الطوير: نزهة، ص ١٢٣، ابن الفرات: تاريخ، م٤، ج١، ص ١٣٦، القلقشندي: صبح الأعشى، ج٣، ص ٤٧٩، المقريزي: اتعاظ، ج٣، ص ٣٣٦، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٤، ص ٩٤-٩٥.

(٢) ابن الطوير: نزهة، ص ١٥٩، المقريزي: الخطط، ج١، ص ٤٤٨.

(٣) ابن الطوير: نزهة، ص ١٥٩، المقريزي: الخطط، ج١، ص ٤٤٨.

(٤) ابن الطوير: نزهة، ص ١٢٣، القلقشندي: صبح الأعشىن ج٣، ص ٥٠٢.

(٥) ابن الطوير: نزهة، ص ١٢٣، القلقشندي: صبح الأعشى، ج٣، ص ٤٧٩.

(٦) ابن الطوير: نزهة، ص ١٢٣، القلقشندي: صبح الأعشى، ج٣، ص ٤٧٩.

حرير"[١]. وهذه الوظيفة من الوظائف الهامة، إذ يقف صاحبها مع الوزير وكبار الأمراء في مقدمة موكب الخليفة[٢].

٤. حاملو لواءي الحمد:

وهما أميران من حاشية الخليفة المقربين، يكلفان بحمل لواءي الحمد أثناء المواكب، واللواءان مُثبتان على رمحلين طويلين "وهما من الحرير الأبيض المرقوم بالذهب، وهما غير منشورين بل ملفوفين على جسم الرمحين"[٣].

٥. حاملو السلاح الصغير:

وهم طائفة من شُبّان العبيد السود الأقوياء المشاركين في مواكب الخلفاء، عددهم ثلاثمائة عبد يحمل كل واحد منهم "حربتان باسنة مصقولة تحتها جلب (مقابض) فضة كل اثنين في شرابة (رباط من حديد) وثلاثمائة درقة، بكوابج فضة"[٤]، وهذه الأسلحة يتسلمها عرفاء هذه الطائفة من خزائن السلاح ليفرقوها بدورهم على هؤلاء العبيد[٥].

٦. صبيان الركاب (الركابية):

وهم طائفة من الصبيان يحملون السلاح حول الخليفة في المواكب، ويطلق عليهم الركابية أو صبيان الركاب الخاص، ويبدو أن تسميتهم هذه متصلة

---

(١) ابن الطوير: نزهة، ص ١٥٩، المقريزي: الخطط، ج١، ص ٤٤٦، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٤، ص ٨٦.

(٢) القلقشندي: صبح الأعشى، ج٣، ص ٤٧٩، ابن تغري بردي: النجوم الزاهزة، ج٤، ص٩٤-٩٥.

(٣) ابن الطوير: نزهة، ص ١٥٨، المقريزي: الخطط، ج١، ص ٤٤٨، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٤، ص ٨٥.

(٤) ابن الطوير: نزهة، ص ١٤٨-١٤٩، المقريزي: الخطط، ج١، ص ٤٤٦.

(٥) ابن الطوير: نزهة، ص ١٤٩، المقريزي: الخطط، ج١، ص ٤٤٦، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٤، ص ٧٩، ماجد: نظم، ج٢، ص ٧٤-٧٥.

بركوبهم المستمر مع الخليفة، وقد بلغ عددهم حوالي ٢٠٠٠ رجل، يُشرف عليهم اثنا عشر مقدماً يسمون "مقدمو صبيان الركاب" ومجموعة من النقباء توكل لهم معرفتهم لاستدعائهم عند الحاجة، والأكابر من هؤلاء الركابية يُندبون "في الأشغال السطانية، وإذا دخلوا عملا كان لهم فيه الصيت المرتفع"(١).

وأبرز المواكب التي يظهر فيها الركابية هي ركوب الخليفة في أول العام، حيث يبلغ عددهم في هذا الموكب وحده ألف رجل يحملون أنواعاً مختلفة من الأسلحة(٢)، وفي ركوب الخليفة في عيد الغدير لا يقتصر دورهم على حمل السلاح، بل يتعدى ذلك إلى السير بين يدي الخليفة طوال الموكب(٣)، إضافة إلى مشاركتهم التي لا تنقطع في مواكب الخليفة المختصرة أثناء السنة(٤).

ومن صبيان الركاب عُرفت في أوائل الدولة الفاطمية طائفة "العبيد السعدية" التي تكونت من مئة رجل مرتبين في القصر مهمتهم قتل من يؤمر بقتله(٥)، وكانت أبرز مهمة لهذه الطائفة قتل الأمير ابن دواس الكُتامي بأمر من سِت المُلك في ذي الحجة من سنة ٤١١هـ/١٠٣٠م(٦).

٧. صبيان السلام:

وهم جماعة مرتبين في القصر أو مصاحبين للخليفة في المواكب، تتلخص وظيفتهم باستدعاء المشاركين في الموكب أو المتواجدين في القصر من كبار رجال

---

(١) ابن الطوير: نزهة، ص ١٢٤، القلقشندي: صبح الأعشى، ج٣، ص ٤٨٠، المقريزي: الخطط، ج٣، ص ٤٨٠، واتعاظ، ج٣، ص ٣٤١-٣٤٢.

(٢) ابن الطوير: نزهة، ص ١٤٧-١٤٨، القلقشندي: صبح الأعشى، ج٣، ص ٤٩٩-٥٠٠، المقريزي: الخطط، ج١، ص ٤٤٦-٤٨٤، ابن تغري: النجوم الزاهرة، ج٤، ص ٧٩.

(٣) ابن الطوير: نزهة، ص ١٨٦-١٨٧، المقريزي: الخطط، ج١، ص ٣٨٩.

(٤) ابن الطوير: نزهة، ص ١٦٨، القلقشندي: صبح الأعشى، ج٣، ص ٥١٧.

(٥) ابن الطوير: نزهة، ص ١٦٥، هامش (١).

(٦) المقريزي: اتعاظ، ج٢، ص ١٢٧-١٢٨.

الدولة وموظفيها للسلام على الخليفة وتقبيل الأرض له[1].

٨. صبيان الخف:

لم تشر المصادر إلى هذه الطائفة أو تفسر تسميتها، سوى ما ذكره المقريزي عن الأعمال البهلوانية التي كانت تقوم بها عند خروج الخليفة في موكبه إلى صلاة العيد: "وكان من أهل بُرقة طائفة تعرف بصبيان الخف لهم اقطاعات وجرايات وكسوات ورسوم، فإذا ركب الخليفة في العيدين، مدوا حبلين مسطوحين من أعلى باب النصر إلى الأرض، حبلا عن يمين الباب وحبلا عن شماله، فإذا عاد الخليفة من المصلى، نزل على الجبلين طائفة من هؤلاء على أشكال خيل من خشب مدهون وفي أيديهم رايات وخلف كل واحدة منهم رديف وتحت رجليه آخر معلق بيديه ويعملون أعمالا تذهل العقول، ويركب منهم جماعة في الموكب على خيول يركضون وهم يتقلبون عليها ويخرج الواحد منهم من تحت أبط الفرس وهو يركض ويعود ويركب من الجانب الآخر ويعود وهو على حاله لا يتوقف ولا يسقط منه شيء إلى الأرض ومنهم من يقف على ظهر الحصان فيركض به وهو واقف"[2].

٩. السَبَرْبَرِيّة:

لا نعلم الكثير من هذه الفئة، ولكن يبدو أنها منسوبة إلى نوع السلاح الذي حملته في مواكب الخلفاء، والسلاح في الأصل رمح يسمى بالفارسية (سَبَرْبارة)[3]، وقد بلغ عدد أفراد هذه الفئة ستون رجلا يحمل كل واحد منهم رمحا من هذا النوع، يبلغ "طول كل واحد منها سبع أذرع برأسها طلعة وعقبها

(١) المقريزي: الخطط، ج١، ص ٤٧٣-٤٧٤.

(٢) المقريزي: الخطط، ج١، ص ٤٥٧.

(٣) ماجد: نظم، ج٢، ص ٤٩، هامش (٦).

من حديد"[1]، وأثناء سير الموكب "يفتلونها بأيديهم فتلا متدارك الدوران"[2] في حين تحمل اليد اليسرى لكل منهم نشابة كبيرة ويسيرون مشاة في الموكب حول الخليفة[3].

١٠. الرهجية:

وردت عدة إشارات إلى فئة "الرهجية" دون أن تحدد تسميتها ودورها الوظيفي، ويُستشف من هذه الإشارات إلى أنها طائفة كانت تقوم بخدمة الخليفة بالتناوب[4]، فضمن الترتيبات التي اتخذها الوزير المأمون، لما تحول الخليفة الآمر للسكنى في منظرة اللؤلؤة، أشار المقريزي إلى انتقال قسم من الرهجية من القصر للخدمة على أبواب اللؤلؤة "والرهجية تنقسم أحدها على أبواب القصور والأخرى على أبواب اللؤلؤة"[5].

ثانيا: الأمراء:

كثيراً ما كان يصل إلى مرتبة الإمرة في الجيش الفاطمي أعداداً كبيرة من خواص الخليفة –لصفات خاصة بهم- فترتفع مكانتهم لدى الخلفاء ويُصبح شأنهم كبيراً في الدولة، الأمر الذي يُمكّن هؤلاء الأمراء من الوصول إلى مناسب سياسية وعسكرية هامة، ونظراً لتمايز الأمراء في الجيش واختلاف مكانتهم ووظائفهم –بحسب قدمهم في الخدمة- فقد قُسموا إلى ثلاثة مراتب:

---

(١) ابن الطوير: نزهة، ص ١٥١، القلقشندي: صبح الأعشى، ج٣، ص ٤٧٠.

(٢) ابن الطوير: نزهة، ص ١٥١، القلقشندي: صبح الأعشى، ج٣، ص ٤٧٠.

(٣) ابن الطوير: نزهة، ص ١٥١، المقريزي: الخطط، ج١، ص ٤٤٧.

(٤) ابن عبد الظاهر: الروضة البهية، ورقة ١٧٠ب، المقريزي: الخطط، ج١، ص ٤١٢، ٤٦٨، ج٢، ص ٢٥.

(٥) المقريزي: الخطط، ج١، ص ٤٦٨.

أ. مرتبة الأمراء المطوقين:

وهي أعلى مراتب الأمراء في الدولة، وسموا بالمطوقين لأن الخليفة يُقلدهم أطواق الذهب في أعناقهم[١]، تمييزاً لهم عن باقي الأمراء - وهو شرف كبير لم يصل إليه إلا أعداداً قليلة من أمراء الجيش ولهذا أسُندت لهؤلاء الأمراء بعض الوظائف الهامة مثل:

١. الوزير:

خلال حكم الخلفاء الأربعة الأوائل في مصر (٣٥٨-٤٢٨هـ/٩٦٨-١٠٢٦م) كانت الوزارة في الدولة الفاطمية وزارة تنفيذ، يليها الأمراء من أرباب الأقلام في غالب الأحيان، وكانت هذه الوظيفة تتأرجح بين الوزارة والوساطة، حتى كانت وزارة الأمير بدر الجمالي الذي عَيّنه الخليفة المستنصر وزيراً سنة ٤٦٦هـ/١٠٧٣م فدخلت الوزارة منذئذ عصراً جديداً تَحكّم فيه الوزراء من الأمراء أرباب السيوف في الدولة، وأصبحت الوزارة وزارة تفويض منح الوزراء فيها صلاحيات واسعة مكّنتهم من السيطرة على شؤون الخلافة[٢] حتى أصبحت الوزارة آنذاك قائمة مقام السلطنة على حد تعبير القلقشندي[٣].

ومن مظاهر ازدياد نفوذ هؤلاء الوزراء، أن القيادة العليا للجيش الفاطمي قد أُسندت إليهم منذ ذلك الحين وحتى نهاية العصر الفاطمي، فكان لقب "أمير الجيوش" يتخلل العديد من ألقاب الوزراء الفخمة، فيسبقه نعت الوزير، ويتبعه عبارة "سيف الإسلام ناصر الإمام، كافل قضاة المسلمين وهادي دعاة المؤمنين"[٤]. وقد حظي بلقب "أمير الجيوش" العديد من الوزراء مثل بدر الجمالي

---

(١) القلقشندي: صبح الأعشى، ج٣، ص ٤٧٦.

(٢) الباشا: الألقاب، ص ٦٧ وما بعدها، ابن الطوير: نزهة، ص ٤٠-٤٧ (مقدمة المحقق).

(٣) القلقشندي: صبح الأعشى، ج٥، ص ٤٨٧، وفي موضع آخر يقول أن هؤلاء الوزراء هم "أصحاب السيوف القائمين مقام السلاطين"، صبح الأعشى، ج١٠، ص ٣١٠.

(٤) الباشا: الألقاب، ص ٧٠ وما بعدها.

(ت ٤٨٧هـ/١٠٩٤م)[١]، وابنه الأفضل شاهنشاه (ت ٥١٥هـ/١١٢١م)[٢]، وأبي علي كتيفات (ت٥٢٦هـ/١١٣١م)[٣] والمأمون البطائحي (ت٥٢٢هـ/١١٢٨م)[٤]، وابن مصال (ت ٥٤٤هـ/١١٤٩م)[٥]، والعادل بن السلار (ت ٥٤٨هـ/١١٥٣م)[٦]، وعباس الصنهاجي (ت٥٤٩هـ/١١٥٤م)[٧]، ويانس الأرمني (ت٥٢٦هـ/١١٣١م)[٨] والصالح بن رُزيك (ت٥٥٦هـ/١١٦٠م)[٩] وشاور بن مُجير السعدي (ت٥٦٤هـ/١١٦٨م)[١٠].

وقد بَطُل لقب "أمير الجيوش" منذ وزارة شاور الثانية سنة ٥٥٩هـ/١١٦٣م، واستعيض عنه بلقب "سلطان الجيوش" وهو ما تلقب به أسد الدين شيركوه (ت٥٦٤هـ/١١٦٨م) وابن أخيه صلاح الدين[١١].

وابتداء من عام ٥٣٠هـ/١١٣٥م أُضيف لقب جديد لأمراء الجيوش من الوزراء، وهو لقب "ملك" الذي دل على ازدياد نفوذ الوزراء في أواخر عصر

---

(١) ابن ميسر: المنتقى، ص ٣٩-٤٠، عبد المنعم ماجد: (تحقيق) السجلات المستنصرية، القاهرة، ١٩٥٤، ص ١٥، ١٦، ١٨، ١٩، ٢٠، ٢١، ٢٧، ٣٠، ٣٤، ٣٦، ٣٧، ٣٨، ٤١، ٤٨، ٥١، ٥٣، ٥٩، ٦٣، ٦٤، ابن خلدون: العبر، ج٤، ق١، ص ١٣٤-١٣٥. المقريزي: الخطط، ج١، ص ٤٤، ابن حجر: رفع الأصر، ج١، ص ١٣٢.

(٢) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٢، ص ٤٥٠.

(٣) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٥، ص ١٧٤.

(٤) المقريزي: الخطط، ج١، ص ٤٦٣.

(٥) ابن الميسر: المنتقى، ص ١٤١، المقريزي: اتعاظ، ج٣، ص ١٩٣.

(٦) ابن الطوير: نزهة، ص ٥٧-٦٤، ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٣، ص ٤١٦-٤١٧.

(٧) ابن الطوير: نزهة، ص ٦٦.

(٨) ابن ميسر: المنتقى، ص ١١٧، سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان، ج٨، ق١، ص ١٤٧، القلقشندي: صبح الأعشى، ج٣، ص ٣٥٩، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة،ج٥، ص ٢٣٩.

(٩) المقريزي: اتعاظ، ج٣، ص ٢١٨.

(١٠) العمري: مسالك: ج٢٧، ورقة ٣٩، المقريزي: اتعاظ، ج٣، ص ٢٥٩.

(١١) العمري: مسالك ج٢٧، ورقة ٤٧، ماجد: نظم، ج١، ص ٨٤.

الدولة، وأول من نعت به الوزير رضوان بن ولخشي (ت ٥٤٢هـ/١١٤٧م)[١]، وتلقب به من جاء بعده من الوزراء كابن رزيك وابنه العادل إلى أيام صلاح الدين الأيوبي[٢].

٢. صاحب الباب:

وهي من وظائف الدولة الهامة، ويقال لها "الوزارة الصغرى"[٣] وتسمى الخدمة في هذه الوظيفة بـ "النيابة الشريفة" لأنها وظيفة "مميزة ولا يليها إلا أعيان العدول وأرباب العمائم"[٤]، يُنعت صاحبها بـ "المعظم"[٥]، وتتلخص وظيفته بأنه "هو الذي يتلقى الرسل الواصلة من الدول ومعه نواب الباب في خدمته، ويحفظهم وينزلهم بالأماكن المعدة لهم ويقدمهم للسلاح على الخليفة..ويتولى افتقادهم والحث على ضيافتهم، ولا يمكنهم من التقصير في حقوقهم واجتماع الناس بهم، والإطلاع على ما جاءوا فيه ولا من ينقل الأخبار إليهم"[٦].

وإلى هذا الأمير يسند أمر النظر في المظالم أيضا، إذا لم يكن هناك وزير من أرباب السيوف، فإذا كان ذلك، كان هذا الأمير ممن يقف في خدمة ذلك الوزير[٧].

---

(١) المقريزي: الخطط، ج١، ص ٤٤٠، الباشا: الألقاب، ص ٧٣.

(٢) ابن تغري بردي: مورد اللطافة، ورقة ٥٤ب، الباشا: الألقاب، ص ٧٤.

(٣) ابن الطوير: نزهة، ص ١٢٢، المقريزي: الخطط، ج١، ص ٤٠٣.

(٤) المقريزي: الخطط، ج١، ص ٤٠٣.

(٥) أول من ولي هذه الوظيفة في الدولة الفاطمية المعظم حمرتاش في أيام الخليفة الحافظ.

(٦) المقريزي: الخطط، ج١، ص ٤٠٣.

(٧) ابن الطوير: نزهة، ص ١٢٢، القلقشندي: صبح الأعشى، ج٣، ص ٤٧٩.

٣. الاسفهسلار[١]:

وهو قائد الجيش[٢] ومُقدمه، عُرّف بأنه "زمام كل زمام واليه أمور الأجناد"[٣]، وهي من الوظائف الهامة، إذ يقف في خدمة الاسفهسلار "الحجاب على اختلاف طبقاتهم"[٤]، كما يحضر الاسفهسلار مجالس النظر في المظالم مع الوزير وصاحب الباب[٥]، وله شرف مصاحبة الخليفة في خروجه ومواكبه المختلفة مع كبار موظفي الدولة[٦].

٤. ولاة الأقاليم:

وتُسَند إلى أفراد هذه الرتبة من الأمراء، الولايات الهامة في الدولة، وهي في مصر ولايات كل من: قوص، الشرقية، الغربية، الإسكندرية، وفي بلاد الشام: دمشق، عسقلان، الرملة، صور، عكا[٧].

وكانت ولاية دمشق أهم ولايات الفاطميين في بلاد الشام –رغم أن السلطة

---

(١)الاسفهسلار مصطلح مركب من لفظين، أسفه (فارسي) معناه مقدم، وسلار (تركي) معناه العسكر، فيكون المعنى (مقدم العسكر): القلقشندي: صبح الأعشى، ج٦، ص ٨.

(٢) كان لقب "قائد القواد" يحل أحيانا محل الاسفهسلار، وهو اللقب الذي حمله كل من "غبن" و "حسين بن جوهر" زمن الخليفة الحاكم، الأنطاكي: تاريخ، ص ٣٠٩، ابن دقماق: الانتصار، ج٤، ص ١١٥، المقريزي: الخطط، ج٢، ص ١٤، ١٥، الباشا: الألقاب، ص ٤٢٨.

(٣) ابن الطوير: نزهة، ص ١٢٣، ابن الفرات: تاريخ، م٤، ج١، ص ١٣٦، المقريزي: الخطط، ج١، ص ٤٠٣، اتعاظ، ج٣، ص ٣٣٦.

(٤) ابن الطوير: نزهة، ص ١٢٣، القلقشندي: صبح الأعشى، ج٣، ص ٤٧٩.

(٥) القلقشندي: صبح الأعشى، ج٣.، ص ٥٢٢٥–٥٢٦، المقريزي: الخطط، ج١، ص ٤٠٢–٤٠٣/ ج٢، ص ٢٠٧.

(٦) ابن الطوير: نزهة، ص ١٤٧–١٦٧، ١٨٦–١٨٧، القلقشندي: صبح الأعشى، ج٣، ص ٤٩٤–٤٩٦، ص ٥٠٣، ٥٠٦، ٥٠٧، ٥٠٩، المقريزي: الخطط، ج١، ص ٣٨٩، ٤٤٦–٤٥٠، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٤، ص ٧٩–٩١.

(٧) ابن الطوير: نزهة، ص ١٢٤–١٢٥.

الفاطمية لم تستقر فيها- فكان واليها قائد جيوش الفاطميين في بلاد الشام، حيث لُقِبَّ والي دمشق بـ "أمير الجيوش" وهو لقب عام لكل من تولى تلك المدينة وقاد جيوشها[١].

وممن حظي بها اللقب من قادة دمشق وولاتها، الأمير مَنجوتكين التركي الذي لُقب بـ "أمير الجيوش المنصورة"[٢]، والأمير أنوشتكين الدزبري[٣]، والأمير بدر الجمالي وغيرهم[٤].

ب. مرتبة الأمراء أرباب القضب:

وهم أقل مكانة من الأمراء المطوقين: وسموا بأرباب القُضب لأنهم كانوا يحملون قُضب الفضة في المواكب[٥].

ج. مرتبة أدوان الأمراء:

وهم ممن وصلوا إلى الأمرة، لكن لم يحظوا بما حظي به الأمراء السابقون لحداثة وصولهم إلى الإمرة[٦].

ثالثا: طوائف الجيش:

لم يقتصر الجيش في تقسيماته على خواص الخليفة والأمراء، بل اشتمل على عدد كبير من الفرق أطلق عليها مصطلح "طوائف"، ويبدو أن السبب في

---

(١) الباشا: الألقاب، ص ٧١، ٩٠، ماجد: نظم، ج١، ص ٨٤.

(٢) أرسل هذا القائد من قبل الخليفة العزيز سنة ٣٨١هـ/٩٩١م، لإخماد تمرد منير الصلبي في دمشق، الأنطاكي: تاريخ، ص ٢٢١.

(٣) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٤، ص ٢٦٨، الباشا:الألقاب، ص ١٩١.

(٤) ابن ميسر: المنتقى، ص ٣٩-٤٠، المقريزي: الخطط، ج١، ص ٤٤٠، الباشا: الألقاب، ص ١٩١.

(٥) القلقشندي: صبح الأعشى، ج٣، ص ٤٧٦.

(٦) القلقشندي: صبح الأعشى، ج٣، ص ٤٧٦.

إطلاق هذا المصطلح يعود إلى طبيعة هذه الطوائف، التي هي في معظمها مجموعات تنتمي إلى خلفاء أو وزراء أو أمراء أو خدام، أنشأوا هذه المجموعات وحملت أسماؤهم، رغبة منهم في الاحتفاظ بجند خاص بهم كوسيلة لتدعيم مراكزهم ولاستخدامهم عند الحاجة.

وفيما يلي عرض لهذه الطوائف ونشاطها العسكري والسياسي:

أ. الآمرية والحافظية:

تُعتبر طائفتا الآمرية والحافظية الطائفتان الوحيدتان المنسوبتان لاثنين من الخلفاء الفاطميين، فالأولى تنسب للخليفة الآمر بأحكام الله (ت٥٢٤هـ/١١٢٩م) والثانية تُنسب للخليفة الحافظ لدين الله (ت٥٤٤هـ/١١٤٩م)، ونظراً لهذه النِسبة فقد نُظر إليهما –على الأقل زمن الحافظ- على أنهما "وجه الأجناد"(١) أو "أجل الأجناد"(٢).

وقد لعبت هاتان الطائفتان دوراً هاماً في أحداث الفتن التي شهدها عصر الخليفة الحافظ فقد استعان بهما هذا الخليفة لقتال الوزير رضوان بن ولخشي، الذي أعلن تمرده على الخليفة في سنة ٥٣٤هـ/١١٣٩م(٣)، ومع أن جيش رضوان استطاع إلحاق الهزيمة بهاتين الطائفتين إلا أنه وقع أسيراً بأيدي الحافظية في تلك السنة(٤).

كما استعان الحافظ بطائفته من الحافظية لقتال أتباع النزارية(٥) في

---

(١) ابن الفرات: تاريخ، م٤، ج١، ص ١٣٦، المقريزي: الخطط، ج١، ص ٤٠٣.

(٢) المقريزي: اتعاظ، ج٣، ص ٣٣٦.

(٣) المقريزي: اتعاظ، ج٣، ص ١٧٣.

(٤) ابن القلانسي: تاريخ دمشق، ص ٤٢٧.

(٥) وهم القائلين بإمامة نزار ابن المستنصر بعد وفاة والده مباشرة.

الإسكندرية وإلحاق الهزيمة بهم في سنة ١١٤٨/٥٤٣م[١]، وقد حظيت هاتان الطائفتان بمكانة هامة أيام المواكب التي كان يركبها الخليفة في العديد من المناسبات، كركوب أول العام، حيث تقدمتا سائر طوائف العسكر في هذا الموكب[٢].

ب. الوزيرية:

تُنسب هذه الطائفة لأول وزير فاطمي في مصر وهو أبو الفرج يعقوب بن كلس، وبالتالي فهي أول طائفة من هذا النوع[٣]، وتُمثل هذه الطائفة أول اهتمام ملحوظ عند الوزراء والأمراء الفاطميين، بتشكيل فئة من الجند الخاصة بهم، ففي سنة ٣٧٤هـ/٩٨٤م اعتقل العزيز بالله هذا الوزير بتهمة قتل القائد التركي الفتكين، ثم أطلق سراحه بعد عدة شهور، وأعاده إلى منصبه بعد أن وهبه خمسمائة غلام من الناشئة وألف غلام من المغاربة وملّكه رقابهم[٤]، وهؤلاء شكلوا نواة هذه الطائفة، ولم يقتصر ابن كلس على هذا العدد -وربما كان لديه العديد من الغلمان قبل اعتقاله- بل سعى إلى الإكثار منهم حتى بلغ عددهم حين توفي سنة ٣٨٠هـ/٩٩٠م أربعة آلاف غلام[٥].

---

(١) ابن القلانسي: تاريخ دمشق، ص ٤٦٩-٤٧٠.

(٢) ابن الطوير: نزهة، ص ١٦٥-١٦٦، ١٨٦-١٨٧، القلقشندي: صبح الأعشى، ج٣، ص ٥٠٤، المقريزي: الخطط، ج١، ص ٤٥٠، ٣٨٩، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٤، ص ٩٠.

(٣) ابن أيبك: الدرة المضية، ص ١٤١، القلقشندي: صبح الأعشى، ج٣، ص ٣٥٣، المقريزي: الخطط، ج٢، ص ٥.

(٤) ابن الصيرفي: الإشارة، ص ٤٩، ابن ظافر: أخبار، ص ٣٨-٣٩، المقريزي: الخطط، ج٢، ص ٦، وقد ورد في سجل توليه "...وأنا ملكناه أعناقهم وحكمناه فيهم فمن أراد أن يبيعه باعه ومن أراد أن يعتقه عتقه"، ابن الصيرفي: الإشارة، ص ٤٩.

(٥) ابن الصيرفي: الإشارة، ص ٤٩-٥٠، ابن أيبك: الدرة المضية، ص ٢٢٦، المقريزي: الخطط، ج٢، ص ٨.

وقد اعتنى ابن كلس بغلمانه أشد العناية حتى أنه "كان يجلس عنده كل يوم الأطباء لينظروا في حال الغلمان، وما يحتاج منهم إلى علاج أو إعطاء دواء"(١)، وقد سكنت هذه الطائفة إحدى حارات القاهرة فسميت بها "حارة الوزيرية"(٢).

لم تنتهِ هذه الطائفة بوفاة ابن كلس، بل استمر وجودها قائماً بعد ذلك، فقد أقر الخليفة العزيز غلمان ابن كلس على حالهم، وأضافهم إلى خدمته قائلا: "هؤلاء صنائعي"(٣)، وظل ذكر هذه الطائفة يرد فيما بعد، إذ ذكر ابن الصيرفي (ت ٥٤٢هـ/١١٤٧م) أن هذه الطائفة كانت معروفة في زمانه(٤)، ويبدو أنها كان من الطوائف الهامة التي تجددت باستمرار في عهود الخلفاء التاليين، يدل على ذلك أن أفرادها ظهروا في مواكب الخلفاء الهامة جنباً إلى جنب مع طوائف أنشأت في فترة متأخرة كالجيوشية، والآمرية والحافظية(٥)، مما يحمل على الاعتقاد باستمرار هذه الطائفة حتى نهاية العصر الفاطمي كفئة ملحقة بخدمة الخليفة وليست كالطوائف الأخرى التي لعبت دوراً هاماً في حوادث السنوات الأخيرة للدولة الفاطمية.

ج. الجيوشية:

تُنسب هذه الطائفة إلى أمير الجيوش بدر الجمالي الأرمني، وهي من كبرى طوائف الجيش الفاطمي(٦)، ومع أن المصادر لم تبين جنس أفراد هذه الطائفة، إلا أنه ومما لا شك فيه أنهم كانوا من الأرمن إذ أن الأمير بدر الجمالي قد أدخل

---

(١) المقريزي: الخطط، ج٢، ص ٦.

(٢) النويري: نهاية الأرب، ج٢٨، ص ١٥٩، المقريزي: الخطط، ج٢، ص ٥.

(٣) ابن الصيرفي: الإشارة، ص ٥١، الباشا: الألقاب، ص ٦٧-٦٨.

(٤) ابن الصيرفي: الإشارة، ص ٥٢.

(٥) ابن الطوير: نزهة، ص ١٦٥، المقريزي: الخطط، ج١، ص ٤٥٠، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٤، ص ٩٠.

(٦) Hamblin: The fatimid Army, p52.

تغيراً هاماً في بُنية الجيش البشرية، عندما جند الأرمن من بني جنسه في أعقاب تخلصه من رؤوس الفتنة من الأتراك والمغاربة[١]، كما لا يُستبعد أن تكون نواة هذه الطائفة قد تشكلت أيام إمارته على عكا، إذ تشير المصادر إلى أنه قدم إلى مصر مع جنده من الأرمن[٢].

ومع أن الأمير بدر الجمالي قد ترك عند وفاته (ت٤٨٧هـ/١٩٠٤م) سبعمائة غلام[٣] إلا أن أعداد الجيوشية كانت أكبر من ذلك بكثير، يدل على ذلك الدور الكبير الذي لعبته هذه الطائفة في العديد من الأحداث، إذ استعان الخليفة الحافظ بهذه الطائفة لقتال ابنه حسن ومن معه من طوائف الجيش الأخرى، وقد تمكنت الجيوشية من إلحاق الهزيمة بجند حسن من الريحانية وغيرهم سنة ٥٢٨هـ/١١٣٣م[٤]، كما أن الفتنة التي حدثت سنة ٥٤٤هـ/١١٤٩م بين الريحانية والجيوشية انتهت بهزيمة منكرة للريحانية[٥].

وطائفة الجيوشية من الطوائف الهامة التي حظيت بالمشاركة في مواكب الخليفة المختلفة مع بعض الطوائف الأخرى[٦].

وإضافة إلى ذلك كله، فقد كانت هذه الطائفة تشكل جزءاً هاماً من الجيش الفاطمي في أواخر عهد الدولة، إذ حاربت مع طائفة الريحانية قوات الأمير شيركوه الذي تعهد بإعادة شاور للوزارة سنة ٥٥٩هـ/١١٦٣م[٧]، وتعرضت هذه

---

(١) انظر الفصل الثاني من هذه الدراسة.

(٢) ابن خلدون: العبر، ج٤، ق١، ص ١٣٤، ابن حجر: رفع الإصر، ق١، ص ١٣٥.

(٣) المقريزي :اتعاظ، ج٢، ص ٣٣١.

(٤) المقريزي: اتعاظ، ج٣، ص ١٤٩، والمقفى، ج٣، ص ٤١٦.

(٥) ابن منقذ: الاعتبار، ص ٦-٧، ابن ميسر: المنتقى، ص ١٤٧، المقريزي: اتعاظ، ج٣، ص ١٨٩.

(٦) ابن الطوير: نزهة، ص ١٦٥-١٦٦، ١٨٦-١٨٧، القلقشندي: صبح الأعشى، ج٣، ص ٥٠٠، المقريزي: الخطط، ج١، ص ٣٨٩، ٤٥٠، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٤، ص ٩٠.

(٧) المقريزي: اتعاظ، ج٣، ص٢٦٨-٢٦٩، والخطط، ج١، ص ٣٣٨، ج٢، ص ١٣، Hamblin: The Fatimid Army, p 53-54.

الطائفة –كما تعرضت طوائف الجيش الأخرى- للإبادة على يد صلاح الدين وقواته[1].

د. الأفضلية:

رغم أن هذه الطائفة منسوبة إلى أحد أبرز وزراء مصر من أرباب السيوف وهو الأفضل بن بدر الجمالي[2]، إلا أن معلوماتنا عنها قليلة جداً إذ لم يرد لهذه الطائفة ذكر في حوادث العصر الفاطمي لكن يبدو أنها كانت من الطوائف الهامة –على الأقل من الناحية السياسية- إذ كانت تشارك مع الطوائف الهامة الأخرى في موكب الخليفة عند ركوبه في أول العام[3].

هـ. المأمونية:

أشار المقريزي إلى طائفة المأمونية عرضاً عند حديثه عن دار كافور[4] ولم يحدد إلى من تُنسب أو في أية فترة ظهرت، إلا أن إشارة أخرى للمقريزي في كتابه المقفى تفيد بأن هذه الطائفة شاركت في الحملة التي قادها مؤتمن البطائحي (أخ الوزير المأمون) إلى الصعيد الأدنى لإخماد تمرد قبيلة لواتة[5]، وهذه الإشارة تُشعر بأن هذه الطائفة تعود بلا شك إلى الوزير المأمون.

---

(١) المقريزي: اتعاظ، ج٣، ص ٣١٢–٣١٤، والخطط، ج٢، ص ٢–٣،

Lanne pool: Saladin, p 100-102 .

(٢) القلقشندي: صبح الأعشى، ج٣، ص ٤٨٢.

(٣) ابن الطوير: نزهة، ص ١٦٥–١٦٦، القلقشندي: صبح الأعشى، ج٣، ص ٥٠٤، المقريزي: الخطط، ج١، ص ٤٥٠، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٤، ص ٩٠.

(٤) المقريزي: الخطط، ج٢، ص ١٢٥.

(٥) المقريزي: المقفى، ج٣، ص ٧١٥–٧١٦.

و. الصالحية:

تُنسب هذه الطائفة إلى الوزير الصالح طلائع بن رزيك[1] الذي أنشأ طائفة من غلمانه لم تحدد المصادر عددهم، وأن كان المقريزي قد ذكر بأن ابن رزيك قدم مماليكه وغلمانه حتى "صار لكل منهم نحو المائتي مملوك وطغوا في أيام رزيك (ابن الوزير) حتى ضج الناس منهم"[2]. ولا يُستبعد أن يكون جميع الغلمان الذين قربهم الصالح وأنشأهم قد حملوا اسم هذه الطائفة التي لا نعرف عن تاريخها ومشاركتها العسكرية شيء سوى أنها سكنت إحدى حارات القاهرة فنُسبت إليها[3].

ز. البُرقية:

سبق الحديث عن حارة البرقية المنسوبة إلى جماعة من أهل بَرْقة شاركوا في الفتح الفاطمي لمصر[4]، ومن هؤلاء البُرقية أنشأ الوزير ابن رزيك جماعة من الأمراء عرفوا بـ "الأمراء البُرقية" وجعل الأمير ضرغام مُقدماً عليهم[5]، وعندما تولى هذا الأمير الوزارة سنة ٥٥٩هـ/١١٦٣م قام بتصفية عناصر هذه الطائفة حفاظاً على منصبه[6].

---

(١) ابن عبد الظاهر: الروضة البهية، ص ١٥٢أ، القلقشندي: صبح الأعشى، ج٣، ص ٣٥٤.

(٢) المقريزي: اتعاظ، ج٣، ٢٥٧.

(٣) المقريزي: الخطط، ج٢، ص١٢.

(٤) انظر الفصل الثاني من هذه الدراسة.

(٥) القلقشندي: صبح الأعشي، ج٣، ص ٣٥٤، المقريزي: اتعاظ، ج٣، ص ٢٦٠، الخطط، ج٢، ص ١٢-١٣، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٥، ص ٣٢٨.

(٦) عمارة اليمني: النكت العصرية في أخبار الوزارة المصرية، تصحيح هرتويغ درنبرغ، القاهرة، ١٩٩١م، ص ٧٤، (يشار إليه فيما بعد: عمارة: النكت العصرية).

ج. الجوذرية:

ينتسب أفراد هذه الطائفة إلى أستاذهم الخادم جوذر أبرز خدام الفاطميين في المغرب، وقد جاءوا مع جيش جوهر إلى مصر واختطوا حارتهم "الجوذرية" عند بناء القاهرة سنة ٣٥٨هـ/٩٦٨م[١]. وقد ذكر المقريزي أن عدد أفراد هذه الطائفة بلغ أيام الحاكم أمر الله ٤٠٠ رجل[٢] ثم بلغ الحاكم أن اليهود سكنوا هذه الحارة وأكثروا من أذاهم للمسلمين، فأمر الخليفة بإحراقها عليهم[٣] وتدل قلة أعدادهم وسكنى اليهود لحارتهم، على أن هذه الطائفة أخذت تتلاشى تدريجياً منذ انتهاء خلافة المعز لدين الله ولم تعد تتجدد كباقي الطوائف الأخرى.

ومن أفراد هذه الطائفة نبغ أبو علي منصور العزيزي الجوذري مؤلف سيرة أستاذه جوذر والذي تولى العديد من الوظائف زمن العزيز والحاكم[٤].

ط. الباطلية:

سبق القول بأن الباطلية كانوا جماعة من أهل المغرب، قدموا مع جيش جوهر الفاتح، وتأخروا عن موعد تقسيم المعز لدين الله للأموال على الجند عندما قدم مصر سنة ٣٦٢هـ/٩٧٢م فسموا الباطلية[٥]، ومنذ ذلك التاريخ أصبحت هذه الفئة تشكل إحدى طوائف الجيش، وأول ظهور لها على مسرح الأحداث كان في الفتنة التي اندلعت بين الأتراك وكتامة سنة ٣٨٧هـ/٩٩٧م إذ

---

(١) القلقشندي: صبح الأعشى، ج٣، ص ٣٥٣، المقريزي: الخطط، ج٢، ص ٥، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٤، ص ٥١.

(٢) المقريزي: الخطط، ج٢، ص ٥.

(٣) القلقشندي: صبح الأعشى، ج٣، ص ١٥٣، المقريزي: الخطط، ج٢، ص ٥.

(٤) المقريزي: الخطط، ج٢، ص ٥، وانظر مقدمة كتاب سيرة جوذر، ص ٢-٤.

(٥) انظر الفصل الثاني من هذه الدراسة.

قاموا بنهب ممتلكات ابن عمار وحاشيته بعد هزيمته أمام الأتراك في تلك السنة[1].

وفي أيام الظاهر برزت الباطلية كإحدى أهم طوائف الجيش، فقد شارك أفرادها في الجيش الذي أرسله الخليفة لقتال العرب الثائرين في الصعيد الأعلى في رجب من سنة ٤١٤هـ/١٠٢٣م[2].

وفي العام التالي سيطر حسان بن الجراح الطائي[3] على العديد من مناطق الفاطميين في بلاد الشام فأشارت كتامة على الظاهر إرسال جيش كبير لقتاله، وكانت "الباطلية" من الطوائف التي رُشحت للمشاركة في هذا الجيش[4].

ومما يدل على أهمية "الباطلية" زمن الظاهر مشاركتها في الموكب الكبير الذي ركبه الخليفة في أول شهر رمضان سنة ٤١٥هـ/١٠٢٤م[5].

وبعد عهد الظاهر لم نعد نسمع عن ظهور واضح أو مشاركة فعلية للباطلية في الجيش مما يُشعر باضمحلال هذه الطائفة وتلاشي أفرادها تدريجيا.

ي. الحُسينية:

تضم طائفة الحسينية مجموعة من طوائف العسكر الفاطمي المكونة من عبيد الشراء[6]، ويندرج تحت هذا المسمى طوائف الميمونية[7] المنسوبة إلى

---

(١) المقريزي: اتعاظ، ج٢، ص ١٣.

(٢) المسبحي: أخبار مصر، ص ٤٠-٤١.

(٣) أحد أمراء بني طيء في بلاد الشام، توفي بعد سنة ٤٣٣هـ/١٠٤١م، الحياري: الأمارة الطائية، ص ٥٣.

(٤) المقريزي: اتعاظ، ج٢، ص ١٥٥.

(٥) المسبحي: أخبار مصر، ص ١٧٠، المقريزي: اتعاظ، ج٢، ص ١٥٩.

(٦) المقريزي: الخطط، ج٢، ٢٠.

(٧) المقريزي: الخطط، ج٢، ص ١٤.

الخادم ميمون[1] والريحانية والفرحية التي سيتم الحديث عنها تاليا.

وقد سكنت هذه الطوائف مجتمعة حارة الحسينية إحدى أكبر حارات القاهرة المكتظة بالعبيد السودان[2].

ك. الريحانية:

وهي أكبر طوائف العبيد السودان في الجيش الفاطمي[3]، ومع أن المصادر لم تُبين مُنشئ هذه الطائفة إلا أنه لا يُستبعد أن تكون نسبة هذه الطائفة إلى الخادم الوحيد الذي حمل اسم ريحان، وهو عزيز الدولة ريحان الخادم (ت ٤٣٩هـ/١٠٤٧)[4]، وهي من الطوائف التي حظيت بالمشاركة في مواكب الخليفة المختلفة[5].

لقد امتازت هذه الطائفة بكثرة عدد أفرادها، بحيث كانت نواحي الصعيد والعديد من أقاليم مصر مكتظة بهم، كما لعبت هذه الطائفة دوراً هاماً في العديد من الأحداث التي شهدها النصف الأول من القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي، كان أهمها الصراع بين الخليفة الحافظ وابنه الأمير حسن على ولاية العهد في سنة ٥٢٨هـ/١١٣٣م فقد انضمت الريحانية إلى جانب الأمير حسن في الوقت الذي انضمت فيه الجيوشية وطوائف أخرى إلى جانب أبيه

---

(١) أحد الأستاذين المحنكين، وردت إشارة عبارة له في حوادث سنة ٤١٥هـ، المقريزي: اتعاظ ج٣، ص ١٦٣.

(٢) القلقشندي: صبح الأعشى، ج٣، ص ٣٥٥، المقريزي: الخطط، ج٢، ص ٢١، ١٣٦.

(٣) Hamblin: the Fatimid Army, p51.

(٤) ابن ميسر: المنتقى، ص ٤، النويري: نهاية الأرب، ج٢٨، ص ٢١٦، وكانت أبرز مهمة لهذا الخادم قيادة الجيش الذي أُرسل لإخماد تمرد بني قُرة (عرب البحيرة) في سنة ٤٣٩هـ/١٠٤٧م، ابن ميسر: المنتقى، ص ٤.

(٥) ابن الطوير: نزهة، ص ١٦٥-١٦٦، ١٨٦-١٨٧، القلقشندي: صبح الأعشى، ج٣، ص ٥٠٠، المقريزي: الخطط، ج١، ص ٣٩٥، ٤٥٠، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٤، ص ٩٠.

الحافظ[1]، واندلع قتال عنيف بين الطرفين في شوارع القاهرة، كانت الغلبة فيه لجند الخليفة الحافظ، رغم أن الريحانية كانت من أقوى الطوائف آنذاك، وقد راح ضحية هذا الصراع أكثر من خمسة آلاف جندي من الطرفين، وعقب المقريزي على ذلك بقوله: "كانت أول مصيبة نزلت بالدولة من فقد رجالها ونقص عدد عساكرها ولم يسلم من الريحانية إلا من ألقى نفسه في بحر النيل"[2].

ولما تمادى الأمير حسن في عصيانه، لجأ الحافظ إلى استمالة الريحانية للاستعانة بهم لكثرة عددهم فأرسل إلى الصعيد لجمعهم وإرسالهم إلى القاهرة، فتشكل منهم "عسكراً عرمرماً وخرج فالتقى الجمعان وهبت ريح سوداء في وجوه الواصلين (الريحانية) وركبهم عسكر حسن، فلم يفلت منهم إلا القليل وغرق أكثرهم في البحر (النيل)"[3].

استمرت الريحانية حتى نهاية العصر الفاطمي، يؤكد ذلك حوادث السنوات الأخيرة للدولة الفاطمية إذ استعان بهم الوزير ضرغام في قتال شاور وشيركوه ومن معهما من جيش نور الدين في سنة ٥٥٩هـ/١١٦٣[4]، وقد استطاعت الريحانية مع طوائف أخرى من الجيوشية والفرحية إلحاق الهزيمة بجيش شيركوه[5]، إلا أن مقتل عدد كبير من الريحانية، وشعور طوائف الجيش الأخرى بأن الأمر سينتهي لصالح شاور ومن معه، أدى إلى تغير الموقف فاجتمع "مقدمو الريحانية وقد فني منهم كثير، وأرسلوا إلى شاور يطلبون الأمان، وكان

---

(١) ابن ميسر: المنتقى، ص ١١٩، المقريزي: اتعاظ، ج٣، ص ١٤٩، والمقفى، ج٣، ص ٤١٦.

(٢) المقريزي: اتعاظ، ج٣، ص ١٤٩، المقفى، ج٣، ص ٤١٧، وقد ذكر ابن ميسر أن عدد القتلى بلغ ١٠ آلاف، المنتقى، ص ١١٩.

(٣) المقريزي: اتعاظ، ج٣، ص ١٥٠، المقفى، ج٣، ص ٤١٧-٤١٨، وانظر: النويري: نهاية الأرب، ج٢٨، ص ٢٩٩-٣٠٠.

(٤) المقريزي: اتعاظ، ج٣، ص ٢٦٨، وانظر الخطط، ج١، ص ٢٣٨، ج٢، ص ١٣.

(٥) المصدر ذاته، ج٣، ص ٢٦٩.

قبل ذلك يبعث إليهم يستميلهم فأمنهم"[١]، ولما رأى ضرغام انسحاب الريحانية إلى جانب شاور وشيركوه لجأ إلى المكيدة فأرسل غلاما ليصيح في شوارع القاهرة "قد قتل الترك (جيش شيركوه) أصحاب شاور الريحانية"[٢]، ولكن الحيلة لم تتم فكانت الغلبة لشاور والقتل لضرغام في جمادي الآخرة من ذلك العام[٣].

وفي أواخر سنة ٥٦٤هـ/١١٦٨م تعرض العبيد السودان للإبادة الجماعية بما فيهم هذه الطائفة التي كانت تشكل جل العبيد السود في الجيش، وذلك على يد جيش صلاح الدين في أعقاب فشل مؤامرة جوهر الخلافة مؤتمن –مُقدم السودان في مصر- وما تبعها من ثورة السودان في القاهرة[٤] بحيث قتل عدد كبير منهم، وتتبعهم جيش صلاح الدين في عدة أقاليم حتى "ذهبت آثارهم من مصر"[٥].

ل. الفرحية:

وهي من طوائف عبيد الشراء[٦]، ولم تذكر المصادر من الذي أنشأها،

---

(١) المصدر ذاته، ج٣، ص ٢٦٩، وانظر: الخطط، ج٢، ص ١٣.

(٢) المقريزي: اتعاظ، ج٣، ص ٢٧٠.

(٣) المصدر ذاته، ج٣، ص ٢٧٠-٢٧١.

(٤) الأصفهاني: البستان الجامع، ص ٣٥٧، ابن الأثير: الكامل، ج١١، ص ٣٤٥-٣٤٧، البنداري: سنا البرق، ص ٤٢-٤٤، أبو شامة: الروضتين، ج١، ق٢، ص ٤٥٠-٤٥٢، ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٢، ص ٢٥٨، ابن خلدون: العبر، ج٤، ق١، ص ١٧١، ابن الفرات: تاريخ، ج٤، ق١، ص ٦٧-٧٢، المقريزي: اتعاظ، ج٣، ص ٣١١-٣١٣، الخطط، ج٢، ص ٢-٣، ١٩، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٥، ص ٣٥٤، Pool: Saladin, p 100-102. مصطفى الحياري: صلاح الدين، ص ١٢٦-١٢٧.

(٥) المقريزي: اتعاظ، ج٣، ص ٣١٣.

(٦) المقريزي: الخطط، ج٢، ص ١٤.

سوى أن حارة الفرحية –إحدى حارات القاهرة- منسوبة إليها[1].

ويبدو أن أعداد هذه الطائفة كانت كبيرة، فقد ذكر ابن عبد الظاهر أن الفرحية سكنت عدة أماكن منها المقس التي ضاقت بهم، فبنوا حارة جديدة لهم قُبالة منظرة اللؤلؤة، عندما ابُطلت عادة خروج الخلفاء للتفرج فيها في فترة متأخرة، وبسبب تعديات أفراد هذه الطائفة على العامة، فقد أطلق على حارتهم الجديدة اسم "حارة اللصوص"[2].

ومن هذه الطائفة كانت هناك فرقة موسيقية تستعمل الطلب أطلق عليها "السودان الفرحية الطبالون" كانوا يشاركون في أيام حمل السماط (الموائد الرسمية) والسير به في شوارع القاهرة[3]، وقد استمرت هذه الطائفة حتى نهاية العصر الفاطمي، إذ اتضحت مشاركتها مع طوائف الجيش الأخرى في حوادث السنوات الأخيرة للدولة الفاطمية[4].

م. اليانسية:

أنشأ هذه الطائفة الخادم أبو الحسن يانس الصقلبي[5]، وقد أخطأ ابن عبد الظاهر، فنسب هذه الطائفة إلى الأمير يانس الأرمني وزير الحافظ[6]، فرد عليه المقريزي مُبيناً أن هذه الطائفة قد ظهرت قبل فترة طويلة من وزارة يانس

---

(١) المصدر ذاته، ج٢، ص ١٤.

(٢) المصدر ذاته، ج٢، ص ١٢٤.

(٣) المسبحي: أخبار مصر، ص ١٨٤، ٢٠١، المقريزي: اتعاظ، ج٢، ص ١٦٦.

(٤) المقريزي: الخطط، ج٢، ص ٣.

(٥) يانس الصقلبي: خادم خصي من خدام العزيز بالله، كان والياً على القاهرة، تولى أمر القصور زمن الحاكم، ثم عين واليا على برقة سنة ٣٨٨هـ/٩٩٨م، المقريزي: الخطط، ج٢، ص ١٦.

(٦) ابن عبد الظاهر: الروضة البهية، ورقة ١٧٥أ، القلقشندي: صبح الأعشى، ج٣، ص ٣٥٩، المقريزي: الخطط، ج٢، ص ١٦.

الأرمني[1].

ولهذه الطائفة تنسب إحدى حارات القاهرة المعروفة بـ "حارة اليانسية"[2].

ن. المحمودية:

وهي من الطوائف التي جهل المؤرخون منشؤها، فقد اشتبه أمرها على ابن عبد الظاهر فلم يعرف نِسبتها لمن[3]، واكتفى عند حديثه عنه "حارة المحمودية" بالقول أنها منسوبة إلى الطائفة المعروفة بالمحمودية القادمة في أيام العزيز بالله الفاطمي إلى مصر[4].

س. العطوفية:

تُنسب هذه الطائفة إلى الخادم عَطوف[5]، وهي من الطوائف التي لا نعلم عن ماهيتها شيئا سوى أنها سكنت إحدى حارات القاهرة فنسبت إليها، وقد وصف المقريزي حارة العطوفية بأنها "أجل مساكن القاهرة وفيها من الدور العظيمة والحمامات والأسواق والمساجد ما لا يدخل تحت الحصر"[6]، ولا يُستبعد أن يكون أفراد هذه الطائفة من جنس مُنشئها من العبيد السود الذين بدأوا يظهرون بشكل واضح في أيام الخليفة الحاكم، ويبدو أن هذه الطائفة من الطوائف التي تلاشت فيما بعد إذ لا نسمع عن وجود للعطوفية في حوادث

(١) المقريزي: الخطط، ج٢، ص ١٧، ويؤيد ذلك إشارة صريحة إلى الخادم يانس الصقلبي وطائفته في حوادث سنة ٣٨٦هـ/٩٩٦م، المقريزي: الخطط، ج٢، ص ١٩٥.

(٢) القلقشندي: صبح الأعشى، ج٣، ص ٣٥٩، المقريزي: الخطط، ج٢، ص ١٦.

(٣) المقريزي: الخطط، ج٢، ص ٥.

(٤) القلقشندي: صبح الأعشى، ج٣، ص ٣٥٣ (ابن عبد الظاهر).

(٥) القلقشندي: صبح الأعشى، ج٣، ص ٣٥٥، المقريزي: الخطط، ج٢، ص ١٣، وعطوف هذا هو أحد خدام القصر زمن الحاكم بأمر الله، وممن عمل في خدمة ست المُلك أخت الخليفة الحاكم، أمر الحاكم بقتله في صفر سنة ٤٠١هـ/١٠١٠م، المقريزي: الخطط ٢/١٣-١٤ (المسبحي).

(٦) المقريزي: الخطط، ج٢، ص ١٣، وانظر: ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٤، ص ٥٠.

السنوات التي تلت عهد الحاكم بأمر الله وحتى نهاية الدولة الفاطمية.

ع. الملحية:

ظهرت هذه الطائفة في خلافة المستنصر بالله[١] دون أن تحدد المصادر من الذي أنشأها وما هي سبب تسميتها، وهذه الطائفة من الطوائف التي تسببت في ازدياد الغلاء والمجاعات بعد الفتن التي اشتركوا فيها مع الأتراك في العديد من أقاليم مصر[٢]، ولهذا تعرضت هذه الطائفة للإبادة على يد الأمير بدر الجمالي الذي قدم من عكا سنة ٤٦٦هـ/١٠٧٣م بناء على استدعاء المستنصر له لتصفية عناصر الفتنة في مصر[٣].

ف. طوائف أخرى:

ذكر المقريزي عدداً من طوائف الجيش الفاطمي عرضاً ودون أية تفصيلات تذكر، في مناسبتين، الأولى عند حديثه عن حارات القاهرة ودروبها، فأشار إلى طائفة المرتاحية[٤]، وطائفة الغلمان الشرابية[٥]، وطائفة صبيان الطوارق[٦]، وطائفة البنادين[٧].

أما المناسبة الثانية، فهي الأمان الذي أصدره الخليفة الحاكم بأمر الله في ربيع الآخر سنة ٣٩٥هـ/١٠٠٤م، بعد أن قام بقتل العديد من رجال الدولة وقادتها، وكان هذا الأمان موجهاً إلى العديد من الغلمان وموظفي القصر، وكان

---

(١) المقريزي: الخطط، ج٢، ص ٣٢.

(٢) ابن ميسر: المنتقى، ص ٥٨، المقريزي: الخطط، ج٢، ص ٣٢.

(٣) المقريزي: الخطط، ج٢، ص ٣٣.

(٤) (حارة المرتاحية) – المقريزي: الخطط، ج٢، ص ١٤.

(٥) (حارة الشرابية) – المصدر ذاته، ج٢، ص ١٦.

(٦) (حارة صبيان الطوارق) – المصدر ذاته، ج٢، ص ١٦.

(٧) (درب البنادين) – المصدر ذاته، ج٢، ص ٤١.

من بين الغلمان الذين ورد ذكرهم (الغلمان البكجورية، الغلمان الحاكمية، الغلمان الحمدانية، الغلمان البشارية، الغلمان المفرقة العجم)[١].

وهذه المجموعات المكونة من الغلمان تعود تسمية أغلبها إلى شخصيات بعضها معروف والآخر غير ذلك، فالبكجورية يبدو أنها منسوبة للأمير بكجور[٢]، والحاكمية يظهر أنها منسوبة للخليفة الحاكم، أما الحمدانية فربما كانت الطائفة التي أُستخدمت في جيش الكتاميين الذي أرسله ابن عمار إلى بلاد الشام لمحاربة الأتراك سنة ٣٨٧هـ/٩٩٧م[٣]، والتي استدعاها الحاكم من بلاد الشام لمحاربة أبي ركوة الثائر في سنة ٣٩٧هـ/١٠٠٦م[٤].

ومن طوائف الجيش الأخرى "القيصرية" التي تردد ذكرها في عهد الخليفة الظاهر في حوادث سنة ٤١٥هـ/١٠٢٤م دون تحديد لنشأتها أو أهميتها[٥].

ومن طوائف الجيش "الكنانية[٦] المركزية"[٧] التي كانت فرقة ثابتة مقيمة في

---

(١) المصدر ذاته، ج٢، ص ٢١، اتعاظ، ج٢، ص ٥٥-٥٦.

(٢) كان هذا الأمير واليا للفاطميين على دمشق، ثم عزل عنها زمن العزيز بالله، وفي سنة ٣٨١هـ/٩٩١م حاول احتلال حلب الصالح الفاطميين لكنه فشل في ذلك. ابن القلانسي: تاريخ، ص ٥٨-٦٤، ابن ظافر: أخبار الدولة الحمدانية، ص ٥١-٥٣، ابن الأثير: الكامل، ج٩، ص ٨٥-٨٧.

(٣) المقريزي: اتعاظ، ج٢، ص ٨-٩.

(٤) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٤، ص ٢١٦. M. Canard: El-Hakim Bi Amr Allah, EI2, vol(3),.p77

(٥) المسبحي: أخبار مصر، ص ١٨٠، المقريزي: اتعاظ، ج٢، ص ١٤٦، ١٥٤، ١٥٥، ١٥٩.

(٦) ينسب الكنانيون إلى قبيلة كنانة التي هاجرت من عسقلان بعد سقوطها بيد الفرنجة، ونزلت في دمياط في عهد الوزير طلائع بن رزيك، وقد ساهمت هذه القبيلة مع جيوش صلاح الدين الأيوبي فيما بعد. نظير سعداوي: جيش مصر في أيام صلاح الدين، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط٢، ١٩٥٩م، ص ١٣، (يشار إليه فيما بعد: سعداوي: جيش مصر).

(٧) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٥، ص ٢٤٤.

بعض الثغور الهامة كعسقلان للدفاع عنها[1]، وهناك طائفة "السرائيين" التي انفرد بذكرها الرحالة الفارسي ناصر خسرو وقال عنها "وهم مشاة جاءوا من كل ولاية، ولهم قائد خاص يتولى رعايتهم وكل منهم يستعمل سلاح ولايته، وعددهم عشرة آلاف رجل"[2].

رابعا: القوة البحرية (الأسطول):

اهتم الخلفاء الفاطميون بالأسطول اهتماما بالغا منذ قدومهم إلى مصر، بعد أن مروا بتجارب بحرية ناجحة في المغرب، شهدتها لهم شواطئ البحر الأبيض المتوسط منذ إنشاء المهدية وحتى انتقالهم إلى مصر، وقد أكدت المصادر[3] أن العناية بالأسطول وبإنشاء قوة بحرية فاطمية في مصر وبلاد الشام، جاءت منذ لحظة قدوم المعز لدين الله إلى مصر، فكانت المدن الساحلية هي مراكز الأسطول الفاطمي صناعة ورسوا واقلاعا، يقول القلقشندي: "وكانت أساطيلهم مرتبة بجميع بلادهم الساحلية كالإسكندرية ودمياط من الديار المصرية، وعسقلان وعكا وصور من سواحل الشام حين كانت بأيديهم قبل أن يغلبهم عليها الفرنجة"[4] إضافة إلى بعض المراكز على سواحل البحر الأحمر مثل ميناء عيذاب الذي عين فيه أسطول فاطمي لحماية التجارة البحرية الفاطمية[5].

والواقع أن الأخطار التي واجهتها الدولة الفاطمية من حين انتقالها إلى مصر، والمتمثلة بالقرامطة والعباسيين والبيزنطيين والسلاجقة والإمارات العربية

---

(١) ماجد: نظم، ج١، ص ٢٠٥.

(٢) خسرو: سفر نامة، ص ٩٤.

(٣) ابن الطوير: نزهة، ص ٩٥، المقريزي: الخطط، ج١، ص ٤٨٣، ج٢، ص ١٩٣.

(٤) القلقشندي: صبح الأعشى، ج٣، ص ٥١٩، وانظر: ابن مماتي: قوانين الدواوين، ص ٣٤٠.

(٥) القلقشندي: صبح الأعشى، ج٣، ص ٥٢٠.

القبلية، ثم خطر الفرنجة في بلاد الشام، كانت دافعا لتزايد اهتمام الفاطميين بالأسطول، خاصة وأن بلاد الشام ذات سواحل طويلة ممتدة ومتصلة بسواحل مصر لا تستطيع أن تخضعها دولة ما لا تملك أسطولا كبيرا يمكنها من ذلك.

أ. رجال الأسطول:

تعددت مراتب رجال الأسطول الفاطمي –وإن كنا لا نعرف الكثير عن تنظيماتهم- فكان هناك عشرة من أعيان الأمراء يتقدمون رجال البحرية، يقال لهم "القواد" أو "قواد الأسطول"[(١)]، ومن بين هؤلاء العشرة يتم اختيار قائد متميز منهم يسمى "رئيس الأسطول" لقيادة الأسطول "المتوجه للغزو، فيكون معه المقدم والفانوس وكلهم يهتدون به ويقلعون بإقلاعه ويرسون بإرسائه"[(٢)].

أما مقدم الأسطول الذي ورد ذكره في النص السابق، فتعينه الدولة للإشراف على جميع قطع الأسطول وما يتبعه من رجال في حال الخروج للحرب، ويشترط في اختياره أن يكون من كبار أعيان وأمراء الدولة ويتميز بقوة النفس ورباطة الجأش[(٣)].

ويبدو أن هذا التقسيم المتعدد كان هدفه ضبط شؤون الإشراف على الأسطول لخطورة القتال في البحر، بحيث يوزع جميع المقاتلين على عشرة من القواد لإدارتهم والإشراف عليهم، في حين يقوم رئيس الأسطول بمتابعة المقاتلين من خلال هؤلاء القواد، ويتعاون الرئيس مع المقدم الذي يعلوه شأنا في قيادة الأسطول ومتابعة فعالياته من لحظة انطلاقه وحتى عودته، يدل على هذا التعاون

---

(١) ابن الطوير: نزهة، ص ٩٥، المقريزي: الخطط، ج٢، ص ١٩٣، سيد عبد العزيز وأحمد مختار العبادي: تاريخ البحرية الإسلامية في حوض البحر الأبيض المتوسط، ٢ج، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، د.ت، ج١، ص ١٢٩، (يشار إليه فيما بعد: العبادي: تاريخ البحرية).

(٢) ابن الطوير: نزهة، ص ٩٦، المقريزي: الخطط، ج١، ص ٤٨٣، ج٢، ص ١٩٣.

(٣) ابن الطوير: نزهة، ص ٩٦، القلقشندي: صبح الأعشى، ج٣، ص ٥١٩، المقريزي: الخطط، ج١، ص ٤٨٣، ج٢، ص ١٩٣، العبادي: تاريخ البحرية، ج١، ص ١٢٩.

أن الخليفة كان يستدعي الرئيس والمقدم قبل انطلاق الأسطول ليوصيهما ويدعو لهما ولمن معهما بالنصر والسلامة[١].

أما رجال البحرية أو ما يسمى بـ "النواتية"[٢] أو "الأسطولية" فهم أفراد الأسطول المقاتلين وكانوا موضع احترام العامة وتقديرهم، نظرا للدور الكبير الذي قاموا به وما يتميز به القتال البحري من مشقة وخطورة، خاصة وأنه لم يكن يجبر أحد من المقاتلين على المشاركة في الأسطول[٣]، ولهذا أطلق عليهم العامة "المجاهدون في سبيل الله" أو "الغزاة في أعداء الله"[٤].

أما أعداد المقاتلين، فليس لدينا تحديد دقيق سوى ما ذكر من أنهم بلغوا في أواخر العصر الفاطمي خمسة آلاف مقاتل في رواية[٥] وعشرة آلاف في رواية أخرى[٦]، ويبدو أن الرقم الأخير أقرب إلى الصحة بدليل النشاط العسكري الكبير المستمر للأسطول الفاطمي حتى أواخر عهد الدولة.

وقد شكل المغاربة العدد الأكبر من هؤلاء المقاتلين، وعُرف عنهم مهارتهم في القتال البحري وقيادة السفن وقد أثبت ذلك الأسطول الفاطمي في المغرب، نظرا لوقوع سواحل طويلة للمغرب على البحر المتوسط الذي شهد معارك بحرية

---

(١) ابن الطوير: نزهة، ص ٩٨، القلقشندي: صبح الأعشى، ج٣، ص ٥١٩، المقريزي: الخطط، ج١، ص ٤٨٠، ج٢، ص ١٩٣.

(٢) النواتية أو النواتي: جمع نوتي وهو البحار، وهذه اللفظة لاتينية الأصل ومشتقة من كلمة Nauticus العبادي: تاريخ البحرية، ج١، ص ٨٧، هامش (٣).

(٣) المقريزي :الخطط، ج٢، ص ١٩٣.

(٤) المقريزي: الخطط، ج٢، ص ١٩٣، ماجد: نظم، ج١، ص ٢٢٦، العبادي: تاريخ البحرية، ج١، ص ١٣٠.

(٥) ابن الطوير: نزهة، ص ٩٥، القلقشندي: صبح الأعشى، ج٣، ص ٥١٩، المقريزي: الخطط، ج٢، ص ١٩٣.

(٦) المقريزي: الخطط، ج١، ص ٩٤، ابن إياس: نزهة الأمم، ص ١٣٤.

فاطمية هامة ضد أعداء الفاطميين من البيزنطيين والأمويين[1].

أما عن طبيعة عمل البحريين فكانت أعمالهم تتلخص بما يلي[2]:

١. تحريك السفن بالتجديف المستمر أو نشر القلوع (الأشرعة).

٢. توجيه السفن بتحريك الدفة.

٣. مراقبة البحر بالمناظير أو بأشخاص ذوي بصر حاد.

٤. رمي النفوط والمواد الملتهبة بالمنجنيقات والعرادات على السفن المعادية.

٥. رمي السهام، سواء السهام الصغيرة التي ترمي بالقوس أو الكبيرة التي ترمي بالمنجنيق.

٦. رمي الكلاليب أو الخطاطيف لسحب السفن المعادية والنزول عليها.

٧. المبارزة والقتال بالسيف والرمح على أسطح السفن في حال الاشتباك.

ولم يقتصر رجال البحرية على ما سبق فقد كان يلحق بالأسطول أحيانا فئات متطوعة من العامة من أطباء وقراء ومؤذنين، كما حدث في الحملة التي أُعدت سنة ٥١٧هـ/١١٢٣م لمساعدة أتابك دمشق ضد الفرنجة[3]، وهؤلاء العامة يتضح من وظائفهم أنهم قاموا على مساعدة رجال الأسطول من خلال شحذ هممهم بقراءة القرآن ورفع الآذان والتذكير بفضل الجهاد في سبيل الله.

ب. السفن الحربية الفاطمية:

تعددت سفن الأسطول الفاطمي وتنوعت بين سفن حربية كبيرة للغزو والجهاد، وسفن شراعية نيلية لأغراض المراسيم والاحتفالات، كما تنوعت

---

(١) انظر الفصل الأول من هذه الدراسة.

(٢) العبادي: تاريخ البحرية، ج١، ص ١٣٠-١٣١.

(٣) المقريزي: الخطط، ج١، ص ٤٨٠-٤٨١.

في حجومها وأشكالها ومسمياتها، وفيما يلي عرض لأهم السفن الحربية الفاطمية:

١.العشاريات:

ومفردها عشاري أو عشيري[١]، وهي من السفن النيلية التي كادت أن تكون وقفا على الخلفاء والوزراء والأمراء وولاة الأعمال، بلغ عددها عشرون عشاريا، وقد تعددت أحجامها ومسمياتها واستعمالاتها، وأكثرها شيوعا ما استخدمه الخلفاء في ركوبهم في النيل وفتح الخليج، واستقبال الأسطول العائد من الحرب[٢].

ومن العشاريات أيضا ما استعمل لنقل الغلات السلطانية والأحطاب[٣]، ومنها ما أطلق عليه اسم الدواميس (مفردها: ديماس أو ديتماس)، عددها عشرون ديماسا منها عشرة معدة لركوب الخليفة لفتح الخليج[٤]، ومنها ما كان معدا لركوب أعيان الدولة وموظفيها[٥]. ولم تقتصر العشاري على هذا الدور بل استخدمت أحيانا كسفن خفيفة ملحقة بالأسطول الحربي[٦].

---

(١) درويش النخيلي: السفن الإسلامية على حروف المعجم، دار المعار ف، مصر، ١٩٧٩م، ص ٩٥، (يشار إليه فيما بعد: النخيلي: السفن).

(٢) المقريزي: الخطط، ج١، ص ٤٧١-٤٧٧، ج٢، ص ٤٢٩-٤٣٠، النخيلي: السفن، ص ٩٥-٩٧.

(٣) المقريزي: الخطط، ج١، ص ٤٨٢، النخيلي: السفن، ص ٩٩، ماجد: نظم، ج١، ص ٢٢٤.

(٤) ابن الطوير: نزهة، ص ٩٤، المقريزي: الخطط، ج١، ص ٤٨٢-٤٨٣، سعاد ماهر: البحرية في مصر الإسلامية وآثارها الباقية، دار المجمع العلمي، جدة، ١٩٧٩، ص ٩٩، (يشار إليه فيما بعد: سعاد: البحرية).

(٥) المقريزي: الخطط، ج١، ص ٤٦٩، ٤٨٢-٤٨٣، سعاد: البحرية، ص ٣٤٣، ٣٥٦، النخيلي: السفن، ص ٩٩، ماجد: نظم، ج١، ص٢٢٤.

(٦) سعاد: البحرية، ص ٣٥٦، النخيلي: السفن، ص ٩٥.

٢. الشواني:

ومفردها شينية أو شيني أو شونة أو شاني[١]، وهي مركب طويل يجدف بمائة وأربعين مجدافا[٢] ويحمل حوالي ١٥٠ رجلا من المقاتلين[٣].

والشواني من أهم القطع الحربية في الأسطول الفاطمي، وهي الأصل الذي تفرعت منه سفن حربية أخرى كالغراب والطريدة والجفنة والحراقة[٤]. يمتاز هذا النوع من السفن –إضافة إلى سعة حمولتها من المقاتلين- بوجود الأبراج والقلاع على سطحها لغايات الدفاع والهجوم[٥]. كما تمتاز بوجود فأس كبيرة في مقدمتها تعرف باللجام مدببة الرأس أسفلها مجوف تُستخدم لمهاجمة السفن المعادية لتحطيمها وإغراقها[٦]، أما أعداد هذه السفن فقد تراوح بين ٧٥-٨٠ شينية في أواخر العصر الفاطمي[٧].

٣. الحراقات أو الحراريق:

ومفردها حراقة أو حراق[٨]، وتدل تسميتها على وظيفتها، فهي مراكب حربية كبيرة معدة لإحراق السفن المعادية بالنفط والمواد الملتهبة من خلال المنجنيقات التي تثبت على هذا النوع من السفن، وهي أكثر السفن استعمالا في

---

(١) النخيلي: السفن، ص ٨٣، العبادي: تاريخ البحرية، ج١، ص ١٣٢.

(٢) ابن مماتي: قوانين الدواوين، ص ٣٤٠،ماجد: نظم، ج١، ص ٢٢٤.

(٣) سعاد: البحرية، ص ٣٥٢.

(٤) النخيلي: السفن، ص ٨٣.

(٥) سعاد: البحرية، ص ٣٥٢، ماجد: نظم، ج١، ص ٢٢٤، النخيلي: السفن، ص ٨٤، العبادي: تاريخ البحرية، ج١، ص ١٣٣.

(٦) النخيلي: السفن، ص ٨٤.

(٧) المقريزي: الخطط، ج١، ص ٤٨٣، ج٢، ص ١٩٣، وانظر: القلقشندي: صبح الأعشى، ج٣، ص ٥١٩، وفي موضع آخر ذكر المقريزي وابن إياس أن الشواني بلغت في أواخر العصر الفاطمي عشرة فقط، المقريزي: الخطط، ج١، ص ٩٤، ابن إياس: نزهة الأمم، ص ١٣٤.

(٨) النخيلي: السفن، ص ٣٢.

جيوش العصور الوسطى[١].

والحراقات تلي الشواني في الأهمية إذ تجدف بمائة مجداف[٢]، وقد أكثر الفاطميون من استخدام هذا النوع -الذي ورثوه عن الأغالبة- في حروبهم في المغرب ضد البيزنطيين في جنوب إيطاليا وجزر البحر المتوسط[٣].

وقد استعملت هذه السفن أيضا لحماية السفن الكبيرة طيلة مسيرها في البحار[٤]، واستعملت أيضا لحمل الأمراء ورجال الدولة في النيل في المناسبات الرسمية والاستعراضية[٥].

٤. البطسات أو البطس:

ومفردها بطسة أو بطشة، وهي سفن كبيرة الحجم تتكون من عدة طوابق مزودة بعدد كبير من الأشرعة قد يصل إلى أربعين شراعا[٦]، تستخدم في نقل أعداد كبيرة من المقاتلين تتراوح أعدادهم بين ٣٠٠-٧٠٠ رجل تقريبا[٧]، وقد شاع استعمال هذا النوع من السفن بكثرة في أيام الحروب الصليبية، واعتبرت من السفن الهامة التي زودت بمختلف أسلحة القتال الخفيفة، والثقيلة إضافة إلى ما يحتاج إليه المقاتلين من الأطعمة والأشربة[٨]، كما قامت هذه السفن بدور

(١) سعاد: البحرية، ص ٣٤٠، ماجد: نظم، ج١، ص ٢٢٢، النخيلي: السفن، ص ٣٢.

(٢) ابن مماتي: قوانين الدواوين، ص ٣٤٠، النخيلي: السفن، ص ٣٢، العبادي: تاريخ البحرية، ج١، ص ١٣٤.

(٣) العبادي: تاريخ البحرية، ج١، ص ١٣٤.

(٤) النخيلي: السفن، ص ٣٣.

(٥) سعاد: البحرية، ص ٣٤٠، النخيلي: السفن، ص ٣٥-٣٦.

(٦) سعاد: البحرية، ص ٣٣١ ماجد: نظم، ج١، ص ٢٢٤، النخيلي: السفن، ص ١٤، العبادي: تاريخ البحرية، ج١، ص ١٣٦.

(٧) سعاد: البحرية، ص ٣٣٢، النخيلي: السفن، ص ١٥، العبادي: تاريخ البحرية، ج١، ص ١٣٦.

(٨) سعاد: البحرية، ص ٣٣١، النخيلي: السفن، ص ١٤-١٥.

كبير في إمداد المدن الساحلية في بلاد الشام بالغلال والأقوات وسائر صنوف الإمدادات[١].

٥. المسطحات:

ومفردها مسطح، وهي سفن ضخمة، ظهرها مسطح تُستعمل لنقل الأسلحة[٢]، ولذلك كانت تسير خلف السفن الأخرى خشية إغراق العدو لها[٣]، ونظراً لضخامة حجمها واقتصار دورها على حمل الأسلحة ومعدات القتال، فقد كان عددها قليلا، إذ يرد أنها بلغت في أواخر العصر الفاطمي عشرة مسطحات فقط[٤].

٦. الشلنديات:

ومفردها شلندي، وهي من السفن الكبيرة الحجم التي تمتاز باتساع سطحها، الأمر الذي يمكن الجنود من القتال عليها بحرية، في حين يقوم المجدفون بالتجديف تحتهم[٥]، كما تتسع هذه السفن لحمل السلام والمؤن إضافة إلى المقاتلين[٦]، ويقترن اسم الشلنديات بالشواني والمسطحات، خاصة وأنها أكثر أنواع السفن التي صنعت في دور صناعة الأسطول الفاطمي[٧].

---

(١) النخيلي: السفن، ص ١٤.

(٢) النخيلي: السفن، ص ١٤١-١٤٢، العبادي: تاريخ البحرية، ج١، ص ١٣٦.

(٣) سعاد: البحرية، ص ٣٦٨، النخيلي: السفن، ص ١٤٢.

(٤) القلقشندي: صبح الأعشى، ج٣، ص ٥١٩، المقريزي: الخطط، ج١، ص ٤٨٣.

(٥) ابن مماتي: قوانين الدواوين، ص ٣٤٠، سعاد: البحرية، ص ٣٥٢، العبادي: تاريخ البحرية، ج١، ص ١٣٥-١٣٦.

(٦) سعد: البحرية، ص ٣٥٢، العبادي: تاريخ البحرية، ج١، ص ١٣٦.

(٧) ابن الطوير: نزهة، ص ٩٥، المقريزي: الخطط، ج١، ص ٤٨٣.

٨. الحربيات أو الحرابي:

ومفردها حربي أو حربية[١]، ويبدو أن هذه التسمية أطلقت عموماً على جميع السفن والمراكب التي صُنعت لغايات القتال، إذ تدل الإشارات الواردة إلى "المراكب الحربية"[٢] في العصر الفاطمي على أنها مسماً عاما للسفن الحربية المقاتلة، وهذا ما حدده المقريزي عندما ذكر بأن السفن في مصر الفاطمية "على قسمين نيلية وحربية، فالحربية هي التي تنشأ لغزو العدو، وتشحن بالسلاح وآلات الحرب والمقاتلة"[٣].

٩. الحمالات:

مفردها حمالة، وهي من سفن النقل الكبيرة، وتُعتبر من ملحقات الأسطول الحربي تُستخدم لنقل المؤن والأزواد وبعض الأسلحة والخيول، وما يلحق بالأسطول من صُناع وخدم[٤]، وهي من السفن الفاطمية التي أشار المقريزي إلى عددها في أواخر العصر الفاطمي وذكر بأنها عشرة حمالات[٥].

١٠. الطرائد أو الطرادات:

ومفردها طريدة وطراد وطرادة وتطريدة[٦]، وهي سفن معدة لحمل

---

(١) النخيلي: السفن، ص ٣٧.

(٢) الجوذري: سيرة جوذر، ص ٩٨، ١١٩، المقريزي: الخطط، ج٢، ص ١٩٣-١٩٧، اتعاظ، ج١، ص ٢٩٠.

(٣) المقريزي: الخطط، ج٢، ص ١٨٩.

(٤) ابن مماتي: قوانين الدواوين، ص ٣٤٠، سعاد: البحرية، ص ٤٠-٤١، النخيلي: السفن، ص ٤٠-٤١.

(٥) المقريزي: الخطط، ج١، ص ٤٨٣، ج٢ ص ١٩٣.

(٦) النخيلي: السفن، ص ٨٩.

الخيول[١]، متوسط حمولتها ٤٠ فرسا[٢] كما تستخدم لحمل بعض المقاتلة والمؤن والسلاح[٣]، ويمتاز هذا النوع من السفن بأن مؤخرتها لها أبواب تُفتح وتُغلق لصعود الخيول ونزولها[٤]، ولا يشترك هذا النوع من السفن في القتال بل يقتصر دوره على ما سبق[٥].

١١. الدكاسات:

ومفردها دكاسة، وهي مراكب استعملها كبار رجال الدولة في العصر الفاطمي، يذكر المقريزي في حديثه عن صاحب الطراز "وله عشاري وديماس مجرد معه وثلاثة مراكب من الدكاسات ولها رؤساء ونواتية لا يبرحون ونفقاتهم جارية من مال الديوان"[٦].

١٢. الصنادل:

مفردها صندل، وهي ضرب من القوارب أو الزوارق[٧]، وقد عرف الفاطميون هذا النوع من السفن وصنعوه في المغرب[٨] ومن المحتمل أن يكون هذا النوع قد استعمل في اسطولهم في مصر.

---

(١) ابن منكلي: محمد بن منكلي (ت ٧٧٨هـ/١٣٧٦م) الأدلة الرسمية في التعابي الحربية، (تحقيق محمود شيت خطاب، مطبوعات المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٩٨٨)، ص ٢٣٤، (يشار إليه فيما بعد/ابن منكلي: الأدلة الرسمية)، ابن مماتي: قوانين الدواوين، ص ٣٣٩.

(٢) ابن مماتي: قوانين الدواوين، ص ٣٣٩، النخيلي: السفن، ص ٨٩–٩٠.

(٣) العبادي: تاريخ البحرية، ج١، ص ١٣٥.

(٤) سعاد: البحرية، السفن، ص ٣٥٤.

(٥) النخيلي: السفن، ص ٩١.

(٦) المقريزي: الخطط، ج١، ص ٤٦٩.

(٧) النخيلي: السفن، ص ٨٧.

(٨) الجوذري: سيرة جوذر، ص ٩٨.

١٣. البراكيس:

ومفردها بركوس أو باركوس[١]، وهي سفن حربية أصغر من البطسة استخدمت لنقل مياه الشرب للمقاتلين، وحمولة كل منها لا تقل عن مئة أردب من الماء[٢]، كما استخدمت أحيانا لنقل بعض الجنود والعامة، ولغايات تجارية أيضا[٣].

ج. أسلحة الأسطول:

لم تختلف الأسلحة التي استخدمت في القتال البحري عنها في القتال البري، إلا في بعض الحالات التي استوجبت تحطيم السفن وإغراقها، ففيما يتعلق بالأسلحة الفردية الخفيفة، استعمل البحريون السيوف بأنواعها وحجومها المختلفة[٤]، وهي لا تختلف عن سيوف الجيوش البرية إلا في كيفية

---

(١) النخيلي: السفن، ص ١٢، وقد ورد اللفظ عند ابن مماتي "مركوش أو بركوش"، قوانين الدواوين، ص ٣٢٠.

(٢) ابن مماتي: قوانين الدواوين، ص ٣٤٠، سعاد: البحرية، ص ٣٣٣، العبادي: تاريخ البحرية، ج١، ص ١٣٧.

(٣) النخلي: السفن، ص ١٣.

(٤) عن أنواع السيوف وصفة استخدامها انظر: الرماح: نجم الدين حسن (ت ٦٩٥هـ/١٢٩٥م)، الفروسية والمناصب الحربية، (تحقيق عيد ضيف العبادي، وزارة الثقافة، بغداد، ١٩٨٤)، ص ١٠١-١٠٥، (يشار إليه فيما بعد: الرماح، الفروسية، الطرسوسي: مرضي بن علي ت٥٨٩هـ/١١٩٣م): تبصرة أرباب الألباب في كيفية النجاة في الحروب والأسواء ونشر إعلام الأعلام والعدد والآلات المعينة على لقاء الأعداء، تحقيق كلود كاهن في مجلة: Bulletin D'etudes orientales, Tom, XII, Anees, Beyroth, 1947-1948, P. 106-162. (يشار إليه فيما بعد: الطرسوسي، تبصرة)، العمري: شهاب الدين ابن فضل الله (ت٧٤٩هـ/١٣٤٨م)، التعريف بالمصطلح الشريف، تحقيق سمير الدروبي (جامعة مؤتة ١٩٩٢)، ص ٢٩٥-٢٩٦، (يشار إليه فيما بعد: العمري: التعريف)، النويري: شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت ٧٣٢هـ/١٣٣١م): نهاية الأرب في فنون الأدب، ج٦، (طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب،

حملها، إذ لا تشد في وسط المقاتل، بل توضع حمائلها في عنقه[1] ويبدو أن ذلك يمكن المقاتل من الحركة بسهولة فوق السفينة.

كما استخدم البحريون الرماح بأنواعها، سواء الطويلة منها والمعروفة بالمزاريق والفريجيات والضواري والصبربرات، أو القصيرة المعروفة بالقنا والقنطاريات[2]، أما الأقواس التي تقذف النشاب[3] لمسافات بعيدة، فقد استخدم منها عدة أنواع، فإضافة إلى قسي اليد وقسي الرجل، كان هناك القوس الضخم المعروف بقوس الزيار، الذي ينصب على أبراج السفن، والقوس العقار والجرخ اللذين يجذب وترهما بلولب[4].

واستخدم البحريون أيضا قطعا حديدية طويلة على شكل أعمدة سميت باللتوت والدبابيس والمستوفيات، لتهشيم الخوذ المعدنية التي يلبسها الأعداء[5]،

=

القاهرة، د.ت)، ج٦، ص ٢٠٢-٢١٤، (يشار إليه فيما بعد: النويري: نهاية الأرب)، القلقشندي: صبح الأعشى، ج٢، ص ١٣٩-١٤٠.

(١) ابن منكلي: الأدلة الرسمية، ص ٢٥٠.

(٢) الطوسوسي: تبصرة، ص ١٠-١٣، النويري: نهاية الأرب، ج٦، ص ٢١٤-٢٢٢، العمري: التعريف، ص ٢٩٦، القلقشندي: صبح الأعشى، ج٢، ص ١٤٠، ١٤١.

(٣) انظر عن أنواع النشاب ونصولها وصفة استخدامها: ابن ميمون: عبد الله بن ميمون (ت ٧٠٠هـ/١٣٠٠م): الإفادة والتبصير لكل رام مبتدئ أو مهير، مخطوط مكتبة كوبريلي في استانبول، رقم ١٢١٣ (مكتبة جامعة مؤتة)، ورقة ٢١٤-٢١٧، ٢٢٦-٢٣٠، (يشار إليه فيما بعد: ابن ميمون: الإفادة والتبصير)، النويري: نهاية الأرب، ج٦، ص ٢٣٠-٢٣٩، القلقشندي: صبح الأعشى، ج٢، ص ١٤٤.

(٤) ابن ميمون: الإفادة، ورقة ٣١-٤٨، الطرسوسي: تبصرة، ص ٦-١٠، العمري: التعريف، ص ٢٩٧-٢٩٨، النويري: نهاية الأرب، ج٦، ص ٢٢٢-٢٣٠، القلقشندي: صبح الأعشى، ج٢، ص ١٤١-١٤٢، مؤلف مجهول: خزانة السلاح، (تحقيق نبيل عبد العزيز، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٨)، ص ٨٦، هامش (١٦)، (يشار إليه فيما بعد: مجهول: خزانة السلاح).

(٥) الرماح: الفروسية، ص ١١٣-١١٥، ابن منكلي: الأدلة الرسمية، ص ٢٥١، مجهول: خزانة السلاح، ص ٨٦، هامش (١٧)، العبادي: تاريخ البحرية، ج١، ص ١٤٠-١٤١.

وفي المقابل يحمي البحريون أنفسهم بالتروس الواقية، وهي على مسميات مختلفة: طوارق، جنويات، دروع، جواشن، زرديات[١].

أما الأسلحة الثقيلة المتعلقة بالسفن فيأتي في مقدمتها المنجنيقات أو العرادات[٢]، والمنجنيق آلة خشبية ضخمة استخدمت لرمي المقذوفات المختلفة على الأعداء سواء على القلاع والحصون أو على السفن، وقد حملت السفن الحربية الفاطمية كالشواني والشلنديات المنجنيقات المختلفة[٣]، لرمي الحجارة[٤] أو السهام[٥] أو قوارير النفط الملتهبة لإشعال السفن[٦]، أو قدورا من الصابون السائل حتى ينزلق عليها رجال الأسطول المعادي وينشغلوا عن القتال[٧]، كما استخدم المنجنيق أيضا لرمي قدورا مليئة بالأفاعي والعقارب والرمم والقاذورات على السفن المعادية[٨]، ولحماية السفن من مقذوفات الأعداء المختلفة، كان يوضع على هيكل السفينة درع كبير من جلود الحيوانات غير

---

(١) الطرسوسي: تبصرة، ص ١٢–١٤.

(٢) عن المنجنيقات والعرادات، أنواعها وأجزاؤها واستعمالاتها انظر: الطرسوسي: تبصرة، ص ١٦–١٨، ابن منكلي: الأدلة الرسمية، ص ٢٤٤، العمري: التعريف، ص ٣٠٣–٣٠٥، القلقشندي: صبح الأعشى، ج٢، ص ١٤٣–١٤٤، ابن ارنبغا الزردكاش (ت٨٦٧هـ/١٤٦٢م): الأنيق في المناجنيق (تحقيق إحسان هندي، منشورات معهد التراث العلمي، حلب، ١٩٧٥م)، ص ٤١–٤٦، (يشار إليه فيما بعد: الزردكاش: الأنيق).

(٣) المقريزي: الخطط، ج١، ص ٤١٨٠، ج٢، ص ١٩٣–١٩٤.

(٤) ابن منكلي: الأدلة الرسمية، ص ٢٤٤، الزردكاش: الأنيق، ص ٤١–٤٤.

(٥) يتراوح طول السهم الذي يطلقه المنجنيق أو قوس الزيار بين ٦٠–١٨٠سم، الزردكاش: الأنيق، ص ٢٦ (مقدمة المحقق).

(٦) الطرسوسي: تبصرة، ص ٢٠–٢٣، ابن منكلي: الأدلة الرسمية، ص ٢٤٢، القلقشندي: صبح الأعشى، ج٢، ص ١٤٥، الزردكاش، الأنيق، ص ٤٤–٤٥، سعاد: البحرية، ص ٢٠٣.

(٧) ابن منكلي: الأدلة الرسمية، ص ٢٥٤، سعاد: البحرية، ص ٢٠٣.

(٨) الزردكاش: الأنيق، ص ١٦ (مقدمة المحقق)، سعاد: البحرية، ص ٢٠٣.

القابلة للاشتعال[١].

ومن أسلحة السفن "لجام السفينة" وهي أداة حديدية طويلة مدببة الرأس تثبت في مقدمة السفينة، تستخدم في دك سفن الأعداء لخرقها وإغراقها[٢]، كما تستخدم الباسليقات أيضا لإغراق السفن، وهي سلاسل طويلة في رأسها رمانة حديدية تلقى على السفن[٣].

ومن الأسلحة الخاصة بالقتال البحري أيضا، الكلاليب، وهي مخاطف حديدية يلقيها البحريون على سن الأعداء لجذبها وشدها إليهم، حتى إذا تم ذلك طرحوا ألواحا خشبية عريضة للصعود عليها[٤]. ولإبطال مفعول هذه الكلاليب يلجأ البحريون إلى استخدام الفؤوس لضربها وقطعها في حال إلقائها على سفنهم[٥]، كما تستخدم الستائر[٦] لمنع إلقاء هذه الكلاليب[٧].

ومن معدات السفن التي استخدمت في القتال البحري "التوابيت" وهي صناديق مفتوحة مثبتة أعلى الصواري تستخدم –إضافة إلى مراقبة الأعداء- في إلقاء الحجارة والمقذوفات النارية على السفن المعادية[٨].

---

(١) ماجد: نظم، ج١، ص ٢٢٧.

(٢) سعاد: البحرية، ص ٢٠٣-٢٠٤.

(٣) سعاد: البحرية، ص ٢٠٣، العبادي: تاريخ البحرية، ج١، ص ١٤١.

(٤) سعاد: البحرية، ص ٢٠٤.

(٥) سعاد: البحرية، ص ٢٠٤، العبادي: تاريخ البحرية، ج١، ص ١٤١.

(٦) عن الستائر، انظر: الطرسوسي: تبصرة، ص ١٨٥-١٩، القلقشندي: صبح الأعشى، ج٥، ص ١٢٧.

(٧) سعاد: البحرية، ص ٢٠٤.

(٨) سعاد: البحرية، ص ٢٠٣، العبادي: تاريخ البحرية، ج١، ص ١٤٢.

د. النشاط العسكري للأسطول الفاطمي:

١. دور الأسطول الفاطمي في فرض السيطرة على بلاد الشام:

لم تستقر السلطة الفاطمية في بلاد الشام منذ فتحها في سنة ٣٥٨هـ/٩٦٨م، إذ واجهت الدولة الفاطمية العديد من الأخطار كان في مقدمتها خطر القرامطة الذين قدموا من البحرين لاسترجاع دمشق التي تعهد واليها الأخشيدي بدفع أتاوة سنوية لهم، انقطعت بفتح الفاطميين لها، وقد نجح القرامطة في إلحاق الهزيمة بالجيش الفاطمي، وقتل القائد الفاطمي جعفر بن فلاح الكتامي، ثم تابعوا سيرهم إلى الرملة ثم إلى يافا في أوائل سنة ٣٦١هـ/٩٧١م[١]. فأرسل القائد جوهر اسطولا من مصر مكونا من خمسة عشر سفينة، يُرجح أنها من قطع الأسطول الذي قدم مع جيش جوهر لفتح مصر، إلا أن القرامطة نجحوا في هزيمة هذا الأسطول وأخذوا مراكبه، ولم ينج سوى مركبين استولى عليهما الروم[٢]، فتشجع القرامطة على إرسال أسطولهم إلى مصر، غير أن قطع الأسطول الفاطمي في مصر، ألحقت الهزيمة به في رمضان من ذلك العام[٣].

ومع فشل القرامطة في احتلال مصر للمرة الثانية، بعد قدوم الخليفة المعز لدين الله إلى مصر سنة ٣٦٢هـ/٩٧٢م[٤]، واجه الفاطميون العدو التقليدي لهم

---

(١) ابن سنان: أخبار القرامطة، ص ٢٢٦، ابن القلانسي: تاريخ، ص ١-٢ ابن الأثير: الكامل، ج٨، ص ٦١٤-٦١٥، الصفدي: الوافي، ج١١، ص ١٢٣، ابن أيبك: الدرة المضية، ص ١٣٥، المقريزي: اتعاظ، ج١، ص ١٨٧-١٨٨، المقفي، ج٣/ ص ٥٧.

(٢) ابن الأثير: الكامل، ج٨، ص ٦١٥-٦١٦.

(٣) المقريزي: اتعاظ، ج١، ص ١٨٨-١٨٩، النخيلي: فتح الفاطميين للشام، ص ٣١٧.

(٤) ابن سنان: أخبار القرامطة، ص ٢٣٠-٢٣١، ابن القلانسي: تاريخ، ص ٥-٨، ابن الأثير: الكامل، ج٨، ص ٦٣٨-٦٣٩، المقريزي: اتعاظ، ج١، ص ١٨٩-٢٠٢، محمد سرور: النفوذ الفاطمي في بلاد الشام، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ت، ص ٣٥-٣٦، (يشار إليه فيما بعد: سرور: النفوذ الفاطمي).

منذ إنشاء دولتهم في المغرب، والمتمثل بالدولة البيزنطية التي لم تنقطع عن تهديد سواحل مصر وبلاد الشام، وكانت أول مواجهة بحرية بين الفاطميين والبيزنطيين في تلك الفترة، قد تمت في مياه البحر المتوسط سنة ٣٨٣هـ/٩٩٣م، وكان النصر فيها لسفن الأسطول الفاطمي التي طاردت مراكب البيزنطيين وعادت منها بمئة أسير[١]، وبعد ثلاث سنوات انطلق الأسطول الفاطمي لغزو سواحل الدولة البيزنطية، وعاد بأكثر من ٢٢٠ أسيرا، ثم عرضهم في شوارع القاهرة[٢].

وفي العام التالي (٣٨٧هـ/٩٩٧م)، أحبط الأسطول الفاطمي مساندة الأسطول البيزنطي لتمرد أهل صور على الفاطميين، عندما خلعت هذه المدينة طاعة الفاطميين وأمر أهلها عليهم غلاما من البحرية يدعى علاقة، وقتلوا عددا من الجند المغاربة في المدينة، مما دفع الأمير جيش بن الصمصامة-الوالي الفاطمي على دمشق- إلى إرسال جيش بقيادة أبي عبد الله الحسين بن ناصر الدولة، ومعه ياقوت الخادم[٣] إلى المدينة، كما أرسل ولاة طرابلس وصيدا بإنفاذ ما لديهم من سفن لحاصرة المدينة، في الوقت الذي أرسل فيه الخليفة الحاكم عشرين سفينة حربية من الأسطول الفاطمي إلى سواحل المدينة، فلجأ علاقة إلى الاستنجاد بالإمبراطور البيزنطي بسيل الثاني الذي لم يتردد في إرسال الأسطول لمساندته، وقبالة سواحل صور التقى الأسطولان في معركة بحرية عنيفة انتهت بانتصار الأسطول الفاطمي واستسلام المدينة له[٤].

ومع تراجع الخطر البيزنطي عن مصر وبلاد الشام، أخذ النفوذ الفاطمي في بلاد الشام يتراجع أمام أخطار أخرى شهدها النصف الأول من القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، والمتمثلة بظهور السلاجقة في شرق

(١) المقريزي: اتعاظ، ج١، ص ٢٨٢.

(٢) المقريزي: اتعاظ، ج١، ص ٢٩٠.

(٣) لم أجد له ترجمة.

(٤) ابن القلانسي: تاريخ، ص ٨٣، ابن الأثير: الكامل، ج٩، ص ١٢٠.

العالم الإسلامي واجتياحهم لبلاد الشام، وتأسيس إمارة المرداسيين في حلب، في الوقت الذي أخذت فيه بعض المدن الشامية تستقل بولاتها كطرابلس ودمشق وصور، ومع حلول عام ٤٨٠هـ/١٠٨٧م، فقد الفاطميون قواعدهم البحرية في بلاد الشام باستثناء عسقلان(١)، ثم ما لبث الفاطميون أن استعادوا بعض هذه المدن في وزارة الأفضل بن بدر الجمالي، ففي سنة ٤٨٩هـ/١٠٩٥م، أرسل الأفضل الأسطول إلى سواحل صور، وتمكن من فتح المدينة عنوة(٢)، كما اسُترجعت بيت المقدس في سنة ٤٩١هـ/١٠٩٧م(٣).

٢. دور الأسطول الفاطمي في الجهاد ضد الصليبيين:

لم يتسنّ للفاطميين متابعة استرداد مدن الشام، فقد شهد العقد الأخير من القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، اجتياح الفرنجة الصليبيين لبلاد الشام، وبالتالي دخول الفاطميين في صراع جديد لعب فيه أسطولهم دورا لا يستهان به.

ومن الملفت للنظر أن الفاطميين لم يتصدوا للصليبيين من البداية فتركوهم يحتلون مدن الشام الشمالية كأنطاكية، ومعرة النعمان، وكفر طاب وحصن الأكراد، ويتوجهون جنوبا لمحاصرة المدن الساحلية كطرابلس وصيدا وصور وعكا(٤)، حتى تساءل ابن تغري بردي عن ذلك بقوله "ولم ينهض الأفضل بإخراج عساكر مصر، وما أدري ما كان السبب في عدم إخراجه مع قدرته على المال

---

(١) العبادي: تاريخ البحرية، ج١، ص ١٠٣.-١٠٤.

(٢) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٥، ص ١٥٩.

(٣) ابن القلانسي: تاريخ ص ٢٢١، ابن الأثير: الكامل، ج١٠، ص ٢٨٢-٢٨٣، ابن ميسر: المنتقى، ص ٦٥-٦٦، ابن خلدون: العبر،ج٥، ق١، ص ٤٣-٤٤، المقريزي: اتعاظ، ج٣، ص ٢٢.

(٤) ابن القلانسي: تاريخ، ص ٢١٨-٢١٩، ابن الأثير: الكامل، ج١٠، ص ٢٧٤ وما بعدها، ابن خلدون العبر، ج٤، ق١، ص ١٤٠، ج٥، ق١، ص ٤١-٤٢، المقريزي: اتعاظ، ج٣، ص ٢٣ وما بعدها، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٥، ص ١٤٦-١٤٩.

والرجال"[1]، ويبدو أن بُعد المناطق الشمالية من بلاد الشام عن مصر من ناحية، وعدم إدراك الفاطميين لخطورة الغزو الصليبي وأهدافه البعيدة من ناحية أخرى[2] هو السبب في هذا التأخر، فعندما احتل الصليبيون بيت المقدس في شعبان سنة ٤٩٢هـ/١٠٩٨م[3] وما صاحب ذلك من مذابح وسفك لدماء المسلمين، أسرع الأفضل في رمضان من ذلك العام إلى الخروج بالجيش الفاطمي من مصر إلى عسقلان، ولما طال انتظاره للأسطول القادم من مصر، فاجأه الفرنجة بمعركة انتهت بهزيمته وعودته إلى مصر[4].

---

(١) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٥، ص ١٤٧.

(٢) يدل على عدم هذا الإدراك، أن الوزير الفاطمي الأفضل شاهنشاه قد أرسل بعثة من القاهرة إلى معسكر الصليبيين حول أنطاكية للتفاوض معهم على اقتسام بلاد الشام، بحيث يأخذ الصليبيون شمالها والفاطميون جنوبها، غير أن تلك الاتفاقية لم تسفر عن محددات واضحة في هذا المجال، بدليل استمرار تقدم الصليبيين نحو باقي المدن الشمالية. انظر: وليم الصوري: تاريخ الحروب الصليبية (الأعمال المنجزة فيما وراء البحار)، ٢ج، ترجمة د. سهيل زكار، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٩٩٠م، ج١، ص ٢٩٦-٢٩٧، (يشار إليه فيما بعد: الصوري: تاريخ). حسن حبشي: الحرب الصليبية الأولى، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ت، ص ١٢٦، (يشار إليه فيما بعد: حبشي: الحرب الصليبية).

(٣) ابن القلانسي: تاريخ، ص ٢٢٢، ابن الأثير: الكامل، ج١٠، ص ٢٨٣، ابن ميسر: المنتقى، ص ٦٦، ابن خلكان: وفيات، ج١، ص ١٧٩، ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٢، ص ١٥٦، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٥، ص ١٤٨-١٤٩. مؤلف مجهول: أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس، ترجمة حسن حبشي، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٥٨م، ص ١١٦-١٢٠، (يشار إليه فيما بعد: مجهول: أعمال الفرنجة).

(٤) ابن القلانسي: تاريخ، ص ٢٢٣، ابن الأثير: الكامل، ج١٠، ص ٢٨٦، ابن ميسر: المنتقى، ص ٦٧، ابن خلدون: العبر، ج٤، ق١، ص ١٤٩-١٥٠، المقريزي: اتعاظ، ج٣، ص ٢٣-٢٤،ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٥، ص ١٤٩-١٥٠، مجهول: أعمال الفرنجة، ص ١٢٠-١٢٥، ستيفن رنسيمان: تاريخ الحروب الصليبية، ٣ج، ترجمة السيد الباز العريني، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٧-١٩٦٨، ج١، ص ٤١٧-٤١٩، (يشار إليه فيما بعد: رنسيمان: تاريخ) سعيد عاشور: الحركة الصليبية، ٢ج، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، ط١، ١٩٦٣م، ص ٢٥٤-٢٥٦، (يشار إليه فيما بعد: عاشور: الحركة الصليبية)، انتوني بردج: تاريخ الحروب الصليبية،

وعلى الرغم من الجهود التي بذلها الفاطميون للوقوف في وجه الفرنجة في جنب بلاد الشام لمنع احتلال المزيد من المدن[1]، إلا أن انشغال الدولة الفاطمية بالأحداث الداخلية يسر للفرنجة الاستيلاء على مدن الشام الواحدة تلو الأخرى، فبين عامي ٤٩٤-٤٩٥هـ/١١٠٠-١١٠١م سقطت بيد الفرنجة مدن حيفا وارسوف[2] وقيسارية[3] وانطرسوس[4]. ولم يتجدد النشاط العسكري للجيش الفاطمي ضد الصليبيين إلا في عام ٤٩٥هـ/١٠١١م عندما الحق الهزيمة بالفرنجة في عسقلان[5]، ثم تلاها هزيمة أخرى ألحقها بهم قرب الرملة في العام التالي، دون استعادة أية مدينة[6]. أما الأسطول الفاطمي فقد خرج في رمضان من سنة ٤٩٦هـ/١١٠٢م لإمداد يافا بالمؤن والسلاح بقيادة شرف المعالي ابن الوزير الأفضل، ثم عاد إلى مصر، وترك الأسطول في البحر، وعهد بقيادته

=

ترجمة أحمد سبانو وزميله، دار قتيبة، دمشق، ١٩٨٥م، ص ١١٠-١١١، (يشار إليه فيما بعد: بردج: تاريخ الحروب الصليبية).

(١) ابن القلانسي: تاريخ، ص ٢٢٧، ابن الأثير: الكامل، ج١٠، ص ٢٦٤، ابن ميسر: المنتقى، ص ٦٨، المقريزي: اتعاظ، ج٣.، ص ٢٣، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٥، ص ١٥٢.

(٢) ارسوف: مدينة على ساحل بلاد الشام بين قيسارية ويافا، ياقوت: معجم البلدان، ج١، ص ١٥١.

(٣) قيسارية: بلد على ساحل بلاد الشام من أعمال فلسطين تبعد عن طبرية ثلاثة أيام، ياقوت: معجم البلدان، ج٤، ص ٤٢١.

(٤) ابن القلانسي: تاريخ، ص ٢٢٤-٢٢٥، ٢٣٢-٢٣٣، ابن الأثير: الكامل، ج١٠، ص ٣٢٥، ٣٧٢، ابن ميسر: المنتقى، ص ٧٥، ابن خلكان: وفيات، ج٥، ص ٣٠٠، ابن خلدون: العبر: ج٥، ق١، ص ٣٩٧، المقريزي: اتعاظ، ج٣، ص ٢٦، ٣٦، المقفى، ج١، ص ٦٦٦، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ح٥، ص ١٧٠، الصوري: تاريخ، ج١، ص ٤٩٣-٤٩٥، رنسيمان: تاريخ: ج٢، ص ١٢٠-١٢١.

(٥) ابن القلانسي: تاريخ، ص ٢٢٩، ابن الأثير: الكامل، ج١٠، ص ٣٤٥-٣٤٦، سبط بن الجوزي: مرآة الزمان، ج٨، ق١، ص ١-٢.

(٦) سبط بن الجوزي: مرآة، ج٨، ق١، ص ٤-٥، المقريزي: اتعاظ، ج٣، ص ٣٣.

للقاضي ابن قادوس[١]، غير أن هذا الأسطول لم يتحرك لنجدة المدينة، التي هاجمها الصليبيون، لعدم وصول الإمدادات الفاطمية من البر، ومن المحتمل أن تكون قطع الأسطول الفاطمي غير كافية لمنازلة الأسطول الصليبي مما أدى إلى سقوط المدينة[٢].

لم ينقطع الأسطول الفاطمي عن الانطلاق مجددا نحو سواحل الشام، فعندما استنجد أهل طرابلس بالأفضل لمواجهة الحصار الصليبي عليها من البر في سنة ٥٠١هـ/١١٠٧م لم يتردد في إرسال الأسطول الفاطمي إليها محملا بالمؤن والغلال لتصمد أمام الحصار، ثم عاد إلى مصر[٣]، وفي العام التالي تمكن الأسطول الفاطمي من فك الحصار عن مدينة صيدا وإلحاق الهزيمة بالأسطول الصليبي[٤].

وفي سنة ٥٠٣/١١٠٩م عادة قوات الصليبيين مجتمعة لمحاصرة طرابلس واستولت عليها، وقد كان تأخر الأسطول الفاطمي عن نجدة المدينة سببا في سقوطها[٥]، ويعود ذلك التأخر إلى عاملين الأول: الخلاف الذي نشب حول قيادة الأسطول[٦] والثاني: الرياح الشديدة التي ردت الأسطول أكثر من مرة إلى مصر وأعاقت تقدمه إلى طرابلس[٧]، حتى إذا وصل الأسطول إلى سواحل المدينة، كان الصليبيون قد استولوا عليها، فأفرغ حمولته من المؤن على المدن الأخرى ثم

---

(١) لم أجد له ترجمة.

(٢) ابن الأثير: الكامل، ج١٠ص ٣٦٤-٣٦٦، عاشور: الحركة الصليبية، ج١، ص ٣١٢-٣١٣.

(٣) ابن الأثير: الكامل، ج١٠، ص ٤٥٤.

(٤) ابن الأثير: الكامل، ج١٠، ص ٤٥٦.

(٥) سبط بن الجوزي: مرآة الزمان، ج٨، ق١، ص ٢٧-٢٨، المقريزي: اتعاظ، ج٣، ص ٤٣-٤٤.

(٦) العبادي: تاريخ البحرية، ج١، ص ١٣٣.

(٧) ابن القلانسي: تاريخ، ص ٢٦٢، سبط بن الجوزي: مرآة الزمان، ج٨، ص ٢٧، المقريزي: اتعاظ، ج٣، ص ٤٣-٤٤، عاشور: الحركة الصليبية، ج١، ص ٣٧٠-٣٧٢.

عاد إلى مصر[1].

وتلا سقوط طرابلس زحف الصليبيين على بيروت في ذلك العام، فسارع الأفضل إلى إرسال (١٩) سفينة حربية من الأسطول مشحونة بالرجال والسلاح والغلال، وقد تمكنت هذه السفن من الاستيلاء على بعض مراكب الصليبيين، وزودت المدينة بما تحتاج إليه من السلاح والغذاء، غير أن استنجاد الملك بلدوين الصليبي بالجنوبيين الذين ساهموا بـ ٤٠ مركبا، جعل المعركة البحرية العنيفة التي خاضتها السفن الفاطمية تنتهي لصالح الصليبيين، وبمقتل مقدم الأسطول الفاطمي وعدد كبير من رجاله، ثم الاستيلاء على المدينة[2].

وفي أواخر ذلك العام أرسل الأفضل أسطولا آخر للإقامة قبالة سواحل صور لحمايتها، غير أن هذا الأسطول لم يستطع تقديم المساعدة لمدينة صيدا التي حاصرها الأسطول الصليبي معززا بستين مركبا من الحجاج الصليبيين الذين استغلهم الملك بلدوين لحصار المدينة، فآثر أهلها تسليمها لهم[3].

أما مدينة صور فقد زحف إليها الصليبيون في سنة ٥٠٥هـ/١١١١م وحاصروها بشدة، ثم تركوها لاستماتة أهلها في الدفاع عنها، وخوفا من زحف صليبي آخر عليها، لجأ أهلها إلى تسليم مدينتهم إلى أتابك دمشق ظهير الدين طغتكين لحمايتها، فأرسل إليها فرقة من جنده الأتراك، وقد أقرت السلطة

---

(١) ابن الأثير: الكامل ج١٠، ص ٤٧٥-٤٧٦، ص ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٥، ص ١٨٠، عاشور: الحركة الصليبية، ج١، ص ٣٧٠-٣٧٢.

(٢) ابن القلانسي: تاريخ، ص ٢٦٨-٢٧١، ابن الأثير: الكامل، ج١٠، ص ٤٧٦-٤٨٠، ابن خلكان: وفيات، ج٥، ص ٣٠٠، سبط بن الجوزي: مرآة الزمان، ج٨، ق١، ص ٣١، المقريزي: اتعاظ، ج٣، ص ٤٥، وحول تفاصيل احتلال المدينة، انتظر: الصوري، تاريخ، ج١، ص ٥٣٨-٥٣٩، عاشور: الحركة الصليبية، ج١، ص ٥١٨-٥١٩.

(٣) ابن القلانسي :تاريخ، ص ٢٧٣، ابن الأثير: الكامل، ج١٠، ص ٤٧٩-٤٨٠، المقريزي: اتعاظ، ج٣، ص ٤١، الصوري: تاريخ، ج١، ص ٥٤٠-٥٤١.

الفاطمية هذه الخطوة في سبيل حماية المدينة من الصليبيين[1]، بل وأتم الأفضل استعداده لتجهيز الأسطول الذي أقلع في محرم سنة ٥٠٧٤هـ/١١١٣م متوجها إلى المدينة فوصلها في شهر صفر، وتمكن من تزويدها بكميات كبيرة من المؤمن[2]، وظل الأسطول مقيما بها حتى شهر ربيع الأول من ذلك العام ثم عاد إلى مصر[3]. وقد ظلت صور تحت حماية اتابك دمشق حتى وفاة الوزير الأفضل سنة ٥١٥هـ/١١٢١م وتولى المأمون البطائحي الوزارة، إذ لم يتردد هذا الوزير في إرجاع صور إلى حماية الفاطميين، بسبب شكاوي أهلها من والي الأتابك، فأرسل في سنة ٥١٦هـ/١١٢٢م الأسطول بالرجال وكميات كبيرة بالمؤن قدرت بـ ١٥ أف اردب من القمح، واعتقل والي المدينة وأرسله إلى مصر[4].

ظل الأسطول الفاطمي يشكل آنذاك الأمل الوحيد في إنقاذ المدن الساحلية من الصليبيين ففي سنة ٥١٧هـ/١١٢٣م، أرسل الاتابك ظهر الدين طغتكين صاحب دمشق، والأمير آق سنقر صاحب حلب رسلا إلى الخليفة الآمر يستحثانه على إرسال المزيد من السفن إلى سواحل الشام للعمل على استرجاع بعض المدن، فاهتم الخليفة بهذا النداء وأوعز إلى الوزير بإعداد السفن –لغياب أكثر السفن الرئيسية قبالة سواحل صور– وتزويدها بكل ما تحتاج إليه من الأسلحة والمؤن[5] وفي طريقه إلى سواحل الشام التقى هذا الأسطول مع أسطول للبنادقة انتهى بهزيمته وأسر بعض قطعه[6]، في حين عاد

---

(١) ابن القلانسي: تاريخ، ص ٢٩٠–٢٩١، ابن الأثير: الكامل، ج١٠، ص ٦٢٠.

(٢) ابن القلانسي: تاريخ، ص ٣٠٠، سبط بن الجوزي: مرآة الزمان، ج٨، ق١، ص ٤٥، المقريزي: اتعاظ، ج٣، ص ٥٢.

(٣) ابن القلانسي: تاريخ، ص ٣٠٠.

(٤) ابن القلانسي: تاريخ، ص ٣٢٩، ابن ميسر: المنتقى، ص ٩٣، سبط بن الجوزي: مرآة الزمان، ج٨، ق١، ص ١١١، المقريزي: اتعاظ، ج٣، ص ٩٦.

(٥) ابن ميسر: المنتقى، ص ٩٤–٩٥، المقريزي: الخطط، ج١، ص ٤٨٠–٤٨١.

(٦) ابن القلانسي: تاريخ، ص ٣٣٣، ابن الأثير: الكامل، ج١٠، ص ٦١٧.

الأسطول الرئيسي سالما، وقد غنم ثلاثة سفن صليبية ضخمة والعديد من الأسرى[1].

وبعودة الأسطول الفاطمي إلى مصر، طمع الصليبيون بمدينة صور، مما دفع واليها الجديد إلى إبلاغ الخليفة الآمر بخطورة الوضع، فقرر الخليفة إرجاع المدينة إلى حماية اتابك دمشق الذي لم يتردد في إرسال فرقة من جيشه إليها، إلا أن عدم إرسال الأسطول الفاطمي إلى المدينة ثانية، قد عجل بسقوطها بيد الصليبيين في ربيع الأول من عام ٥١٨هـ/١١٢٤م[2].

لقد مرت فترة طويلة توقف فيها النشاط العسكري للأسطول الفاطمي، بسبب انشغال الدولة في صراعات داخلية على الخلافة والوزارة في عهد الحافظ (٥٢٤-٥٤٥هـ/١١٢٩-١١٤٩م) حتى إذا تولى الخليفة الظافر الخلافة سنة ٥٤٥هـ/١١٥٠م عاد النشاط البحري للدولة، ورغم ضعف الدولة إلا أن أسطولها كان لا يزال قويا ويملك عددا كبيرا من القطع الحربية، يؤيد ذلك ما حدث سنة ٥٤٦هـ/١١٥١م، ففي تلك السنة جهز الوزير العادل بن السلار سبعين سفينة حربية بكامل عدتها، لغزو سواحل بلاد الشام، ردا على قيام الصليبيين بمهاجمة الفرما في العام السابق[3]، وقد تمكن هذا الأسطول من الإغارة على مراكز الصليبيين الساحلية في يافا، واستولى على العديد من مراكبهم وأحرق عددا آخر، ثم شن غارات مماثلة على مدن عكا وصيدا وبيروت وطرابلس، وعاد بعدها إلى مصر محملا بالغنائم[4].

---

(١) العبادي: تاريخ البحرية، ج١، ص ١٢٢.

(٢) ابن القلانسي: تاريخ، ص ٣٣٧، ابن الأثير: كامل، ج١٠، ص ٦٢٠-٦٢٢، ابن ميسر: المنتقى، ص ٩٦-٩٧، ابن خلدون: العبر، ج٥، ق١، ص ٤٢٣-٤٢٤، المقريزي: اتعاظ، ج٣، ص ١٠٧.

(٣) ابن ميسر: المنتقى، ص ١٤٥، النويري: نهاية الأرب، ج٢٨، ص ٣١٣، المقريزي: اتعاظ ٢٠٢/٣.

(٤) ابن القلانسي: تاريخ، ص ٤٨٨، أبو شامة: الروضتين، ج١، ق١، ص ٢٠٢، ابن ميسر: امنتقى، ص ١٤٥، النويري: نهاية الرب، ج٢٨، ص ٣١٣-٣١٤، المقريزي اتعاظ، ج٣، ص ٢٠٢.

أما مدينة عسقلان -وهي آخر معاقل الفاطميين في بلاد الشام- فقد حرص الخلفاء الفاطميون ووزراؤهم على إمدادها بالرجال والسلاح سنويا، لكونها منطلق العمليات العسكرية ضد الصليبيين[1]. حتى سقطت عام ٥٤٨هـ/١١٥٣م بعد أن حاصرها الصليبيون عدة مرات وكان الأسطول الفاطمي قد زود المدينة بكميات كبيرة من الأسلحة والمؤن[2]، غير أن شدة الحصار الذي فرضه الصليبيون على المدينة، وهدم جانب من سورها، دفع أهلها إلى طلب الأمان الذي تلاه الاستيلاء على المدينة في جمادي الأولى من العام[3].

وبسقوط عسقلان أصبح دور الأسطول الفاطمي موجها لشن الغارات الخاطفة على معاقل الصليبيين في سواحل بلاد الشام، ففي سنة ٥٥٠هـ/١١٥٥م أغار الأسطول الفاطمي على صور ردا على غارة الصقليين على تنيس[4] في العام السابق[5]، وفي هذه الغارة تمكن الأسطول الفاطمي من الاستيلاء على سفينة صليبية كبيرة، وقتل من فيها ونهبها ثم أحرقها، وفي طريق عودته استولى على مراكب لحجاج صليبيين، فقتل وأسر ونهب، ثم عاد

---

(١) ابن الأثير: الكامل، ج١١، ص ١٨٨، المقريزي: اتعاظ، ج٣، ص ٢٠٤، بردج: تاريخ الحروب الصليبية، ص ١٦٣.

(٢) ابن القلانسي: تاريخ، ص ٤٩٦، الصوري: تاريخ، ج٢، ص ٨١٢-٨١٣، بردج: تاريخ الحروب الصليبية، ص ١٦٣-١٦٤.

(٣) ابن الأثير: الكامل، ج١١، ص ١٨٨-١٨٩، سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان، ج٨، ق١، ص ٢١٤-٢١٥، المقريزي: اتعاظ، ج٣، ص ٢٠٦، وانظر: أبو الفداء: المختصر، ج٣، ص ٢٩، ابن خلدون: العبر، ج٥، ق١، ص ٤٤٠-٤٤١، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٥، ص ٢٩٩، ابن سباط: حمزة بن أحمد بن عمر (ت بعد ٩٢٦هـ): تاريخ ابن سباط، ٢ج، (تحقيق عمر عبد السلام تدمري جروس برس، طرابلس، ط١، ١٩٩٣)، ج١، ص ٩٨، (يشار إليه فيما بعد: ابن سباط: تاريخ)، الصوري: تاريخ، ج٢، ص ٨١٤-٨٢٠، بردج: تاريخ الحروب الصليبية، ص ١٦٤.

(٤) تنيس: جزيرة مصرية تقع بين الفرما ودمياط،ياقوت: معجم البلدان، ج٢، ص ٥١.

(٥) سعاد: البحرية، ص ٩٩.

بالغنائم والأسرى إلى مصر[١].

وفي سنة ٥٥٢هـ/١١٥٧م أرسل الوزير ابن رزيك الأسطول للإغارة على بيروت وعكا، فتمكن من أسر ٧٠٠ من الصليبيين وعاد بهم إلى مصر[٢]، وتشجع الوزير على إرسال المزيد من السفن إلى سواحل بلاد الشام، فشهدت سنة ٥٥٣هـ/١١٥٨م العديد من الغارات التي شنها الأسطول الفاطمي على تلك السواحل، والتي كانت حصيلتها أعداد كبيرة من الأسرى وكميات كبيرة من الغنائم[٣]، كما لم يتردد ابن رزيك في الاستجابة لطلب نور الدين زنكي، بإرسال الإسطول الفاطمي لمساندته في الإغارة على بعض مراكز الصليبيين في سواحل بلاد الشام سنة ٥٥٤هـ/١١٥٩م[٤].

بقي الأسطول الفاطمي قائما حتى تعرض للانهيار على يد الوزير شاور، الذي أمر بإحراق السفن الحربية المرابطة بدار صناعة مصر، لمنع تقدم الصليبيين إلى القاهرة في سنة ٥٦٤هـ/١١٦٨م فخسرت الدولة عددا كبيرا من سفنها الحربية[٥]، ولم تمض ثلاث سنوات حتى سقطت الدولة الفاطمية على يد صلاح الدين الأيوبي سنة ٥٦٧هـ/١١٧١م.

خامساً: الفرق المحلية:

أ. العربان:

استخدم الفاطميون عناصر محلية من العربان كقوة مساندة لجيوشهم في

---

(١) ابن القلانسي: تاريخ، ص ٥٠٩-٥١٠، أبو شامة: الروضتين، ج١، ق١، ص ٢٤٩-٢٥٣، ابن ميسر: المنتقى، ص ١٥٣، المقريزي: اتعاظ، ج٣، ص ٢٢٤.

(٢) ابن ميسر: المنتقى، ص ١٥٥، المقريزي: اتعاظ، ج٣، ص ٢٣٠.

(٣) ابن ميسر: المنتقى، ص ١٥٦-١٥٧.

(٤) المقريزي: اتعاظ، ج٣، ص ٢٣٦.

(٥) المقريزي: الخطط، ج١، ص ١٩٤، حسن إبراهيم: تاريخ الدولة الفاطمية، ص ٣٠٤.

بعض الحالات التي استدعت ذلك، ففي مصر شجع الفاطميون العرب على الاستقرار في العديد من أقاليمها(١)، وعلى الرغم من الثورات المتعددة التي قام بها العربان ضد الدولة(٢)، وانضمام أعداد كبيرة منهم إلى الخارجين على السلطة(٣) إلا أن الدولة الفاطمية استفادت من عربان مصر في كثير من المناسبات والأمثلة التالية توضح ذلك:

في سنة ٤٤٣هـ/١٠٥٠م استعانت الدولة الفاطمية بقبائل بني هلال وسليم(٤) للإطاحة بدولة بني زيري في المغرب، عندما خلع أميرها المعز بن باديس طاعة الفاطميين، فتدفقت هذه القبائل إلى المغرب، واستطاعت أن تلحق الهزيمة بجيش ابن باديس، وتعيث الفساد في تلك النواحي بين عامي ٤٤٣-٤٥٣هـ/١٠٥٠-١٠٦١م(٥).

وفي سنة ٤٦٩هـ/١٠٧٦م جمع أمير الجيوش بدر الجمالي أعدادا كبيرة

---

(١) المقريزي: البيان والأعراب عما بأرض مصر من الأعراب، (تحقيق عبد المجيد عابدين، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٦١م)، ص ١١٥-١٤٠ (مقدمة المحقق)، (يشار إليه فيما بعد: المقريزي: البيان).

(٢) انظر مثلا: المسبحي: أخبار مصر، ص ٤٠-٤١، ٢٠٣-٢٠٤، ابن ميسر: المنتقى، ص ٤، ١٣٥، ابن الأثير: الكامل، ج٩، ص ٥٧٨، المقريزي: اتعاظ، ج٢، ص ١٩٥، ٣١٦.

(٣) انظر مثلا: ابن ميسر: المنتقى، ص ٣٨، ٤٦، ٦٢، المقريزي: اتعاظ، ج٢، ص ٣٠٦، ٣٢١، ج٣، ص ١٤، سرور: مصر في عصر الدولة الفاطمية، ص ٧٦-٧٧.

(٤) كانت مواطن هذه القبائل في البداية حول الطائف، ثم أخذت تشارك في جيوش القرامطة لغايات السلب والنهب، حتى تم تهجيرهم إلى نواحي مصر الشرقية في عهد الخليفة الفاطمي العزيز بالله. المقريزي: البيان، ص ١١٦، (مقدمة المحقق)، سيد عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب الكبير، ج٢، ص ٦٦٦.

(٥) عن الغزوة الهلالية أو"تغريبة بني هلال"، انظر: ابن الأثير: الكامل، ج٩، ص ٥٦٦-٥٧٠، ابن ميسر: المنتقى، ص ١٢، ابن خلدون: العبر، ج٤، ق١، ص ١٣٠-١٣٢، ابن سعيد: النجوم الزاهرة، ص ٧٩-٨٠، المقريزي: البيان، ص ١٢٥-١٢٨، (مقدمة المحقق)، سيد عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب الكبير، ج٢، ص ٦٦٦-٦٧١.

Abun-Nasr: A history of the Maghrib, P.70..

من عربان مصر للمشاركة في الجيش الذي أعده لقتال اتسز بن أوق الخوارزمي الذي حاصر مصر في تلك السنة، وقد تمكن ذلك الجيش من إلحاق الهزيمة باتسز وأجبره على الرحيل[1].

وفي سنة ٤٩٨هـ/١١٠٤م حشد الوزير الأفضل بن بدر الجمالي جموعا كبيرة من العربان وأرسلهم مع الجيش الذي أعده بقيادة ابنه شرف المعالي إلى بلاد الشام لمساعدة الأمير طغتكين اتابك دمشق في محاربة الصليبيين[2]، ولما أغار الصليبيون على الفرماسنة ٥٠٩هـ/١١١٥م كلفت الدولة الفاطمية جماعات كبيرة من العربان لمطاردة الفرنجة ومحاربتهم[3]، وفي الحملات المتكررة التي أرسلها الوزير طلائع بن رزيك للإغارة على مواقع الصليبيين في غزة وعسقلان ونهر الأردن بين السنوات (٥٥٢-٥٥٣هـ/١١٥٧-١١٥٨م) كان للعربان مشاركة واضحة فيها[4].

ونظرا لدورهم القتالي، وحرصا على مكاسبهم المادية من وراء مشاركتهم العسكرية، لم يتردد هؤلاء العربان في الانضمام إلى الأمراء في صراعهم على الوزارة، وقد ظهر ذلك بوضوح في عصر الخليفة الحافظ (٥٢٤-٥٤٤هـ/١١٢٩-١١٤٩م)، عندما اشترك العربان إلى جانب الأمير رضوان بن ولخشي ضد الوزير بهرام الأرمني سنة ٥٣١هـ/١١٣٦م[5]، وفي صراعه أيضا مع الخليفة الحافظ سنة ٥٤٢هـ/١١٤٧م[6] كما استعان الوزير ابن مصال بالعربان لإخماد وتمرد الأمير ابن السلار -والي الإسكندرية الطامح إلى الوزارة- سنة

---

(١) ابن القلانسي: تاريخ، ص ١٧٦، ابن الأثير: الكامل، ج١٠، ص ١٠٣-١٠٤.

(٢) ابن ميسر: المنتقى، ص ٧٥، المقريزي: اتعاظ، ج٣، ص ٥٣.

(٣) المقريزي: اتعاظ، ج٣، ص ٥٣.

(٤) ابن ميسر: المنتقى، ص ١٥٥، المقريزي: اتعاظ، ج٣، ص ٢٣٠.

(٥) ابن ميسر: المنتقى، ص ١٢٤-١٢٥.

(٦) ابن ميسر: المنتقى، ص ١٢٧-١٣٨.

٥٤٤هـ/١١٤٩م[١].

أما بالنسبة لعربان الشام، فكانت أكثر القبائل التي لها علاقة مباشرة مع الدولة الفاطمية، وشاركت في دعم الجيش الفاطمي في أكثر من مناسبة هي قبيلة طيء التي أنشأت إمارة لها في جنوب بلا الشام[٢] بعد مساعدتهم للقرامطة في الاستيلاء على دمشق والرملة من الفاطميين سنة ٣٦٠هـ/٩٧٠م[٣].

ونظرا لتقلب سياسة الطائيين نحو الفاطميين وأعدائهم في بلاد الشام، فإنه لم تكن هنالك سياسة ثابتة للفاطميين في علاقتهم مع بني طيء، غير أنهم حرصوا في تلك العلاقة على تحقيق أمرين: الأول: الاحتفاظ بولاء القبيلة لتساعد الدولة عسكريا عند الحاجة، والثاني: العمل باستمرار على الحد من نفوذ الطائيين وتقليص قوتهم في بلاد الشام[٤].

وسيقتصر الحديث هنا على الجانب الأول المتعلق بالخدمات العسكرية التي قدمتها هذه القبيلة للدولة الفاطمية مقابل الإقطاعات والأموال التي منحت لأفرادها[٥] في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، والأمثلة التالية توضح ذلك:

في سنة ٣٦٣هـ/٩٧٣م حاصر القرامطة مصر بمساعدة آل الجراح من بني طيء، فلجأ المعز إلى استمالة الطائيين بمبلغ ١٠٠ ألف دينار، للتخلي عن

---

(١) ابن منقذ: الاعتبار، ص ٨-٩، ابن ميسر: المنتقى، ص ١٤٢-١٤٣، ابن خلدون: العبر، ج٤، ق١، ص ١٥٥-١٥٨، المقريزي: اتعاظ، ج٣، ص ١٩٥-١٩٧.

(٢) عن أصول الطائيين وجذور إمارتهم، انظر: مصطفى الحياري- الإمارة الطائية، ص ٣٤-٤٤.

(٣) ابن القلانسي: تاريخ، ص ١-٢، ابن سنان: أخبار القرامطة، ص ٢٢٦، ابن الأثير: الكامل، ج٨، ص ٦١٤-٦١٥، ابن أيبك: الدرة المضية، ص ١٣٥، الصفدي: الوافي، ج١١، ص ١٢٣، المقريزي: اتعاظ، ج١، ص ١٨٧-١٨٨، المقفى، ج٣، ص ٥٧.

(٤) الحياري: الإمارة الطائية، ص ٤٥-٤٦.

(٥) سيتم الحديث عن تلك المخصصات في الفصل الرابع من هذه الدراسة.

القرامطة أثناء القتال، مما أدى إلى هزيمة القرامطة[١].

وفي مطلع سنة ٣٦٧هـ/٩٧٧م تخلى الطائيون عن القائد التركي افتكين الذي ولي إمرة دمشق بمساندة أهلها، عندما استمالهم الخليفة العزيز بالأموال، فتخلوا عنه فهزم ثم أسروه، وأرسلوه إلى الخليفة[٢].

وفي سنة ٣٦٩هـ/٩٧٩م استعان الفاطميون بآل الجراح لإخراج بني عقيل من الشام مما أدى إلى اصطدامهم مع أبي تغلب بن حمدان، الذي كان يطمع في الاستيلاء على دمشق، فقام أمير طيء مفرج بن دغفل بن الجراح بمساعدة القائد الفاطمي الفضل بن صالح في قتاله بعد أن لجأ ابن حمدان إلى بني عقيل، وكانت نتيجة المعركة انهزام بني عقيل وقتل أبي تغلب[٣].

وفي سنة ٣٨١هـ/٩٩١م أيدت قبيلة طيء الأمير منجوتكين التركي في عصيانه ضد الفاطميين، لكنها تخلت عنه في إحدى المعارك مما أدى إلى هزيمته وأسره[٤].

وفي سنة ٣٨٧هـ/٩٩٧م أعد الحسن بن عمار جيشا كبيرا لقتال أعوان برجوان من الأتراك في دمشق، وقد شارك في هذا الجيش ثمانية آلاف فارس من

---

(١) ابن القلانسي: تاريخ، ص ٦-٨، ابن الأثير: الكامل، ج٨، ص ٦٣٨-٦٣٩، ابن كثير: البداية والنهاية، ج١١، ص ٢٧٦، ابن خلدون: العبر، ج٤، ق١، ص ١٠٤-١٠٥، الحياري: الإمارة الطائية، ص ٤٦، سرور: النفوذ الفاطمي، ص ٣٥-٣٦.

(٢) ابن القلانسي: تاريخ، ص ٣٣-٣٥، ابن أيبك: ا لدرة المضية، ص ١٧٩-١٨٨، ابن الأثير: الكامل، ج٨، ص ٦٦٠، الحياري: الإمارة الطائية، ص ٤٦، أمينة البيطار: موقف أمراء العرب بالشام والعراق من الفاطميين حتى أواخر القرن الخامس الهجري، دمشق، ١٩٨٠، ص ٩٨-٩٩، (يشار إليه فيما بعد: البيطار: موقف أمراء العرب).

(٣) ابن أيبك: الدرة المضية، ص ١٩٣-١٩٥، الحياري: الإمارة الطائية، ص ٤٦-٤٧، البيطار: موقف أمراء العرب، ص ٩٩-١٠٠.

(٤) ابن القلانسي: تاريخ، ص ٧٧-٧٨، الروذاوري: ذيل، ج٣، ص ٢٢٣، الحياري: الإمارة الطائية، ص ٤٧.

عرب الرملة لا يستبعد أن يكونوا من بني طيء[1].

وفي سنة ٣٩٦هـ/١٠٠٥م، استعان الخليفة الحاكم بقبائل كلب وطيء للمشاركة في إخماد ثورة أبي ركوة، حيث استدعى الأمير مفرج بن دغفل وثلاثة من أولاده وسيرهم مع العرب إلى القتال، بعد أن وزع عليهم الأموال والأسلحة[2].

أما حوادث القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، فقد اتسمت عموما بسوء العلاقة بين الفاطميين والطائيين، فإضافة إلى العديد من الحملات التي أرسلها الفاطميون لإخماد ثورات آل الجراح في جنوب بلاد الشام[3]، تخلى الطائيون وغيرهم من العرب -كبني كلب- عن الجيش الفاطمي في أكثر من مناسبة – كتخليهم عن القائد الفاطمي رفق الخادم في قتاله مع جيش حلب سنة ٤٤٢هـ/١٠٥٠م مما أدى إلى هزيمته[4]. وتخليهم عن القائد ناصر الدولة حسين بن حمدان في قتاله مع بني كلاب سنة ٤٤٨هـ/١٠٩٥م[5]، كما شاركوا في جيش القائد السلجوقي اتسز الخوارزمي، ومكنوه من الاستيلاء على دمشق سنة ٤٦٨هـ/١٠٧٥م والزحف إلى مصر، حتى تمكن الأمير بدر الجمالي من استمالتهم مما أدى إلى هزيمته[6].

ومنذ ذلك التاريخ تغيرت الأوضاع السياسية في بلاد الشام بسيطرة

---

(١) ابن ميسر: المنتقى، ص ١٨٠، المقريزي: اتعاظ، ج٢، ص ٩.

(٢) الأنطاكي: تاريخ، ص ٢٦٤-٢٦٥، ابن الأثير: الكامل، ج٩، ص ١٩٧-٢٠٣.

(٣) الحياري: الإمارة الطائية، ص ٤٧-٥٣.

(٤) ابن العديم: بغية الطلب، ج٨، ص ٣٦٤٧-٣٦٧٥، ابن الأثير: الكامل، ج٩،ص ٢٣٢، الحياري: الإمارة الطائية، ص ٥٣.

(٥) الحياري: الإمارة الطائية ص ٥٣.

(٦) ابن القلانسي: تاريخ، ص ١٧٩-١٨١، ابن الأثير: الكامل، ج١٠، ص ١٠٣-١٠٤، الحياري: الإمارة الطائية، ص ٥٤، البيطار: موقف أمراء العرب، ص ١٥٧.

السلاجقة والصليبيين على المنطقة، وتراجع الطائيين بالنسبة للدولة الفاطمية[1]، خاصة بعد أن فقد الفاطميون مدنهم في بلاد الشام بالتدريج، منذ أواخر القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي وحتى نهاية العصر الفاطمي.

ب. العامة:

لم يكن للعامة في مصر دور هام في الجيش الفاطمي، لسببين: الأول: أن الدولة الفاطمية جاءت بمذهب يخالف مذهب العامة، الثاني: اختلاف البنية العرقية للجيش الفاطمي عن البنية العرقية للعامة، إلا أن هذا الاختلاف، لم يمنع العامة من المشاركة في جيش الفاطميين من قبيل التعاطف مدفوعين بالحفاظ على مصلحتهم الخاصة، كاشتراكهم مع الجيش في قتال القرامطة الذين حاصروا مصر سنة ٣٦١هـ/٩٧١م[2].

كما تعاطف العامة في حالات أخرى كاشتراكهم مع المغاربة في صراعهم مع الأتراك سنة ٤٢٠هـ/١٠٢٩م[3]، ووقوفهم إلى جانب المستنصر بالله بمشاركتهم في الجيش الذي أعده لقتال الثوار بقيادة ناصر الدولة بن حمدان الخارج على طاعة الخليفة سنة ٤٦٣هـ/١٠٧٠م[4]، كما كان هناك مشاركة من العامة في بعض الأساطيل المرسلة خارج مصر كأطباء ومؤذنين وقرّاء[5].

---

(١) الحياري: الإمارة الطائية، ص ٥٥-٥٦.

(٢) المقريزي: الخطط، ج١، ص ١٣٧-١٣٨.

(٣) المقريزي: اتعاظ، ج٢، ص ١٧٧، عبد المنعم سلطان: المجتمع المصري، ص ٨٤.

(٤) المقريزي: الخطط، ج١، ص ٣٣٦، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٥، ص ٨٣، سلطان: المجتمع المصري، ص ٨٤-٨٥.

(٥) المقريزي: الخطط، ج١، ص ٤٨٢.

الفصل الرابع

إدارة الجيش ومرتباته

أولا : إدارة الجيش

١. الدواوين.

٢. الخزائن.

٣. الحواصل.

٤. إدارة فرق الجيش.

ثانيا: مرتبات الجيش

١. الاقطاعات.

٢. المخُصصات النقدية.

٣. المخُصصات العينية.



الفصل الرابع

إدارة الجيش ومرتباته

أولا: إدارة الجيش

١. (الدواوين)

أ. ديوان الجيوش والرواتب:

يمثل ديوان الجيش في التاريخ الإسلامي المؤسسة الإدارية ذات الإشراف المباشر على إدارة شؤون الجيوش الإسلامية وتنظيمها في مختلف الفترات، وفي العصر الفاطمي كان لديوان الجيوش والرواتب أهمية كبيرة في إدارة الجيش الفاطمي، وقد قُسم هذا الديوان إلى قسمين هما: ديوان الجيوش وديوان الرواتب[١].

❖ ديوان الجيوش:

وتتلخص مهمته في عرض الأجناد وقبولهم في الجيش، ومن ثم تسجيلهم وتقدير أعطياتهم واقطاعاتهم بموجب أوراق تحفظ فيه[٢].

---

(١) ابن الطوير: نزهة، ص ٨٢-٨٣، المقريزي: الخطط ج١، ص ٤٠١. أما القلقشندي فقد قَسّم هذا الديوان إلى ثلاثة أقسام (الجيوش، الرواتب، الاقطاع). صبح الأعشى، ج٣، ص ٥٢١. Gottschalk: Diwan, E12 (vol 2) p328.

(٢) ابن الطوير: نزهة، ص ٨٢-٨٣، القلقشندي: صبح الأعشى،ج٣، ص ٥٢١، المقريزي: الخطط، ج١، ص ٤٠١.

ويرأس هذا الديوان "صاحبا ديوان الجيش"، وهما المُستوفي[١] والكاتب، والمُستوفي أميرهما وله مكانة هامة بين موظفي الدولة، يقول ابن الطوير: "وفيه مُستوفٍ أصيل ولا يكون إلا مُسلماً، وله مرتبة على غيره بجلوسه بين يدي الخليفة، داخل عتبة باب المجلس، وله الطُرّاحة والمُسند وبين يديه الحاجب، وترد عليه أمور الأجناد، وله العرض والحلي والثياب"[٢]، ويشترط فيه "أن يكون عدلاً ومن أعيان الكتاب"[٣]، وهو المسؤول عن عرض الأجناد وخيولهم ويساعده في هذا العرض "نُقباء الأمراء"، يُبلغونه أحوال الأجناد من الحياة والموت والمرض والصحة[٤].

أما كاتب الجيش، فقد كان يهودياً في الغالب[٥] ويبدو أن عمله كان منوطاً بإثبات أحوال الأجناد، وما تقرر لهم من أعطيات واقطاعات، وقد أوضح ابن خلف مواصفات كاتب الجيش التي عليه أن يتحلى بها، كمعرفة الحساب، ومعرفة ما يتصل بالخيول من أوصاف وعيوب ومعرفة تامة بكافة أنواع الأسلحة وآلات القتال، لأن الخيول والأسلحة تُعرض مع الأجناد في هذا الديوان لإثباته في السجلات، كما على كاتب الجيش أن يتأكد من عدم استبدال الخيول والأسلحة بأسوأ منها، كما أكد على تحلي كاتب الجيش بالأخلاق الحميدة التي

---

(١) المُستوفي: وهو صاحب مجلس الديوان، يطالب المستخدمين بما يجب عليهم رفعه من الحساب في أوقاته ويُشرف على إعداد الجرائد المتضمنة للحسابات ومستوفياتها. ابن مماتي: قوانين الدواوين، ص ٣٠١.

(٢) ابن الطوير: نزهة، ص ٨٢، وانظر: المقريزي: الخطط، ج١، ص ٤٠١. اتعاظ، ج٣، ص ٣٣٩، Gottschalk: Diwan, E12, vol(2) p328.

(٣) ابن الطوير: نزهة، ص ٩٧، المقريزي: الخطط، ج١، ص ٤٨٣، ج٢، ص ١٩٣.

(٤) ابن الطوير: نزهة، ص ٨٣، القلقشندي: صبح الأعشى، ج٣، ص ٤٨٨، المقريزي: الخطط ج١، ص ٤٠١.

(٥) ابن الطوير: نزهة، ص ٩٧، المقريزي: الخطط، ج١ص ٤٨٣، ج٢، ص ١٩٣.

تُسهل عمله كحسن المداراة والتعفف عن الطمع مع الحزم وعزة النفس[١]. ويُساعد هذا الكاتب خازنان لأداء مهمته على الوجه الأكمل[٢].

❖ ديوان الرواتب[٣]:

ويبدو أن عمله قد اقتصر على إعداد السجلات الخاصة برواتب موظفي الدولة المدنيين والعسكريين، مع مراعاة ما يُستجد من الحياة والموت[٤] وذلك بالتعاون مع ديوان المجلس، حيث يُحرر الإستيمار الخاص بالرواتب عند صاحب ديوان المجلس[٥] وهذا التعاون بين الديوانين المذكورين يدعو إلى الاعتقاد بأن ديوان الرواتب قد أصبح فرعاً لديوان المجلس في فترة غير معروفة[٦].

ولاقتصار عمل هذا الديوان على تحرير سجلات الرواتب، فقد ترأسه كاتب ومعه عشرة من المُعينين[٧]، والمُبيّضين لتحرير تلك السجلات[٨].

---

(١) علي ابن خلف (ت٤٣٧هـ/١٠٤٥م)، مواد البيان (تحقيق حسين عبد اللطيف –جامعة الفاتح– ليبيا/١٩٨٢) ص ٨٢/٨١، يشار إليه فيما بعد (ابن خلف: مواد البيان).

(٢) ابن الطوير: نزهة، ص ٨٢، المقريزي: الخطط ج١ ص ٤٠١.

(٣) مصدر المعلومات عن هذا الديوان هو ابن الطوير الذي ترأسه في أواخر العصر الفاطمي.

(٤) ابن الطوير: نزهة، ص ٨٣، القلقشندي: صبح الأعشى، ج٣، ص ٤٨٩، المقريزي: الخطط ج١، ص ٤٠١، اتعاظ ج٣، ص ٣٣٩.

(٥) انظر الحديث عن ديوان المجلس فيما يلي.

(٦) المخزومي: علي بن أبي عمرو (ت٥٨٥هـ/١١٨٩م): المنهاج في علم خراج مصر (مخطوط)، ورقة ١١١أ، يشار إليه فيما بعد (المخزومي: المنهاج)، ابن الطوير: نزهة ص ١٥٩ (مقدمة المحقق).

(٧) المُعينين: جمع مُعين وهو كاتب بين بيدي المُستوفي يساعده في أعماله المختلفة. ابن مماتي: قوانين الدواوين ص ٣٠١..

(٨) ابن الطوير: نزهة ص ٨٣، القلقشندي: صبح الأعشى، ج٣ ص ٤٨٩، المقريزي: الخطط ج١، ٤٠١.

ب. ديوان المجلس:

يُعتبر ديوان المجلس أهم دواوين الدولة الفاطمية، فهو "أصل الدواوين قديماً وفيه علوم الدولة بأجمعها"[1] ومع ذلك لم تحدد المصادر بداية وجود هذا الديوان، لكن يظهر –كما يتصور أحد الباحثين- أنه تسمية جديدة لديوان الزمام، الذي كان موجودا في مطلع القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي[2]، وهو من الدواوين المختصة بالشؤون المالية في الدولة الفاطمية[3].

يُدير هذا الديوان مجموعة من الموظفين، يرأسهم صاحب الديوان "وهو المتحدث في الاقطاعات"[4] يعاونه فريق من الكُتاب –لا يُعرف عددهم- لكل واحد منهم مجلس مُفرد يساعده مُعين أو مُعينان[5]، وأهم هؤلاء الكتاب هو صاحب "دفتر المجلس"، ويكون عادة من الأستاذين المُحنكين[6] وهو كاتب مستقل يساعده كاتبان آخران لضبط ما يُسجل في دفتر المجلس[7].

ولهذا الديوان مهام كبيرة، إذ يختص بكل ما يتصل بالخليفة من أمور تنظيم القصر وتنظيم الأعياد والاحتفالات والنفقات ومنح الاقطاعات والانعامات والأعطية والكسوات، وتسجيل ما يرد من التحف والهدايا من الملوك والأمراء،

---

(١) ابن الطوير: نزهة ص ٧٤، القلقشندي: صبح الأعشى ج٣، ص ٤٨٩.

(٢) ابن الطوير: نزهة ص ٥٩ (مقدمة المحقق).

(٣) ابن عثمان النابلسي (ت٦٣٢هـ/١٢٣٤م): لمع القوانين المضية في دواوين الديار المصرية (تحقيق كلود كاهن، مكتبة الثقافة الدينية –القاهرة- ١٩٨٨) ص ٣٦، يشار إليه فيما بعد: النابلسي: لمع القوانين.

(٤) ابن الطوير: نزهة ص ٧٥، القلقشندي: صبح الأعشى، ج٣، ص ٤٩٠، المقريزي: الخطط، ج١، ص ٣٩٧، اتعاظ، ج٣، ص ٣٣٩.

(٥) ابن الطوير: نزهة، ص ٧٤، المقريزي: الخطط، ج١، ص ٣٩٧، اتعاظ، ج٣، ص ٣٣٨.

(٦) ابن الطوير: نزهة، ص ٧٥، القلقشندي: صبح الأعشى، ج٣، ص ٤٩٠، المقريزي: الخطط، ج١، ص ٣٩٧.

(٧) ابن الطوير: نزهة، ص ٧٦، المقريزي: الخطط، ج١، ص ٣٩٨.

وضبط ما يُنفق في الدولة لأمور المهمات المختلفة، بحيث يسجل كل ما سبق في دفتر المجلس[1].

ويتصل بالجيش الفاطمي من مهام هذا الديوان جانبان هما: الأول: منح الاقطاعات، والثاني: عمل استيمار (سجل) الرواتب، ومقاديرها لتصرف لمُستحقيها، ففيما يخص الاقطاعات، يتعاون هذا الديوان مع ديوان الاقطاع على ترتيب إجراءات منح الاقطاعات، بحيث إذا "خلت ناحية من ضامن أو كانت محلولة ورُسم اقطاعها عمل من ديوان المجلس...ارتفاعها (ناتجها) لأربع سنين، سنتين لغاية رخائها وسنتين لغاية جدبها بالتنقيب عن ذلك، ثم يُجمع هذا الارتفاع لهذه المدة، ويُعتمد أسعار ما يبيع منها من الغلات وغيرها، فإذا اجتمع مبلغ معلوم أخذ ريعه"[2].

أما الناحية الثانية: فهي عمل الاستيمار، والاستيمار سجل حكومي تفاصيل الرواتب الممنوحة لكافة موظفي الدولة من مدنيين وعسكريين[3]، وهذا السجل هو "دفتر المجلس" السالف الذكر، وقد جرت العادة أن يُعد هذا الاستيمار في نهاية شهر ذي الحجة من كل عام، بالتعاون مع ديوان الرواتب، بحيث يجتمع موظفو الديوانيين عند صاحب ديوان المجلس لتحرير الاستيمار[4]، حتى إذا تم إعداده، عُرض على الخليفة ليزيد من يزيد ويُنقص من يُنقص[5].

---

(١) ابن الطوير: نزهة، ص ٧٥، ومقدمة النزهة، ص ٥٩، المقريزي: الخطط، ج١، ص ٣٩٧–٣٩٨.

(٢) ابن الطوير: نزهة، ص ٨٦.

(٣) ابن الطوير:نزهة، ص ٧٥، ٧٦ هامش (١)، المقريزي: الخطط، ج١، ص ٣٩٨.

(٤) ابن الطوير: نزهة، ص ٧٦، ومقدمة المحقق، ص ٥٩، المقريزي: الخطط، ج١، ص ٣٩٨.

(٥) ابن الطوير: نزهة، ص ٧٦، المقريزي: الخطط، ج١، ص ٣٩٨.

ج. ديوان الجهاد "العمائر":

وهو الديوان المسؤول عن شؤون الأسطول الفاطمي، وقد ظهر هذا الديوان في فترة متأخرة من العصر الفاطمي، إذ استجده الوزير رضوان بن ولخشي في ذي القعدة من سنة ٥٣١هـ/١١٣٦م(١). ويبدو أن شؤون الإشراف على الأسطول قبل هذا التاريخ، كانت تقع على عاتق دُور صناعة الأسطول، فيما يخص صناعة السفن وتجهيزها، وعلى عاتق ديوان الجيش فيما يخص الإنفاق على رجال الأسطول ولما أنشأ هذا الديوان قام بالعملين السابقين بالتعاون مع دور الصناعة وديوان الجيش(٢).

وقد جُعل مَقر هذا الديوان في دار صناعة الأسطول في الفسطاط، بساحل مصر القديم على النيل، حيث الإشراف على الأسطول(٣) وقد احتوى هذا الديوان على جميع مستلزمات صناعة السفن من الأخشاب وغيرها، كما رتب فيه أعداد كبيرة من الصناع من حدادين ونجارين ومقلفطين(٤).

وعند الحديث عن ديوان الجهاد أو العمائر لابد من الحديث عن دُور صناعة الأسطول في العصر الفاطمي التي كانت تابعة لهذا الديوان، فقد تجلى أبرز اهتمام للفاطميين بالأسطول، بإنشاء دُور صناعة السفن والمراكب في الفسطاط والإسكندرية ودمياط(٥)، على أن صناعة السفن كانت مُقامَة في مصر قبل الفاطميين، وعليه فقد وجد الفاطميون دُور صناعة قائمة، ورثوها عمن

---

(١) ابن ميسر: المنتقى، ص ١٢٨، ١٢٩. المقريزي: اتعاظ، ج٣، ص ١٦٣.

(٢) القلقشندي: صبح الأعشى، ج٣، ص ٤٩٢. العبادي: تاريخ البحرية، ج١، ص ١٢٨.

(٣) ابن الطوير: نزهة، ص ٩٤، القلقشندي: صبح الأعشى، ج٣، ص ٤٩٢، المقريزي: الخطط، ج١، ص ٤٨٢، ج٢، ص ١٩٣، أيمن فؤاد: الدولة الفاطمية، ص ٢٨٩.

(٤) العبادي: تاريخ البحرية، ج١، ص١٢٨. والمقلفطين: هم المكلفين بدهان أرضيات السفن بالزفت منعا لتسرب الماء منها.

(٥) ابن الطوير: نزهة، ص ٩٥، المقريزي: الخطط، ج١، ص ٤٨٣، ج٢، ص ١٩٣.

سبقهم من الطولونيين والأخشيديين، واستفادوا منها، فمثلا كانت دار صناعة الإسكندرية مقامة منذ الفتح الإسلامي لهذه المدينة، وكانت تنتج السفن الحربية منذ منتصف القرن الأول الهجري/السابع الميلادي، ومثلها دار صناعة دمياط التي أنتجت السفن الحربية على مدى فترات زمنية طويلة، واستمرت كذلك في العصر الفاطمي[1].

ومن دُور الصناعة القديمة، دار صناعة الجزيرة (جزيرة الروضة)، التي تُعتبر أول دار لصناعة السفن أنشئت في فسطاط مصر، إذ بُنيت سنة ٥٤هـ/٦٧٣م، وازدهرت زمن أحمد بن طولون (ق ٣هـ/٩م)، فكانت تُصنع بها أعداد كبيرة من السفن الحربية، وبقيت كذلك إلى أيام الأخشيديين، حتى قام الأمير محمد بن طغج الأخشيد، بنقل الصناعة منها إلى ساحل فسطاط مصر سنة ٣٢٥هـ/٩٦٣م، وتحولت صناعة الجزيرة إلى ما عُرف آنذاك ببستان المخُتار[2]، وقُدِرَّ لهذه الدار أن تتسع في العصر الفاطمي، إذ قام الوزير المأمون البطائحي بتوسعتها في سنة ٥١٦هـ/١١٢٢م "وأضاف إليها دار الزبيب"[3]، كما قام الوزير المأمون بنقل "عمارة المراكب الحربية من الصناعة التي بجزيرة مصر إلى الصناعة بساحل مصر، وبنى عليها منظرة كانت باقية إلى آخر أيام الدولة العلوية"[4].

أما دار الصناعة الفاطمية المنشأ، فكانت دار صناعة المقس، وهناك روايتان أوردهما المقريزي حول بناء هذه الدار، الأولى نقلها عن ابن أبي طيء،

---

(١) العبادي: تاريخ البحرية، ج١، ص ٨٨.

(٢) المقريزي: الخطط، ج٢، ص ١٩٦-١٩٧. العبادي: تاريخ البحرية، ج١، ص ٨٩-٩٠.

(٣) المقريزي: الخطط، ج٢، ص ١٩٧.

(٤) ابن ميسر: المنتقى، ص ٩٣، المقريزي: الخطط، ج١، ص ٤٨٢. السيوطي: حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، (٢ج)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة البابي الحلبي – القاهرة- ١٩٦٧م)، ج٢، ص ٣٧٩، يشار إليه فيما بعد السيوطي: حسن المحاضرة.

وتَنسبُ بناءها إلى الخليفة المعز لدين الله الذي "أنشأ دار الصناعة التي بالمقس، أنشا بها ستمائة مركب لم يُرَ مِثلها في البحر على ميناء"[1]. والثانية نقلها عن المُسَبِّحي، وتَنسبُ بناءها إلى الخليفة العزيز بالله "الذي بنى دار الصناعة التي بالمقس، وعمل المراكب التي لم يُرَ مثلها فيما تقدم كِبراً ووثاقةً وحُسناً"[2].

ويبدو أن الرواية الأولى أقرب إلى الواقع، فقد كانت الدولة في حاجةٍ ماسةٍ إلى المزيد من السفن الحربية لمواجهة الأخطار التي واجهتها منذ البداية في مصر، خاصة وأن الفاطميين لم تكن تنقصهم الخبرة في هذا المجال، إضافة إلى أن المقريزي قد ذكر في حوادث شهر شوال سنة ٣٦٢هـ/٩٧٢م أن المعز لدين الله ركب إلى المقس وأشرف على صناعة الأسطول وقرأ عليه وعوذه، ثم عاد إلى قصره[3].

ويظهر أن الازدهار الذي شهدته هذه الدار في عهد العزيز بالله، جعل المُسَبِّحي يُرجع إنشاؤها إلى هذا الخليفة، خاصة وأنه يُقرِن روايته السابقة، بقصة إحراق الأسطول الذي أعده الخليفة العزيز في هذه الدار لإرساله إلى بلاد الشام لمحاربة الروم، وقد دلت هذه الحادثة على مدى تفوق هذه الدار، ففي سنة ٣٨٦هـ/٩٩٦م، أمر العزيز ببناء هذا الأسطول، ولما اكتملت صناعته نشب به حريق كبير، أتى فيه على خمسة من السفن الضخمة، ثم امتد إلى باقي السفن ولم يترك سوى ستة سفن فارغة، وقد وُجهت تهمة الحريق إلى جماعة من تجار الروم المقيميين في إحدى الدّور المجاورة لهذه الصناعة، وقد ثار العامة ورجال الأسطول ضد هؤلاء التجار وقتلوا عدداً كبيراً منهم، ونهبوا بضائعهم وحبسوا من تبقى منهم في هذه الدار، وقد اعترف الروم في وقت لاحق بأنهم أحرقوا الأسطول، فأمر الوزير عيسى بن نسطورس الصُنّاع بهذه الدار بصناعة

---

(١) المقريزي: الخطط، ج٢، ص ١٩٥، وانظر ج١، ص ٤٨٣.

(٢) المقريزي: الخطط، ج٢، ص ١٩٥.

(٣) المقريزي: اتعاظ، ج١، ص ١٣٩.

عشرين مركبا على وجه السرعة، وجُمعت الأخشاب من كل مكان حتى اضطر إلى إحضار الأخشاب الموجودة بحوزة التجار، وبعد شهر ونصف تم صناعة ستة سفن ضخمة، واكتمل بعدها إعداد الأسطول[1]، وأرسل إلى انطرسوس[2]، غير أن عاصفة قوية حطمت سُفنه ولم يَسلم منه إلا القليل[3].

ونظرا لاعتماد صناعة السفن على الخشب بصورة أساسية، فقد كان إحضار الأخشاب اللازمة لهذه الصناعة، من أولى اهتمامات الدولة الفاطمية، فاهتمت بزراعة أشجار السنط في العديد من أقاليم مصر، ووضعت عليها حراسا لحمايتها[4]، وكانت الأخشاب بعد قطعها وجمعها تُنقل إلى أماكن خاصة عُرفت بالحواصل، كحواصل البضاعة التي وَصفها ابن الطوير بأن"فيها ما لا يحصره إلا القلم من الأخشاب والحديد..وآلات الأساطيل من القنب والكتان والمنجنيقات"[5].

ولم يكن الخشب المحلي كافياً لصناعة السفن، فلجأت الدولة إلى استيراده من صقلية والمغرب[6]، كما كانت مدينة البُندقية مصدراً لأخشاب الأسطول الفاطمي في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، حتى اعترض الإمبراطور البيزنطي على ذلك لدى حاكم المدينة، الذي لم يسمح بتصدير إلا الأخشاب التي لا تصلح لبناء السفن، مما ترتب عليه تناقص كميات

(١) الأنطاكي: تاريخ، ص ٢٣٣-٢٣٥، المقريزي: الخطط، ج٢، ص ١٩٥-١٩٦.

(٢) انطرسوس: بلد على ساحل بلاد الشام، وهي آخر أعمال دمشق، ياقوت: معجم البلدان، ج١، ص ٢٧٠.

(٣) الأنطاكي: تاريخ، ص ٢٣٥.

(٤) المقريزي: الخطط، ج١، ص ١١٠، ماجد: نظم، ج٢، ص ٢٢٠، العبادي: تاريخ البحرية، ج١، ص ٩٣.

(٥) ابن الطوير: نزهة، ص ١٤١، القلقشندي: صبح الأعشى، ج٣، ص ٤٧٥، وعن وصف أخشاب السفن، انظر: ابن مماتي: قوانين الدواوين، ص ٣٦٥.

(٦) العبادي: تاريخ البحرية، ج١، ص ٩٤.

الخشب في مصر، حتى اضطر الوزير عيسى بن نسطورس إلى خلع سقوف دار الضرب، ونقلها إلى دُور الصناعة سنة ٣٨٦هـ/٩٩٦م، والاتجاه نحو العناية بالأخشاب المحلية، والمستوردة من أماكن أخرى(١).

ونظراً لضخامة الإنفاق على تصنيع السفن، فقد خُصصت لديوان الجهاد ميزانية مستقلة به، وكان بيت المال يَسدُ العجز الحاصل في هذه الميزانية في بعض السنوات التي ازداد فيها الإنفاق على الأسطول لسبب من الأسباب(٢).

أما إدارة هذا الديوان فكان يتولاها نائبان عن مُقدم الأسطول، يُشرفان على ما يتم في دُور الصناعة من تَصنيع وتخزين وما يَتم في هذا الديوان من توزيع النفقات النقدية والمخصصات العينية لرجال الأسطول(٣).

د. ديوان الاقطاع:

يُشرف هذا الديوان على ما يُقطع للأجناد من أراضي(٤)، ويبدو أن عمله قد اقتصر على حفظ السجلات المتعلقة بالاقطاع، دون التدخل في تغيير الاقطاعات أو الخيول الممنوحة للأجناد(٥)، أما إجراءات منح الاقطاعات فقد أشرف عليها ديوان المجلس -كما مر سابقا-.

هـ. ديوان الكُتاميين:

لا يُعرف متى أنشأ هذا الديوان، ولكن يبدو أنه من الدواوين المؤقتة التي

---

(١) آدم متز: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري (ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة، ٢ج، دار الكتاب العربي، بيروت-د.ت)، ج٢، ص ٤٢٩-٤٣٠، (يشار إليه فيما بعد: متز: الحضارة الإسلامية)، ماجد: نظم، ج٢، ص٢٢١.

(٢) ابن الطوير: نزهة، ص ٩٥، القلقشندي: صبح الأعشى، ج٣، ص ٤٩٢، المقريزي: الخطط، ج١، ص ٤٨٣.

(٣) ابن الطوير: نزهة، ص ٩٥، المقريزي: الخطط، ج١، ص ٤٨٣.

(٤) ابن الطوير: نزهة، ص ٨٦، القلقشندي: صبح الأعشى، ج٣، ص ٤٨٩.

(٥) المصادر السابقة ذاتها.

زالت بزوال سبب نشوئها[١]، ويظهر من التسمية أنه ديوان خاص بقبيلة كُتامة، أنشأ في فترة أوج نشاط هذه القبيلة في المئة سنة الأولى من عهد الفاطميين في مصر، ثم تلاشى هذا النشاط تدريجياً، فلم نعد نسمع عن وجود لهذا الديوان منذ النصف الثاني من القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي. كما أن الإشارات المتناثرة عن هذا الديوان[٢]، لا تُسعف في إعطاء تصور واضح عن طبيعة عمله أو المهام الموكلة إليه.

و. ديوان خزائن الكسوة:

يتضح من اسم هذا الديوان، أنه كان مسؤولا عن إدارة شؤون خزائن الكسوة[٣]، من حيث توفير الأقمشة اللازمة لتصنيع ملابس الخليفة وكبار رجال الدولة.

ز. ديوان الثغور:

يُشرف هذا الديوان على إدارة الثغور الفاطمية الهامة في كل من الإسكندرية ودمياط ونسترو[٤] والبرلس[٥] والفرما[٦]، ولا يوجد في المصادر ما يبين طبيعة عمل هذا الديوان أو يُفسر الدور الذي قام به في إدارة هذه الثغور.

---

(١) أيمن السيد: الدولة الفاطمية، ص ٢٥٨.

(٢) جميع الإشارات الواردة عن هذا الديوان تدور حول الأشخاص الذين تولوا هذا الديوان: أنظر: المُسبَحّي: أخبار مصر، ص ٥٠-٥١، ٥٢-٥٣، ١٧٣. المقريزي: اتعاظ، ج٢، ص ١٤١، ١٥٢، ١٥٦.

(٣) القلقشندي: صبح الأعشى، ج٣، ص ٤٩١، ماجد: نظم، ج٢، ص ٥٤-٥٥.

Gottschalk: Diwan, E12, Vol (2), p329.

(٤) نسترو: جزيرة منفردة بين دمياط والإسكندرية، باقوت: معجم البلدان، ج٥، ص ٢٨٤.

(٥) البرلس: بلدة على ساحل نيل مصر قرب البحر من جهة الإسكندرية، ياقوت: معجم البلدان، ج١، ص ٤٠٢.

(٦) ابن الطوير: نزهة، ص ٩٢، القلقشندي: صبح الأعشى، ج٣، ص ٤٩١. Gottschalk, Diwan, e12, Vol (2), p.329. والفرما: مدينة قديمة بين العريش والفسطاط شرقي تنيس، ياقوت: معجم البلدان ،ج٤، ص ٢٥.

ح. ديوان الكراع:

وهو الديوان المسؤول عن إدارة شؤون الاصطبلات، وما فيها من مختلف أصناف الدواب وما يُقدم لها من أعلاف وخدمات، إضافة إلى إشرافه على اصطبلات الحيوانات النادرة من الفيلة والزرافات وسائر أصناف الوحوش، ويعمل على إدارة هذا الديوان كاتبان ومُستوفي ومُعينان[١].

٢. الخزائن:

احتوى القصر الفاطمي الكبير في القاهرة على العديد من الخزائن[٢]، يَهُمنا منها ما يتعلق بالجيش الفاطمي، وهي خزائن (السلاح، الكسوة، السروج، البنود، التّجمُل، الخيم).

إن الاهتمام بالخزائن ومحتوياتها في العصر الفاطمي، ظاهرةٌ دلت على مبلغ عناية الخلفاء الفاطميين ببلاطهم من ناحية، وبتوفير مُستلزمات الجيش من الأسلحة والرايات والأعلام والألبسة والسروج والخيم من ناحية أخرى، والواقع أن هذه الخزائن كان مؤسسات قائمة بذاتها، فلم تكن أمكنة تخزين وترتيب بل أمكنة تصنيع، أنتجت ما يخزن بها لاستخدامه عند الحاجة، إذ كان يُنقل إليها المواد اللازمة لهذه الصناعة، ويُعين بها آلاف الصناع والعمال والفراشين، الذين أشرف عليهم طائفة من الأستاذين والحماة والمسؤولين[٣].

---

(١) القلقشندي: صبح الأعشى، ج٣، ص ٤٩٢.

(٢) ابن الطوير: نزهة، ص ١٢٦، المقريزي: الخطط، ج١، ص ٤٠٨.

(٣) ابن الطوير: نزهة، ص ١٢٦، ١٣٢، المقريزي: الخطط، ج١، ص ٤٠٨، ٤١٨، ٤٢٣، ماجد: نظم، ج٢، ص ١٣، زكي محمد حسن: الكنوز الفاطمية، (الكتاب السنوي الثامن للمجمع المصري للثقافة العلمية، القاهرة ١٩٣٨–ص ١٠٥–١٨٦)، ص ١٥٤، (يشار إليه فيما بعد: الكنوز الفاطمية).

أ. خزائن السلاح:

اهتم الخلفاء الفاطميون بتوفير الأسلحة لجيوشهم في مختلف الأوقات، فأنشأوا ما عرف بـ "خزائن السلاح"، التي قامت على تصنيع وتخزين الأسلحة من مختلف الأنواع والأحجام، وكان مقر هذه الخزائن في الأيوان الكبير بالقصر الفاطمي، في صدر الشباك الذي يجلس فيه الخليفة(١).

لم تُشر المصادر إلى الخليفة الذي أنشأ خزائن السلاح في مصر، مما يُشعر بوجودها منذ بداية انتقال الفاطميين إليها، بدليل اكتشاف خزانة للسلاح سنة ٤٠٥هـ/١٠٦٦م، تعود إلى عهد الخليفة العزيز بالله مليئة بكميات كبيرة من الأسلحة، اكتشفها بعض الثوار على الخليفة المستنصر بالله حين نهبوا خزائن القصر في تلك السنة(٢).

ولما كانت هذه الخزائن لا تقتصر على تخزين السلاح، بل تقوم على تصنيعه أيضا، فقد احتوت على عدد من الصناع والمُستخدمين "يستدعون ما تحتاج إليه من خشب وحديد وعقب وسلوخ وأصباغ وآلات يعملون فيها ما يؤمرون به من آلات السلاح على اختلاف أوصافها وتباين أصنافها"(٣)، إضافة إلى عدد كبير من العمال لإصلاح الأسلحة المخزنة والعائدة من القتال والمواكب، وتعهدها بالمسح والدهان والصقل والجلاء والشحذ والتثقيف،...الخ، مما تحتاج إليه الأسلحة لضمان فاعليتها وجاهزيتها للقتال(٤).

وقد بلغ من اهتمام الخلفاء بخزائن السلاح أن الخليفة كان يتعهدها بالزيارة المستمرة والتفقد الدائب، فيطوف بها، ويتأمل محتوياتها، ويُكَرم

---

(١) المقريزي: الخطط، ج١، ص ٤٠٦-٤٠٧.

(٢) المقريزي: الخطط، ج١، ص ٣٩٧، ٤١٧.

(٣) ابن مماتي: قوانين الدواوين، ص ٣٥٤.

(٤) حسن: الكنوز الفاطمية، ص ١٥٠.

مُستخدميها وصُناعها[١].

أما محتويات هذه الخزائن فقد أتت المصادر على وصفها بكل دقة، فكانت تحتوي على ألبسة الجنود من الكزاغندات[٢] المُغشاة بالديباج، والجواشن[٣] المبُطنة والمُذهبة، والزرديات[٤] بأنواعها، والخُوذ المُحلاة بالفضة، إضافة إلى السيوف بكافة أنواعها وحجومها ومسمياتها، والرماح القَنا والقِنطاريات[٥] المدهونة والمُذهبة، وجميع أنواع القِسي (اليَد، الرِجل، الرِكاب، اللَولب) وما يتصل بها من مختلف النُصول والنِشاب، كما احتوت على أعمدة حديدية تسمى المُستوفيات أو اللُتت أو الدَبابيس، وما يتصل بالخيول من لباس ودروع (التَجافيف)، إضافة إلى مختلف آلات الحصار والقتال البحري من المنجنيقات والسلالم، وما يتصل بها من مقذوفات نفطية ومواد أخرى[٦].

أما توزيع الأسلحة من هذه الخزائن، فكان يتم في المناسبات التي تستدعي حمل السلاح، كالخروج إلى القتال، أو حمل السلاح لاستعراضه في مواكب الخليفة المختلفة، حيث يُوزع السلاح على حواشي الخليفة وطوائف الجيش

---

(١) ابن الطوير: نزهة، ص ١٣٤–١٣٥، المقريزي: الخطط، ج١، ص ٤١٧–٤١٨. حسن: الكنوز الفاطمية، ص ١٤٨–١٤٩.

(٢) الكزاغندات: جمع كزاغند، وهو لفظ فارسي يعني: لباس على شكل معطف قصير يلبس فوق الزردية ويصنع من القطن أو الحرير: ابن الطوير، نزهة ص ١٣٣، هامش (٢).

(٣) الجواشن: وهي الدروع: الرسوسي: تبصرة أرباب الألباب، ص ١٤.

(٤) الزرديات: وهي من أسماء الدروع –الطرسوسي– تبصرة، ص ١٤.

(٥) القنا والقنطاريات: نوع من الرماح يصنع من الخشب الزان أسنتها قصيرة وعريضة كالبلطة: ابن الطوير: نزهة، ص ١٥١، هامش (٢).

(٦) ابن الطوير: نزهة، ص ١٣٣–١٣٤، الهروي: التذكرة الهروية، ص ١٣، القلقشندي: صبح الأعشى، ج٣، ص ٤٧٣، المقريزي: الخطط، ج١، ص ٤١٧–٤١٨، حسن: الكنوز الفاطمية، ص ١٤٦–١٤٩، ماجد: نظم ج٢، ص ٢٠–٢١.

المشاركة، ثم تُعاد الأسلحة إلى الخزائن حين الانتهاء منها(١).

ب. خزانة الكِسوة:

أُنشئت هذه الخزانة في عهد الخليفة المعز لدين الله، وكانت تسمى في عهده "دار الكِسوة"(٢) وقد خُصصت –كما يتضح من اسمها- لتصنيع وتخزين الألبسة المختلفة، سواء المُخصصة للخليفة وحاشيته، أو تلك التي يُنعم بها الخليفة على أمراء الدولة وموظفيها في العديد من المناسبات، صيفاً وشتاءً(٣).

وقد احتوت هذه الخزانة على قِسمين هما:

١. خزانة الكِسوة الظاهرة(٤):

ويتولاها أحد أكبر حواشي الخليفة من الأستاذين أو غيرهم(٥) وفي هذه الخزانة "من الحواصل ما يَدلُّ على إسباغ نِعم الله تعالى على من يشاء من خلقه من الملابس الشرُوب(٦) والخاص الدَبيقي(٧) المُلونة رِجالية ونِسائية، والديباج الملونة والسِقْلاطون"(٨).

---

(١) ابن الطوير: نزهة، ص ١٤٧–١٤٨، ١٦٨، القلقشندي: صبح الأعشى، ج٣، ص ٤٧٠–٤٧١، المقريزي: الخطط، ج١، ص ٤٤٦–٤٨٤، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٤، ص ٧٩. حسن: الكنوز الفاطمية، ص ١٤٩–١٥٠.

(٢) المقريزي: الخطط، ج١، ص ٤٠٩ (ابن أبي طيء)، ماجد: نظم، ج٢، ص ١٤.

(٣) المقريزي: الخطط، ج١، ص ٤٠٩.

(٤) يرجح أيمن فؤاد السيد أن هذه الخزانة كانت تسمى خزانة الخاص أيضا، لأن المصادر لم تفرد حديثا خاصا بخزانة الخاص التي ورد ذكرها في المصادر، ابن ميسر: المنتقى، ص ٤، هامش (٩).

(٥) ابن الطوير: نزهة، ص ١٢٨، المقريزي: الخطط، ج٢، ص ٤١١.

(٦) الشرُوب: جمع شرب وهو ما رَق من الكتان، ويدل أحيانا على نوع من الحرير، ابن الطوير: نزهة، ص ١٢٩، هامش (٥).

(٧) الدَبيقي: نوع من الأقمشة الحريرية التي تصنع في دَبيق، وهي بلدة قديمة كانت واقعة على بحيرة مَنزلة بالقرب من تِنيس في مصر –القلقشندي: صبح الأعشى، ج٣، ص ٤٧٢، هامش (٣).

(٨) ابن الطوير: نزهة، ص ١٢٨، المقريزي: الخطط، ج١، ص ٤١٣. وانظر: القلقشندي: صبح الأعشى، ج٣، ص ٤٧٢، ماجد: نظم، ج٢، ص ١٥–١٦. والسِقْلاطون: نوع من الملابس

وإلى هذه الخزانة يُحمل ما يُصنع من ألبسة خاصة في دُور الطراز، بكل من تنِيس[1] ودِمياط والإسكندرية[2] ويعملُ في هذه الخزانة عدد كبير من الخياطين، يُشرف عليهم مُقدم يسمى "صاحب المقص" ويتلخص في تفصيل وخياطة الألبسة، بحسب الأوامر التي تُوجه إليهم[3]، وقد خص الخليفة هذه الدار بالعناية البالغة فكان يتعهدها بالزيارة المستمرة، ويَتفقد ما يُجهز بها للمواكب الرسمية، بحيث يَطّلع فيها على كل ما يتصل بالألبسة الرسمية له ولكبار رجال الدولة في اليوم السابق لإعداد الموكب الرسمي[4].

٢. خزانة الكِسوة الباطنة:

وهي خاصة بلباس الخليفة[5]، تُشرف عليها امرأة تدعى "زَيْن الخُزّان"، يَعمل تحت إشرافها ثلاثون جارية، وفي هذه الخزانة يُبدلُ الخليفة ملابسه يومياً ولا يلبس إلا منها[6].

لقد تعرضت هذه الخِزانة لنهب الثوار في عهد المستنصر بالله بقيادة الأمير ناصر الدولة بن حمدان، ومن الوصف الذي تركه المقريزي[7] للمحتويات التي نُهبت من هذه الخِزانة ما يدل على مبلغ عناية الخلفاء بهذه الخِزانة من

=

الحريرية الفاخرة الملونة بالألوان القرمزية، وهو اسم بلد من بلاد الروم تُصنع منه تلك الملابس وتنسب إليه. القلقشندي: صبح الأعشى، ج٣، ص ٤٧٢، هامش (٤).

(١) تنِيس: جزيرة مصرية بين الفرما ودمياط، ياقوت: معجم البلدان، ج٢، ص ٥١.

(٢) ابن الطوير: نزهة، ص ١٢٨، القلقشندي: صبح الأعشى، ج٣، ص ٤٧٢، المقريزي: الخطط، ج١، ص ٤١٣، ماجد: نظم، ج٢، ص ١٦.

(٣) ابن الطوير: نزهة، ص ١٢٨، المقريزي: الخطط، ج١، ص ٤١٣.

(٤) ماجد: نظم، ج٢، ص ١٦.

(٥) ابن الطوير: نزهة، ص ١٢٩، القلقشندي: صبح الأعشى، ج٣، ص ٤٧٢، المقريزي: الخطط، ج١، ص ٤١٣.

(٦) ابن الطوير: نزهة، ص ١٢٩، المقريزي: الخطط، ج١، ص ٤١٣، ماجد: نظم، ج٢، ص ١٦.

(٧) المقريزي: الخطط، ج١، ص ٤١٣.

ناحية، وشَغَفهِم بإنتاج الملابس الفاخرة والثمينة لهم ولكبار رجال الدولة وقادة الجيش من ناحية أخرى.

وقد استمرت هذه الخزانة حتى سقوط الدولة الفاطمية، ففي سنة ٥٦٧هـ/١١٧١م كُشِفت حواصل الخِزانة، فعثر على أكثر من مائة صندوق مليئةً بمختلف الملابس والحِلي التي لم تُقدر بثمن[١].

ج. خزانة السروج:

وهي إحدى قاعات القصر الكبيرة[٢] خُصصت لتخزين كل ما يتصل بالخيول من آلات وأدوات يأتي في مقدمتها السُروج (وعددها ألف سرج للخليفة وأرباب الرتب)[٣]،واللُجم والقلائد والأطواق والقرابيس[٤] والعماريات[٥] والبَرادع[٦]، وكلها أما مُذهبة أو مُرصعة بالجواهر والفضة والنقوش المختلفة[٧]، وتُوزع على مُستحقيها من حواشي الخليفة وأمراء الدولة أيام المواكب[٨].

ويعمل في الخِزانة عدد كبير من الصّاغة والمركّبين والخّرازين "دائمين لا

---

(١) المقريزي: الخطط، ج١، ص ٤١٣.

(٢) ابن الطوير: نزهة، ص ١٣٤، القلقشندي: صبح الأعشى، ج٣، ص ٤٧٣، المقريزي: الخطط، ج١، ص ٤١٨.

(٣) بلغت محتويات الخزانة من السروج في عهد المستنصر بالله خمسة آلاف سرج، وزعها على الثوار الأتراك أثناء الشدة العظمى، المقريزي: الخطط، ج١، ص ٤١٨.

(٤) القرابيس: جمع قربوس، وهو صنو السرج، ابن منظور: لسان العرب، ج٦، ص ١٧٢.

(٥) العماريات: وهي الهوادج: ابن الطوير: نزهة، ص ١٤٩، هامش (٧).

(٦) البرادع: جمع بردعة: وهي الحِلس الذي يلقى تحت الرِحل، ابن منظور: لسان العرب، ج٨، ص ٨.

(٧) ابن الطوير: نزهة، ص ١٣١، القلقشندي: صبح الأعشى، ج٣، ص ٤٧٣، المقريزي: الخطط، ج١، ص ٤١٨، ماجد: نظم، ج٢، ص ٢٢.

(٨) القلقشندي: صبح الأعشى، ج٣، ص ٤٧٣.

يفترون عن العمل"[١]، إضافة إلى الشدّادين المكلفين بإحضار ما ينقص من السروج في أيام المواكب، ولهذه الخزانة "حام" يتولى الإشراف على شؤونها، ويستقبل الخليفة عند حضوره لتفقدها، وقد جرت العادة أن يوزع الخليفة –عند حضوره للخِزانة– عشرين ديناراً لهذا الحامي ليفرقها على مستخدمي الخزانة[٢]، كما يتولى هذا الحامي إخراج ما يخص الخليفة من السروج وآلاتها في المواكب المهمة، يساعده في ذلك "مشارف"[٣] من العدول[٤].

د. خزانة البنود:

أنشأت هذه الخزانة في عهد الظاهر لإعزاز دين الله[٥]، وكان ملاصقةً للقصر الكبير فيما بين قصر الشوك وباب العيد[٦]، وسبب تسميتها بالبنود، لأنها خُصصت لتصنيع وتخزين الرايات والأعلام وبعض الأسلحة، وقد رَتب الخليفة الظاهر لإعزاز دين الله ثلاثة آلاف صانع من مختلف المهن للعمل في هذه الخزانة[٧].

ومن هذه الخزانة تخرج البنود المُخصصة للأمراء وخواص الخليفة

---

(١) ابن الطوير: نزهة، ص ١٣٢، المقريزي: الخطط، ج١، ص ٤١٨.

(٢) ابن الطوير: نزهة، ص ١٣٢، المقريزي: الخطط، ج١، ص ٤١٨.

(٣) المُشارف: من الوظائف الديوانية الهامة، ويكون تحت حوطة هذا الموظف كل ما يُستخرج للديوان، ابن مماتي: قوانين الدواوين، ص ٣٠٢.

(٤) ابن الطوير: نزهة، ص ١٥٢، المقريزي: الخطط، ج١، ص ٤٤٧، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٤، ص ٨٢.

(٥) المقريزي: الخطط، ج١، ص ٤٢٣، وانظر: ج١، ص ٣٥٥، حسن: الكنوز الفاطمية: ص ١٥٤.

(٦) ابن ميسر: المنتقى، ص ٥، هامش (١٠)، والمقريزي: الخطط، ج٢، ص ٣٦، ١٨٥٨.

(٧) المقريزي: الخطط، ج١، ص ٤٢٣، حسن: الكنوز الفاطمية، ص ١٥٤، وقد بلغ الإنفاق على هذه الخزانة في تلك الفترة بين ٧٠,٠٠٠ – ٨٠,٠٠٠ دينار. المقريزي: الخطط، ج١، ص ٤٢٤، ماجد: نظم، ج٢، ص ٢٥.

لحملها في مواكب الخليفة المختلفة(١).

وقد ظلت هذه الخزانة قائمة بهذه الوظيفة حتى السادس من صفر سنة ٤٦١هـ/١٠٦٨م، ففي ذلك اليوم، وهب الخليفة المستنصر محتويات هذه الخزانة للأمير سعد الدولة المعروف بسلام عليك(٢) في أيام الشدة العظمى، وأثناء نقل المحتويات ليلا سقط شمع مشتعل من أحد الفراشين على أرض الخزانة تسبب في حريق كبير أتى على عشرات الألوف من قِرَبْ النفط والسيوف والرماح والنشاب وقُضُب الفضة وكميات كبيرة من الثياب المُذهبة والرايات والسروج واللُجَمْ(٣).

ومنذ ذلك التاريخ تحولت خزانة البنود إلى سجنٍ لاعتقال أمراء الدولة المغضوب عليهم حتى نهاية العصر الفاطمي(٤)، واستمرت كذلك في العصرين الأيوبي والمملوكي(٥).

هـ. خزانة التّجمُل:

وهي تُشكل قسماً من خِزانة السلاح، واسُتخدمت لتخزين أنواع محددة من الأسلحة شملت الألوية والقُضُب الفضة والعُماريات، التي تصرف للوزير والأمراء في المواكب(٦)، وقد وصف القلقشندي ما يخرج من هذه الخِزانة حين

(١) ابن الطوير: نزهة، ص ١٥٠-١٥٢، المقريزي: الخطط، ج١، ص ٤٤٧، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٤، ص ٨١.

(٢) لم أجد ترجمة لهذا الأمير.

(٣) المقريزي: الخطط، ج١، ص ٤٢٣-٤٢٤، اتعاظ: ج٢، ص ٢٨٠.

(٤) ابن الطوير: نزهة، ص ٣٦، ٤٠، ابن ميسر: المنتقى، ص ٥. القلقشندي: صبح الأعشى، ج٣، ص ٣٥٤، المقريزي: الخطط، ج١، ص ٤٢٤، ج٢، ص ١٩، ٣٦، ٦٣، ١٨٨.

(٥) المقريزي: الخطط، ج١، ص ٤٢٤.

(٦) ابن الطوير: نزهة، ص ١٣٥، القلقشندي: صبح الأعشى، ج٣، ص ٣٧٤، ماجد: نظم، ج٢، ص ٢١.

الإعداد للمواكب بما يلي: "أربعمائة راية مرقومة الأطراف وبأعلاها رمامين الفضة المُذهبة، وعِدة من العماريات، وهي شبه الكجاوات[1] ملبسة بالحرية الأحمر والأصفر والقرمزي وغير ذلك، وعليها كوابيج الفضة المذهبة، لكل أمير من أصحاب القضب منها عمارية، ويختص لواءان على رمحين منقوشين بالذهب غير منشورين يكونان أمامه في المواكب"[2].

و. خزانة الخِيّم:

أعدت هذه الخزانة لتخزين وتجهيز الخيم والمضارب ونحوها، مما يوزع على أفراد الجيش حين الخروج للقتال، وقد فَصّل المقريزي في محتوياتها والأقمشة التي صُنعت منها الخيم عند حديثه عن تعرض هذه الخزانة لنهب الثوار الأتراك في خلافة المستنصر بالله سنة ٤٥٩هـ/١٠٦٦م[3].

٣. الحواصل:

أ. حواصل المواشي (الاصطبلات):

قامت الاصطبلات على خدمة جزء هام مُتعلق بالجيش الفاطمي، وهو دواب الدولة من الخيول والبغال وما في معناها، مما هو مُرتب للخليفة وكبار رجال الدولة وقادتها[4]، وقد اشُتهر من الاصطبلات الفاطمية، اثنان هما اصطبل الطارِمة الذي كان يقع قبالة قصر الشوك، واصطبل الجمّيزة الواقع في حارة زويلة[5].

وفي كل من هذه الاصطبلات خمسمائة رأس من الخيول، منها ما هو

(١) الكجاوات: لفظ فارسي بمعنى المحمل أو المحفة، ابن الطوير: نزهة، ص ١٤٩، هامش (٨).

(٢) القلقشندي: صبح الأعشى، ج٣، ص ٤٧٠-٤٧١.

(٣) المقريزي: الخطط، ج١، ص ٤١٨-٤٢٠.

(٤) ابن الطوير: نزهة، ص ١٣٥، القلقشندي: صبح الأعشى، ج٣، ص ٤٧٤.

(٥) أن الطوير: نزهة، ص ١٣٥-١٣٦، المقريزي: الخطط، ج١، ص ٤٤٤.

خاص بالخليفة ومنها ما هو مُخصص لأرباب الرتب والمستخدمين في الدولة، كما يخرج من هذه الاصطبلات الخيول للمشاركين في مواكب الخليفة المختلفة، من مستخدمي الدولة وقادتها[1].

أما عن إدارة هذه الاصطبلات، فقد كان لكل منها فريق خاص من الموظفين، فكان لكل ثلاثة رؤوس من الخيول "سائس" مُلازم لها، ولكل عشرين من هؤلاء السواس، عريف يشرف عليهم ويراقب ما يتسلمونه من خزانة السروج، إضافة إلى وجود "شَدّاد" لتسيير الخيول، ورائض له النظر والإشراف على جميع ما يتعلق بموظفي هذه الاصطبلات[2].

ب. حواصل الغلال: الأهراء السلطانية وشُون الغلال:

تُعتبر المُخصصات العينية من الغِلال والحبوب أهم ما حرص عليه الخلفاء الفاطميون، وقد قامت الأهراء السلطانية التي توزعت في عدة أماكن في القاهرة، بتخزين كميات كبيرة من الغلات تحت إشراف حُماة ومُشارفين من الأمراء، وكانت المراكب تنقل أصناف الغِلال إلى السواحل ليقوم الحمّالون بنقلها إلى الأهراء، لتوزع بعد ذلك على أفراد الجيش وأرباب الخدم والصدقات في الأوقات المخصصة لذلك[3].

أما شون الغلال، فكانت عبارة عن شونتين مُعدتين لتخزين الأتبان، تحت إشراف حامٍ من الأمراء يساعده في ذلك مُشارف وعامل، وتزود هذه الشؤون

---

(١) ابن الطوير: نزهة، ص ١٣٦-١٣٧، المقريزي: الخطط، ج١، ص ٤٤٤. وقد ذكر القلقشندي أن عدد الخيول في كل اصطبل بلغ ألف رأس، نصفها مخصص لركوب الخليفة الآخر لمستخدمي الدولة، صبح الأعشى، ج٣، ص ٤٧٤.

(٢) ابن الطوير: نزهة، ص ١٣٦-١٣٧، القلقشندي: صبح الأعشى، ج٣، ص ٤٧٤-٤٧٥، المقريزي: الخطط، ج١، ص ٤٤٤.

(٣) ابن الطوير: نزهة، ص ١٣٨-١٤٠، ماجد: نظم، ج٢، ص ٢٦-٢٧.

الاصطبلات بالأعلاف الخاصة بالخيول والدواب[1].

٤. إدارة فرق الجيش:

أ. إدارة خواص الخليفة:

لم تتحدث المصادر عن إدارة خواص الخليفة، إلا فيما يخص صبيان الركاب وصبيان الخاص وصبيان الحُجر، وفيما يتعلق بصبيان الرِكاب أو الرِكابية، فقد أشرف عليهم اثنا عشر مُقدماً من الأمراء[٢]، يرأسهم مُقدم المُقدمين، ويكون على يمين الخليفة أثناء سيره في المواكب، لذلك أُطلق عليه "صاحب الرِكاب اليمين"[٣]، كما كان لصبيان الرِكاب أيضاً نقباء توكل إليهم إيصال أخبار الصبيان وأحوالهم إلى الخليفة[٤]. ولصبيان الخاص عشرون مُقدماً يقومون بنفس المهام الموكلة لمقدمي صبيان الرِكاب[٥].

أما فيما يتعلق بصبيان الحُجر، فكانت وظيفة "زِمام صِبيان الحُجر"، التي أُسندت لأحد الأستاذين غير المحنكين، الإدارة المسؤولة مباشرةً عن هذه الفئة[٦].

ويتولى هذا الزِمام إدارة حُجرات صبيان الحُجر، والإشراف عليهم، فيبيت عندهم في حُجرهم لمراقبة حركاتهم وسكناتهم، ومُعاقبة المعتدين منهُم، وقد وَرد في ترجمة الأمير أنوشُتكين الدَزْبري، الذي رُبَّي أصلاً في الحُجر، ما يشير إلى

---

(١) أن الطوير: نزهة، ص ١٤٠-١٤١، المقريزي: الخطط، ج١، ص ٤٤٥.

(٢) ابن الطوير: نزهة، ص ١٢٤، القلقشندي: صبح الأعشى، ج٣، ص ٤٨٠. المقريزي: الخطط، ج١، ص ٤٠٢.

(٣) المقريزي: الخطط، ج١، ص ٤٠٢.

(٤) ابن الطوير: نزهة، ص ١٢٤، القلقشندي: صبح الأعشى، ج٣، ص ٤٨٠، المقريزي: الخطط، ج١، ص ٤٠٢.

(٥) المقريزي: الخطط، ج١، ص ٤١٠-٤١٢.

(٦) القلقشندي: صبح الأعشى، ج٣، ص ٤٨٢.

دَور هذا الزِمام، إذ جعل انوشُتكين "في الحُجرة فقَهرَ من بها من الغِلمان، وطال عليهم باليقظة والذكاء، وجعل يلقبُ كل غلامٍ بما يليق به، فشكوه إلى المتولي (الزِمام)، فَضربه وتَزايد أمره، فأُخرج منها في سنة خمس وأربعمائة ولزم الخدمة"(١).

والواقع أن هذه الوظيفة كانت دقيقةً للغاية لتعامل صاحبها مع الصبيان في طور التأديب والتعليم، ولذلك فقد بالغ الوزير الأفضل بن بدر الجمالي في الإشراف على صبيان الحُجر ومراقبتهم فجعل "لكل مائة (من الصبيان) زِماماً ونقيباً، وزَّم الكُل بأمير يقال له الموفق...وعني بهؤلاء الأجناد فكان إذا دهمه أمر مُهم جَهزهم إليه مع الزِمام الأكبر"(٢).

ب. إدارة طوائف الجيش:

أشرف على إدارة شؤون طوائف الجيش المختلفة عدة وظائف هامة، كان في مقدمتها وظيفة "زَم الرجال" التي أُسندت إلى أحد الأستاذين غير المحنكين(٣).

ويبدو أن استحداث وظيفة زمام الطوائف جاءت نتيجة تزايد المنازعات بين طوائف الجيش المختلفة، ففي ربيع الأول سنة ٤٠٣هـ/١٠١٢م، عرض الخليفة الحاكم منصب الوساطة على حسين بن طاهر الوزّان فاشترط هذا لقبوله المنصب "أن يكون لكل قَبيلٍ من طوائف العسكر زِمامٍ عليهم يرجعون إليه، ويكون (أي هو) نظرهُ على الأزمّة، فيجعل لكل طائفة يوماً ينظر في أمورهم وخاصة زِمامهم فقط، ففعل ذلك وخلع عليه"(٤)، وهذا يُشعر بضرورة وجود إدارة خاصة بكل طائفة ترعى شؤونها وتنظم أمورها.

---

(١) ابن القلانسي: تاريخ دمشق، ص ١١٦.

(٢) ابن الطوير: نزهة، ص ٥، المقريزي: الخطط، ج١، ص ٤٤٣.

(٣) القلقشندي: صبح الأعشى، ج٣، ص ٤٨٢.

(٤) المقريزي: اتعاظ، ج٢، ص ٩٤.

وقد أُعتبرت وظيفة "زَمْ الطائفة الأمرية والحافظية"[1]، أرفع مراتب الأزّمة، لارتباط هاتين الطائفتين باثنين من الخلفاء الفاطميين، كما وُجدت أخرى لأزّمة الطوائف، كوظيفة "زَم المشارقة والأتراك" التي أُسندت للأمير الخطير رئيس الرؤساء أبو الحسين بن عمار (ت ٤١٢هـ/١٠٢١م) الذي كان يتولى ديوان الإنشاء في عهد الخليفة الحاكم بأمر الله[2]، وقد اُستحدثت هذه الوظيفة في الوقت الذي ازدادت فيه العناصر المُشرقية التي إصطنعها الخلفاء من الأتراك والديلم ابتداء من عهد العزيز بالله، واُعتبرت هذه الوظيفة بمثابة "الواسطة بين الحضرة وبين هذه الطوائف"[3].

كما خُصص للعبيد السودان وظيفة مماثلة[4] للإشراف عليهم ومراقبتهم خاصة وأن السودان، كانوا الأكثر إثارة للفتن في العديد من أقاليم مصر، وقد كُلف أزّمتهم بإرجاعهم إلى حاراتهم، بعد قيامهم بأعمال النهب والسلب[5].

والسؤال الذي يدور هنا: ما هي طبيعة عمل الزِمام، وما هي المهام الموكلة إليه؟

في ضوء صمت المصادر عن تحديد طبيعة هذا العمل، نجد في سجلات تقليد هذه الوظيفة إلى أصحابها، والتي أوردها القلقشندي، ما يشير إلى المهام الموكلة إلى زِمام الطوائف، ففي إحدى كتب التكليف لهذه الوظيفة: "...فانهض بشروط هذا الزّم نهوضاً يؤدي عنك من النصح مفروضاً، ويجعل لك كل يوم كتاب شكر مفضوضاً، وسُس هذه الطائفة بما يوليها دواعي الوفاق، ويحميها من عوادي الافتراق، وأجهد في منافعها مُجتلبا ولا خلاف درها محتلبا،

---

(١) ابن الطوير: نزهة، ص ٢٠٨.

(٢) ابن الصيرفي: الإشارة، ص ٥٦، المقريزي: اتعاظ، ج٢، ص ١٢٨.

(٣) ابن الصيرفي: الإشارة، ص ٥٦، المقريزي: اتعاظ، ج٢، ص ١٢٨.

(٤) القلقشندي: صبح الأعشى، ج٣، ص ٤٧٢.

(٥) المقريزي: اتعاظ، ج٢، ص ١٦٩-١٧٠.

وانتصب لاستشفاف أحوالهم، وتعهدهم وملاحظة أفعالهم وتفقدها فمن الفيتة إلى فرائض الخدمة مُسرعاً، وبنوافلها متطوعاً — وبكرمه عما يُشينه مترفعاً شحذت بصيرته بالتكرمة، ورشحت همته للتقدمة، ومن وجدته لتلك الصفات الزائغة مُخالفاً وللصفات الشائنة مؤالفاً ولنفسه عما يُرَ منها صارماً، قومت أوده وثقفته واسترقت به على منهاج الصراط ووقفته، فاعلم هذا واعمل به إن شاء الله تعالى"[1].

وفي كتابه تكليف آخر جاء فيه "...وأن تخص هذه الطائفة من النظر في أمورها وتعهد صغيرها وكبيرها، بما يُسدد أحوالها ويحقق آمالها، وتأخذها بأحسن الآداب اللائقة بأمثالها، وسلوك الطريقة المعهودة من أعيانها وأمثالها...ووكِل بهم من النقباء من يُبتلي سِيرهم ويُنهي إليك أخبارهم، فمن علمته قد اجترأ إلى نسخ المذهب تناوله بأليم الأدب، وأخصصهم على الإدمان في نقل السلاح والضرب بالسيف والمطعانة بالرمح، والارماء عن القوس، وميّز من مَهَر واستقل وقَصِّرعمن ضجع وأخل...وأن تطالبهم بالاستعداد وارتباط الخيل الجياد والاستكثار من السلاح الشاك والجنن...ومن مات من هذه الطائفة وخلف ولداً يتيماً فضُمه إلى أمثاله وانظر في حاله، ووكل به من يفقهه في دينه، ويعلمه مالا غنى به عن تعليمه من كتاب الله وسننه...ولا تخص قوم دون قوم بالترفيه والإجمام، فإن ذلك إرهاقاً لعزائمهم وتقويةً لمننهم وإفاضة العدل عليهم"[2].

ولم يكن الأزمّة هم المسؤولون الوحيدون عن تلك الطوائف، بل كان لكثيرٍ من الطوائف "مُقدمون وقواد يحكمون عليهم"[3]، ويبدو أن دَورهم اقتصر على إدارة الطوائف في حال الخروج للقتال.

---

(١) القلقشندي: صبح الأعشى، ج١٠، ص ٣٦١.

(٢) القلقشندي: صبح الأعشى، ج١٠، ص ٤٠٣-٤٠٤.

(٣) القلقشندي: صبح الأعشى، ج٣، ص ٤٧٨.

ومن الوظائف التي تولت الإشراف على طوائف الجيش، وظيفة "نُقباء الطوائف"[1]، وهؤلاء النّقباء يتلخص عملهم في إيصال أخبار الأجناد إلى أزمّة الطوائف[2]، كما يقدمون لصاحب ديوان الجيش أحوال الأجناد من الحياة والموت والغيبة والحضور، لغايات صرف مستحقاتهم المالية[3].

كما وُجدت لبعض الطوائف عُرفاء مسؤولين عنهم، كعُرفاء الفِرحية[4]، وعرفاء الباطِلية[5]، ويبدو أن عملهم اقتصر على مراقبة أفراد الطوائف في حاراتهم التي سكنوا فيها.

ج. العرض العسكري:

اهتم الفاطميون باستعراض جيشهم في العديد من المناسبات، إظهاراً لقوة الدولة من ناحية، واطمئناناً على كفاءة الجيش من حيث عدده وعدته من ناحية أخرى.

لقد خُصصت أماكن محددة لعرض الجيش، رُوعي فيها سعة المساحة واستوائها، ومن أبرزها "خط بين القصرين"، أحد أشهر خطط القاهرة، والذي كان زمن الفاطميين عبارة عن فضاء واسع يتسع لعشرة آلاف فارس وراجل من العسكر[6]. إضافة إلى "سطح بركة الجب" خارج القاهرة، وهو المكان الذي عرض فيه الخليفة العزيز بالله قِسماً من الجيش الفاطمي في الثاني عشر من ذي القعدة سنة ٣٨٤هـ/٩٩٤م وأخذت العساكر تسير فيه ذهاباً وإياباً من

---

(١) ابن الطوير: نزهة، ص ٤٢، المقريزي: الخطط، ج١، ص ٤٦٨، ج٢، ص ٢٥.

(٢) القلقشندي: صبح الأعشى، ج٣، ص ٤٠٣–٤٠٤.

(٣) القلقشندي: صبح الأعشى، ج٣، ص ٤٨٨.

(٤) المقريزي: الخطط، ج٢، ص ٢٤، ١٢٥.

(٥) المقريزي: اتعاظ، ج٢، ص ١٣.

(٦) المقريزي الخطط، ج٢، ص ٢٨، ٩٦–٩٧، ماجد: نظم، ج٢، ص ٢٠٩.

الظهيرة إلى غروب الشمس[١].

وقد حرص الخلفاء الفاطميون على إنشاء أماكن خاصة لجلوسهم عند استعراض الجيش أو الأسطول، ودُعِيت تلك الأماكن بـ "المناظر"، كالمناظر الثلاثة التي أنشأها الوزير المأمون البطائحي في خلافة الآمر بأحكام الله، أعدت لجلوس الخليفة لعرض العساكر في يوم عيد الغدير[٢].

أما المناسبات التي كان يُعرض فيها الجيش، فيأتي في مقدمتها الاستعراض الذي يسبق خروج الجيش للقتال، وهنا ليس بين أيدينا ما يوضح مراسيم العرض، سوى وصف عام أشار إليه ابن الطوير في حديثه عن إجراءات إرسال الجيش الذي كان يرابط في عسقلان كل ستة أشهر، وفي ذلك العرض كان يتم تقسيم الجيش إلى وحدات، تبلغ كل واحدة منها مائة فارس، يقودهم أمير "مُقدم"، ويشرف على جميع المُقدمين "أمير المُقدمين" أو صاحب الخريطة، والخريطة هي كشف بأسماء الجنود الذين يصحبهم، تسلم إليه من ديوان الجيش مع النفقة اللازمة لهم، ليتم عرض الأجناد بموجبها ثانية تحت إشراف والي عسقلان[٣].

ولم يكن الخروج للقتال المناسبة التي يتم عرض الجيش فيها فقط، بل أن هناك مناسبات هامة أخرى منها الاحتفال بعيد الغدير[٤]، وأثناء الخروج لصلاة العيدين[٥]، كما أن مواكب الخليفة المختلفة كانت تتضمن استعراضاً لبعض

(١) المقريزي: الخطط، ج١، ص ٤٨٩.

(٢) المقريزي: الخطط، ج١، ص ٤٠٤.

(٣) ابن الطوير: نزهة، ص ٤١-٤٢.

(٤) المقريزي: الخطط، ج١، ص ٤٠٤.

(٥) القلقشندي: صبح الأعشى، ج٣، ص ٥٠٩.

فئات الجيش من خواص الخليفة، ونحوهم بعدتهم وأسلحتهم[1].

كما حرص الخلفاء الفاطميون على عرض الجيش، أمام رُسل الدول المجاورة، إظهاراً لقوة الدولة وعظمتها ففي سنة ٣٩١هـ/١٠٠٠م أمر الخليفة الحاكم بعرض الجيش أمام رُسل ملك الروم "فحُشدت له العساكر من سائر الأعمال، ووقفوا صفين والحاكم واقف ليراهم، وسار الرسول بين العساكر إلى باب الفتوح ونزل ومشى إلى القصر"[2]، وتكرر ذلك العرض في جمادي الآخرة سنة ٤٠٥هـ/١٠١٤م، حيث "قَدِم رسول ملك الروم، فاصطفت العساكر من باب القصر إلى سقاية رَيْدان بعددها وأسلحتها"[3].

أما فيما يتعلق بالأسطول، فقد اعتنى الخلفاء الفاطميون بعرضه حين انطلاقه إلى الحرب وحين عودته منها، فأنشأت أماكن خاصة لجلوس الخليفة في دُور صناعة الأسطول، عرفت بـ "المناظر"، مثل منظرة "المَقس" التي أُعدت لنزول الخليفة بها عند تجهيز الأسطول لغزو بلاد الأفرنج، ومنظرة "الصناعة" على الساحل القديم للنيل، أعدت لجلوس الخليفة ونزوله لتخليق المقياس عند وفاء النيل، بحيث تقوم السفن العِشاريات باستعراض عسكري بالأسلحة، بَعدها يركب الخليفة والوزير في أحداها إلى المقياس وقد استمرت هذه المنظرة حتى أواخر العصر الفاطمي[4].

وكان الهدف من عرض الأسطول أمام منظرة المقس، توزيع النفقة والمخصصات العينية على رجال الأسطول من ناحية[5]، وإظهار قوة الأسطول،

---

(١) ابن الطوير: نزهة، ص ١٤٧-١٦٧، القلقشندي: صبح الأعشى، ج٣، ص ٤٩٩-٥٠٥. المقريزي: الخطط، ج١، ص ٤٤٦-٤٥٠. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٤، ص ٧٩-٩١.

(٢) المقريزي: اتعاظ، ج٢، ص ٣٩.

(٣) المقريزي: اتعاظ، ج٢، ص ٣٩.

(٤) المقريزي: الخطط، ج١، ص ٤٨٠-٤٨٢.

(٥) سيتم الحديث عن نفقة ومخصصات رجال الأسطول في القسم الثاني من هذا الفصل.

باستعراض السفن المشاركة في القتال بأسلحتها ورجالها من ناحية أخرى، وقد جرت العادة بعد توزيع النفقة على رجال الأسطول أن يجلس الخليفة في هذه المنظرة، وبصحبته الوزير وكبار رجال الدولة، فيتقدم قادة الأسطول بمراكبهم أمام الخليفة لاستعراضها، ويقوم رجال الأسطول بتحريك السفن واللعب بالأسلحة المرافقة لها، ثم يحضر مُقدم الأسطول ورئيسه بين يدي الخليفة فيوصيهما ويدعو لهما ولمن معهما بالسلامة والنصر، فيُعطي المُقدم مائة دينار، والرئيس عشرين دينارا، ثم تصطف المراكب للانطلاق نحو دمياط ومنها إلى مياه البحر المتوسط[(١)].

وعندما يعود الأسطول من القتال يخرج الخليفة إلى منظرة المقس ويجلس فيها لاستقبال رجاله وعرض ما بحوزتهم من الغنائم والأسرى[(٢)]، وفيما يتعلق بالغنائم، فقد جرت العادة في الدولة الفاطمية أن توزع الغنائم كلها -باستثناء الأسلحة- على رجال الأسطول المشاركين فقط[(٣)]، أما بالنسبة للأسرى فلم "يُعرف قَط عن الدولة الفاطمية أنها فادت أسيراً بمال ولا بأسير مثله"[(٤)]، بل كان يتم عرضهم في شوارع القاهرة على ظهور الجمال من المنظرة إلى القصر، وهناك يتم توزيعهم، فيأخذ الوزير عدداً من النساء ويوزع باقيهن على أقارب الخليفة، أما الصغار فيرسلون إلى الأستاذين لتعليمهم وتدريبهم، ومن يُشك به

---

(١) ابن الطوير: نزهة، ص ٩٧-٩٨، القلقشندي: صبح الأعشى، ج٣، ص ٥١٩، المقريزي: الخطط، ج١، ص ٤٨٠، ج٢، ص ١٩٣.

(٢) المقريزي: الخطط، ج١، ص ٤١٨٠، ج٢، ص ١٩٣.

(٣) ابن الطوير: نزهة، ص ٩٨، القلقشندي: صبح الأعشى، ج٣، ص ٥١٩-٥٢٠. المقريزي: الخطط، ج٢، ص ١٩٣.

(٤) المقريزي: الخطط، ج١، ص ٤٨٠، ج٢، ص ١٩٣.

من الأسرى أو يكون طاعناً في السن يُقتل، ويُلقى في بئر عرفت بـ "بئر المنامة" في إحدى خرائب مصر[1].

ثانيا: مُرتبات الجيش

١. الاقطاعات:

عرف الفاطميون نظام الإقطاع بعد انتقالهم إلى مصر، وهو نظام قائم على منح الأراضي الزراعية للجنود، بدل الرواتب والمخصصات العينية الأخرى.

وقد ساد مصر الفاطمية ثلاثة أنواع من الاقطاعات وهي:

١. اقطاع التمليك: ويقوم على تنازل الدولة عن جزء من الأراضي التابعة لها للأفراد وقد لجأت الدولة الفاطمية إلى هذا النوع من الاقطاع في بداية عهدها عندما أقطعت الأراضي التي مات أصحابها ولا وارث لهم وآلت ملكيتها لبيت المال[2].

٢. اقطاع الارتفاع: ويقوم على استفادة المقطع من ارتفاع (ناتج) بعض النواحي وقد منح هذا الاقطاع إلى كبار رجال الدولة من الوزراء والقضاة[3].

٣. إقطاع الاستغلال: وهو الإقطاع الذي كان يُمنح للأجناد في العصر الفاطمي[4]، وهو قائم على استغلال الأرض دون ملكية رقبته، وقد منحت الدولة الفاطمية بعض أراضيها للأمراء والوزراء وأفراد الجيش بالضمان،

---

(١) المقريزي: الخطط، ج١، ص ٤٨٠، ج٢، ص ١٩٣-١٩٤.

(٢) ايمن سيد: الدولة الفاطمية، ص ٣٣١.

(٣) المرجع ذاته، ص ٣٣١.

(٤) محمد سرور: مصر في عصر الدولة الفاطمية، ص ١٩٧، وقد سمى المخزومي ها النوع من الاقطاع بـ "الاقطاع الجيشي"، المنهاج: ورقة ١١١ب-١١٢أ.

أي أن يدفع المَقْطَع مبلغاً معيناً من المال، يُحدد في الأمر الصادر بإقطاعه، مقابل استغلاله للأرض(١).

ويبدو أن طريقة منح هذا الإقطاع التي تمنع تملك الأرض أو توريثها، قد دفعت المقريزي إلى القول بأنه "لم يكن في الدولة الفاطمية بديار مصر ولا فيما مضى قبلها من دول أمراء مصر لعساكر البلاد اقطاعات بمعنى ما عليه الحال اليوم في أجناد الدولة التركية (دولة المماليك) وإنما كانت البلاد تُضمن بقبالات معروفة لمن شاء من الأمراء والأجناد والوجوه وأهل النواحي من العرب، والقبط وغيرهم(٢)".

ومما يَنُص عليه هذا النوع من الإقطاع، اقتصار المُقطَع على حق الانتفاع بإيراد الأرض وبقاء هذا الانتفاع المدة المُتفق عليها، بحيث ترد الأرض إلى الخليفة حال انتهاء المدة، أو وفاة المُقطَع أو إخلال هذا المُقطَع بشروط الإقطاع، وكل الشروط المتعلقة بهذا النوع من الإقطاع ترد في السجل الذي يصدر حين منح الإقطاع(٣).

أما عن إجراءات منح هذا الإقطاع، فقد أتى عليها ابن الطوير بقوله "فإذا خلت ناحية من ضامن أو كانت محلولة ورُسم إقطاعها عُمل من ديوان المجلس المقدم ذكره أنه أصل الدواوين ارتفاعها (مقدار ناتجها) لأربع سنين، سنتين لغاية رخائها وسنتين لغاية جدبها بالتنقيب عن ذلك، ثم يُجمع هذا الارتفاع لهذه المدة، ويُعتمد أسعار ما يبيع فيها من الغلات وغيرها، فإذا اجتمع من ذلك مبلغ معلوم أُخذ ريعه، وإذا أراد ضامن أن يضمن ناحية كانت مُقطعة، عُمل في معدها كذلك على أصل عبرتها بريعه وما يريده وعلى هذا النحو من البذل"(٤).

وقد سُمح للأجناد الذين مُنحوا هذا الإقطاع بمقايضة بعضهم في

---

(١) سرور: مصر في عصر الدولة الفاطمية، ص ١٩٧. أيمن سيد: الدولة الفاطمية، ص ٣٣٠.

(٢) المقريزي: الخطط، ج١، ص ٨٥.

(٣) ماجد: نظم، ج١، ص ١٩٢-١٩٣.

(٤) ابن الطوير: نزهة، ص ٨٦.

اقطاعاتهم، بإجراءات تتم عن طريق صاحب ديوان المجلس[1].

لقد توسع هذا النوع من الإقطاع في أواخر العصر الفاطمي، وازداد مستغلوه من الأجناد بعد أن اتجه اقتصاد الدولة نحو الانحدار منذ أواخر خلافة المستنصر بالله، وازدياد سلطة رجال الجيش حداً وصل إلى تنامي اقطاعات كبار الأمراء والأجناد وتعديهم على ما في أيدي صغار المُقطَعين[2].

وإزاء هذا الاختلال في مقادير الاقطاعات، فقد أُعيد النظر في توزيعها في سنة ٥٠١هـ/١١٠٧م، ففي تلك السنة شكا صغار المُقطَعين من الأجناد، من قلة تحصيل اقطاعاتهم وعدم كفايتها في تغطية نفقاتهم والتزاماتهم، في الوقت الذي زاد فيه متحصل اقطاعات كبار الأمراء، فخاطب القائد أبو عبد الله محمد بن فاتك البطائحي، الوزير الأفضل بن بدر الجمالي في ذلك، فأمر بحل الاقطاعات جميعها، ودُعي الأمراء والأجناد للمزايدة عليها، فشكا الأمراء من كون اقطاعاتهم التي حُلَتْ قد احتوت على أملاك خاصة بهم من معاصر ونحوها، فتُركت لهم يؤجرونها أو يبيعونها، وأعيد النظر في توزيع الاقطاعات بحيث استفاد الطرفان (الأمراء والأجناد) من هذا التوزيع، وسُمح لهم باستثمار الأراضي ضماناً لمدة ثلاثين عاماً وكتبت سجلات بذلك، بعد أن عاد للديوان بلاد قُدر دخلها بخمسين ألف دينار[3].

ورغم التحديد الوارد في هذا الضمان الجديد، وهو ثلاثون عاماً، إلا إننا لم نسمع عن إعادة النظر في توزيع هذه الاقطاعات، مما يشعر باستمرار الوضع كما هو دون مشاكل تستدعي تغيير في هذا التوزيع.

---

(١) ابن الطوير: نزهة، ص ٨٣، القلقشندي: صبح الأعشى، ج٣، ص ٤٨٨، المقريزي: الخطط، ج١، ص ٤٠١.

(٢) أيمن فؤاد: الدولة الفاطمية، ص ٣٣١-٣٣٢.

(٣) النويري: نهاية الأرب، ج٢٨، ص ٢٧٦-٢٧٧. المقريزي: الخطط، ج١، ص ٨٣، اتعاظ الحنفا، ج٣، ص ٤٠. محمد سرور: مصر في عصر الدولة الفاطمية، ص ١٩٨. أيمن سيد: الدولة الفاطمية، ص ٣٣٢-٣٣٣.

ولم يكن لرجال الأسطول حظٌ أقل من غيرهم من أفراد الجيش في الاقطاعات، بل كانت لهم اقطاعات خاصة عرفت بـ "أبواب الغزاة"[١]، وهو مصطلح له علاقة باللفظ الذي أُطلق أحياناً على رجال الأسطول وهو "الغزاة في أعداء الله"، ومع أن المصادر لم تُبين طبيعة منح هذا الإقطاع أو شروطه، إلا أنه يمكن القول بأنه سار على نهج اقطاعات الجيش السابقة.

كما كان للعُربان الذين قدموا خدمات عسكرية للدولة اقطاعات خاصة بهم عرفت بـ "الاعتداد" وهي اقطاعات يقل متحصلها عن سائر اقطاعات أفراد الجيش النظاميين[٢].

٢. المُخصصات النقدية:

أ. الرواتب الشهرية:

أجرى الخلفاء الفاطميون رواتب شهرية مُنتظمة لأفراد الجيش الفاطمي، وهي مبالغ نقدية تُرتب مقاديرها لمستحقيها في مطلع كل عام، ويُعدها ديوان الرواتب لتُعرض على الخليفة للنظر فيها، ليزيد من يزيد أو يُنقص من يُنقص[٣] وقد أمدنا ابن الطوير بنص فريد بَيَّن فيه مقادير الرواتب الشهرية لمستخدمي الدولة الفاطمية في أواخر عهدها، في فترة توليته ديوان الرواتب[٤]، وقد جاءت رواتب رجال السيف[٥] على النحو التالي:

---

(١) ابن الطوير: نزهة، ص ٩٦، المقريزي: الخطط، ج١، ص ٤٨٣، ج٢، ص ١٩٣.

(٢) المخزومي: المنهاج، ورقة ١١٢أ، ابن الطوير: نزهة، ص ٨٦، القلقشندي: صبح الأعشى، ج٣، ص ٤٨٩.

(٣) القلقشندي: صبح الأعشى، ج٣، ص ٤٩١.

(٤) ابن الطوير: نزهة، ص ٧٧، مقدمة المحقق للمصدر ذاته، ص ١١.

(٥) ابن الطوير: نزهة، ص ٨٣-٨٥ وعنه نقل: القلقشندي: صبح الأعشى، ج٣، ص ٥٢١-٥٢٢، المقريزي: الخطط، ج١، ص ٤٠١-٤٠٢.

رقم	الفئة	الراتب الشهري
١.	الوزير (من أرباب السيوف)	٥٠٠ دينار
٢.	أ. الوزير أو ولده	٢٠٠–٣٠٠ دينار
٣.	حواشي الوزير	٣٠٠–٥٠٠ دينار
٤.	الأستاذون المحنكون	
	أ.	١٠٠ دينار
	ب. صاحب بيت المال	١٠٠ دينار
	ج. حامل الرسالة	١٠٠ دينار
	د. صاحب الدفتر	١٠٠ دينار
	هـ. شاد التاج	١٠٠ دينار
	و. زمام الأشراف الأقارب	١٠٠ دينار
	ز. صاحب المجلس	١٠٠ دينار
	ح. باقي الأستاذون المحنكون	
	أ. فئة (١)	٩٠ ديناراً
	ب. فئة (٢)	٨٠ ديناراً
	ج. فئة (٣)	٧٠ ديناراً
	د. فئة (٤)	٦٠ ديناراً
	هـ. فئة (٥)	٥٠ ديناراً
	و. فئة (٦)	٤٠ ديناراً
	ز. فئة (٧)	٣٠ ديناراً
	ح. فئة (٨)	٢٠ ديناراً
	ط. فئة (٩)	١٠ دنانير
٥.	صاحب الباب	١٢٠ ديناراً
٦.	حامل السيف	٧٠ ديناراً
٧.	حامل الرمح	٧٠ ديناراً
٨.	أزمة العساكر	
	أ. فئة (١)	٥٠ دينار
	ب. فئة (٢)	٤٠ دينار

رقم	الفئة	الراتب الشهري
	ج. فئة (٣)	٣٠ دينار
٩.	مقدمو صبيان الركاب	
	أ. مقدم المقدمين (صاحب الركاب اليمين)	٥٠ دينار
	ب. باقي المقدمين (١١ مقدم)	٥٠ دينار
١٠.	نقباء صبيان الركاب	
	أ. فئة (١)	١٥ دينار
	ب. فئة (٢)	١٠ دنانير
	ج. فئة (٣)	٥ دنانير
١١.	قواد الأسطول (المقريزي: خطط، ٢/١٩٣)	
	أ. فئة (١)	٢٠ دينار
	ب. فئة (٢)	١٥ دينار
	ج. فئة (٣)	١٠ دنانير
	د. فئة (٤)	٨ دنانير
	هـ. فئة (٥)	ديناران

وقد حرص معظم الخلفاء الفاطميون على استمرار صرف الرواتب لمستحقيقها دون نقص أو تأخير، ولدينا من الواقع مثالين؛ الأول في إحدى سنوات خلافة المستنصر بالله، حيث عُرض استيمار الرواتب على الخليفة، فأقر دون إنقاص أو زيادة، ووقع على ظهر الاستيمار "الفقر مُر المذاق، والحاجة تذل العناق، وحراسة النعم بإدرار الأرزاق، فليجروا على رسومهم في الإطلاق، ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ﴾ (١)"(٢).

---

(١) سورة النحل: آية ٩٦.

(٢) ابن الطوير: نزهة، ص ٧٨، ابن الفرات: تاريخ، م٤، ج١، ص ١٥٠-١٥١. القلقشندي: صبح الأعشى، ج٣، ص ٤٩١، المقريزي: الخطط، ج١، ص ٣٩٨، اتعاظ: ج٣، ص ٣٤٣.

ويبدو أن هذا الاستيمار قد عُرض في السنوات الأولى من خلافة المستنصر، وذلك قبل أن تضطرب أمور الدولة نتيجة الجفاف والغلاء، واشتداد النزاع بين عناصر الجيش، وما أدى إليه من خلو خزينة الدولة من الأموال.

وعُرض استيمار الرواتب في إحدى السنوات على الخليفة الحافظ لدين الله، فأقره دون زيادة أو نقص، ووقع على ظهره بعبارات تدل على قلق أرباب الرواتب من إمكانية إنقاص مخصصاتهم الشهرية، فكتب "أمير المؤمنين لا يستكثر في ذات الله كثيرا لإعطاء، ولا يكدره بالتأخير له والتسويف والإبطاء، ولما انتهى إليه ما أرباب الرواتب عليه من القلق للامتناع من إيجاباتهم وحمل خروجاتهم، وقد ضعفت قلوبهم وقنطت نفوسهم وساءت ظنونهم، شملهم برحمته ورأفته وأمنهم مما كانوا وجلين من مخافته، وجعل التوقيع بذلك بخط يده تأكيدا للأنعام والمن، وتهنئة بصدقة لا تتبع بالأذى والمن، فليعتمد في ديوان الجيوش المنصور، إجراء ما تضمنت هذه الأوراق ذكرهم على ما الفوه وعهدوه من رواتبهم وإيجابها على سياقها لكافتهم من غير تأويل ولا تعنت، ولا استدراك ولا تعقب، وليجروا في تسبيباتهم على عادتهم لا يُنقص من أمرهم ما كان مُبرماً ولا يُنسخ من رسمهم ما كان مُحكما، كرماً من أمير المؤمنين وفعلاً مبروراً، وعملا بما أخبر به عز وجل في قوله تعالى ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُوراً﴾[1] وليُنسخ في جميع الدواوين بالحضرة إن شاء الله[2].

ورغم حرص الخلفاء على انتظام صرف الرواتب، إلا أن ذلك تغير في العديد من الظروف السياسية والاقتصادية، التي أدت إلى انخفاض وارتفاع في مقادير الرواتب، ففي سنة ٣٨٧هـ/٩٩٧م زاد ابن عمار في رواتب كتامة وأكثر

(١) سورة الإنسان، آية ٩.

(٢) ابن الطوير: نزهة، ص ٧٨-٧٩. المقريزي: الخطط، ج١، ص ٣٩٨.

من العطاء لهم، في حين قطع أكثر رواتب الأتراك[1]، مُستغلاً صغر سن الخليفة الحاكم، وتسلطه على أمور الدولة، الأمر الذي أدى إلى نشوب النزاع المسلح بين المغاربة والأتراك.

وبين عامي (٤٥٩-٤٦٠هـ/١٠٦٦-١٠٦٧م) اشتدت مطالبة الأتراك بزيادة رواتبهم أثناء ثورتهم على الخليفة المستنصر، بقيادة ناصر الدولة بن حمدان، فارتفع مجموع مرتباتهم الشهرية إلى ٤٠٠,٠٠٠ دينار، بعد أن كانت ٢٨,٠٠٠ دينار[2].

وعندما تولى الأمير شاور بن مجير السعدي الوزارة سنة ٥٥٨هـ/١١٦٢م، سعى إلى إرضاء الجيش واستمالته، فقرر "للأجناد والعرب وحواشي القصر من الرواتب والزيادات نظير ما لهم عشر مرات"[3].

وعلى هذا يمكن القول بأن رواتب الجند كانت تُقرر حسب نظرة الخليفة للاستيمار السنوي للرواتب، ويظل العمل به سائرا خلال السنة، ما لم يحدث ما يوجب تغييره من نقص أو زيادة بحسب ما يستجد من أحداث سياسية أو اقتصادية.

ب. نفقة الحرب:

لم تُعطِ المصادر تصوراً واضحاً عن طبيعة الإنفاق على الجيش الفاطمي

---

(١) ابن ميسر: المنتقى، ص ١٨١، المقريزي: الخطط، ج٢، ص ٣٦، وكان الكُتاميون قد طالبوا في العام السابق -حين تولى الحاكم الخلافة- بزيادة مخصصاتهم المالية إلى ثمانية مرات في السنة بمعدل ٨ دنانير لكل منهم، وبعد مفاوضات مع الخليفة تقرر لهم سبع مرات، المقريزي: اتعاظ، ج٢، ص ٤-٦.

(٢) المقريزي: الخطط، ج١، ص ٣٣٦، اتعاظ: ج٢، ص ٢٧٥، حسن إبراهيم: تاريخ الدولة الفاطمية، ص ٥٦٣، وقد ذكر ابن الأثير أن هذه الرواتب كانت تبلغ ٢٠,٠٠٠ دينار ثم ارتفعت إلى ٤٠٠,٠٠٠ دينار، ابن الأثير: الكامل، ج١٠، ص ٨٣.

(٣) المقزيزي: اتعاظ، ج٣، ص ٢٦٠، وانظر: ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٥، ص ٣٣٨.

وقت الحرب، وكل ما يرد من إشارات متناثرة حول مناسبات الإنفاق على الجيش وقت الحرب، لا يتعدى ذكر المبلغ الإجمالي لنفقة الجند في المعركة.

ومن الطبيعي أن يختلف حجم الإنفاق على أفراد الجيش من معركة إلى أخرى، بحسب أهمية المعركة وعدد المشاركين في القتال من ناحية، وتبعاً لحالة الدولة الاقتصادية من ناحية أخرى. ففي سنة ٣٨١هـ/٩٩١م جهز الخليفة العزيز بالله جيشاً بقيادة الأمير مَنجوتكين التركي إلى حلب لإخضاع ابن سعد الدولة بن حمدان، وقد بلغت النفقة عل أفراد هذا الجيش، مائة ألف دينار[١].

وفي محرم سنة ٣٨٧هـ/٩٩٧م أُرسل القائد سليمان بن جعفر بن فلاح، على رأس جيش كبير من كتامة إلى بلاد الشام لقتال خصومهم من الأتراك في دمشق، وبصحبته "خزانة مال على ثمانية وستين بغلا في صناديق فيها أربعمائة ألف درهم"[٢].

وفي محرم سنة ٤٦٠هـ/١٠٦٧م أنفق على القائد ناصر الدولة بن حمدان وجيشه من الأتراك مليون دينار، عندما كلف بإخضاع العبيد الذي ثاروا في نواحي الصعيد[٣].

وفي جمادي الأولى من سنة ٥٥٣هـ/١١٥٨م، جهز الوزير الصالح بن رزيك جيشاً إلى بيت المقدس لقتال الفرنجة، بلغت النفقة عليه مائة ألف دينار[٤].

أما فيما يتعلق بنفقة رجال الأسطول، فقد كانت موضع عناية الخلفاء الفاطميين واهتماماتهم، وقد جرت العادة أن تُوزع نفقة الحرب على رجال الأسطول في أحد أيام العرض العسكري الذي يقوم به رجال الأسطول قبيل

---

(١) ابن ميسر: المنتقى، ص ١٧٠.

(٢) المقريزي: اتعاظ، ج٢، ص ٩.

(٣) المقريزي: اتعاظ، ج٢، ص ٢٧٦.

(٤) ابن ميسر: المنتقى، ص ١٥٦-١٥٧.

الانطلاق للقتال، ويتم التوزيع بحضور الخليفة والوزير وصاحبي ديوان الجيش (المستوفي والكاتب) اللذان يجلسا بحضرة الخليفة على حُصرٍ مفروشة تنصب عليها الدراهم، ويحضر الوزانون من بيت المال لتوزين الدراهم، ثم يتم استدعاء رجال الأسطول مائة مائة إلى المجلس، ويُنادى بأسمائهم من قبل المُستوفى واحداً واحداً، حتى يبلغ عددهم عشرة رجال ثم يقوم الوزانون بتوزين الدراهم لهم، بحيث يُقرر لكل واحد منهم خمسة دنانير، صرف كل دينار ستة وثلاثين درهماً، ويتسلمونها من النقيب، ثم تكتب الأسماء ويخرجون من المجلس، وهكذا يستمر توزيع النفقة حتى النهاية[1].

وفي بعض المناسبات، بلغت نفقة أمراء الأسطول ١٠٠ دينار لكل واحد، في حين بلغت نفقة رجال الأسطول ثلاثين دينارا لكل منهم[2]، كما يتسلم مقدم الأسطول ورئيسه نفقة خاصة من الخليفة جرى التعارف عليها عند بداية انطلاق الأسطول للقتال، فبعد أن يودعهما الخليفة ويدعو لهما ولمن معهما بالنصر والسلامة، يعطي المقدم مائة دينار والرئيس عشرين ديناراً[3].

ج. نفقة موكب أول العام (دنانير الغُرة):

جرت العادة أن يوزع الخليفة في موكب أول العام ما يسمى بـ "دنانير الغُرة"، وهي جملة من الدنانير والرباعية والدراهم الخفيفة المدورة، يأمر الخليفة بضربها في العشر الأخر من ذي الحجة من كل عام، لتوزع على أرباب المراتب من حملة السيوف والأقلام كل على قدر رتبته وقربه من الخليفة، ويقبلها هؤلاء من الخليفة على سبيل التبرك به، وقد تراوحت حصة أرباب الرتب من هذه

---

(١) ابن الطوير: نزهة، ص ٩٦-٩٧، المقريزي: الخطط، ج١، ص ٤٨٣، ج٢، ص ١٩٣، حسن إبراهيم: تاريخ الدولة الفاطمية، ص ٥٦٤.

(٢) المقريزي: اتعاظ، ج٣، ص ١٩٠، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٥، ص ٢٤٤.

(٣) ابن الطوير: نزهة، ص ٩٨، المقريزي: الخطط، ج١، ص ٤٨٠، ج٢، ص ١٩٣.

النقود من دينار ورباعي وقيراط واحد إلى عشرة من كل منها[1].

٣. المخُصصات العينية:

أ. الكِسوة:

تُمثل الكِسوة جانباً هاماً من المخصصات العينية التي مُنحت لأفراد الجيش في الدولة الفاطمية وقد جاءت الكِسوة إما على شكل إنعام من الخليفة في أوقات ومناسبات معينة، أو على شكل خِلع أو تشاريف لكبار الأمراء، مُقترنة بمناسبة هامة تتعلق إما بالأمير أو بالدولة.

وقد تعددت المناسبات التي كان يُنعم فيها الخليفة بالكِسوة على أفراد الجيش الفاطمي، والتي حرصت الدولة فيها على إظهار جيشها بأفضل زي وهيئة، فإضافة إلى مطلع كل شتاء وصيف[2] كان يتم توزيع الكِسوة في العيدين، وخاصة عيد النحر[3]، وأعياد النوروز والغدير[4]، ويوم فتح الخليج[5]، ومواكب الخليفة المختلفة، والتي يأتي على رأسها موكب ركوب الخليفة في أول العام[6]، كما توزع الكِسوة أحيانا في مناسبة ولادة أبناء الخلفاء[7].

وقد أورد المقريزي نصوصاً هامة ذكر فيها الكسوات التي منحت لأفراد

---

(١) ابن الطوير: نزهة، ص ١٦٧، القلقشندي: صبح الأعشى، ج٣، ص ٥٠٥، المقريزي: الخطط، ج١، ص ٤٥٠، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٤، ص ٩١.

(٢) ابن المقريزي: الخطط، ج١، ص ٤٩٣.

(٣) المقريزي: الخطط، ج١، ص ٤١٢-٤٣٦.

(٤) ابن الطوير: نزهة، ص ١٨٦-١٨٧، المقريزي: الخطط، ج١، ص ٣٨٩، ٤٩٢، ٤٩٣.

(٥) ابن الطوير: نزهة، ص ١٩٥ وما بعدها، المقريزي: الخطط، ج١، ص ٤٧٠-٤٧٩.

(٦) ابن الطوير: نزهة، ص ١٤٧-١٦٧، القلقشندي: صبح الأعشى، ج٣، ص ٤٩٩-٥٠٥. المقريزي: الخطط، ج١، ص ٤٤٦-٤٥٠، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٤، ص ٩٠-٩١، ماجد: نظم، ج٢، ص ٥٠.

(٧) المقريزي: اتعاظ، ج٣، ص ١٢٨.

الجيش في مناسبتين، الأولى: أحد العيدين لعام ٥١٦هـ/١١٢٢م[١]، والثانية: يوم فتح الخليج في عام ٥١٨هـ/١١٢٤م[٢]، وقد جاءت كِسوة رجال الجيش كما يلي:

الرقم	الاسم	الفرقة	الوظيفة	العدد	المناسبة	نوع الكسوة
١.	أبي عبد الله بن فاتك البطائحي	–	وزير	١	العيدين ويوم فتح الخليج	بدلة موكبية مذهبة
٢.	الأمير نسيب الدولة مرشد	أستاذون محنكون	زمام القصور	١	العيدين	بدلة مذهبة
٣.	الأمير نسيب الدولة مرشد	أستاذون محنكون	متولي الدفتر	١	العيدين	بدلة مذهبة
٤.	الأمير خاصة الدولة ريحان	أستاذون محنكون	متولي بيت المال	١	العيدين	بدلة مذهبة
٥.	الأمير عظيم الدولة وسيفها؟	أستاذون محنكون	حامل المظلة	١	العيدين	بدلة مذهبة
٦.	الأمير صارم الدولة صاف	أستاذون محنكون	متولي الستر	١	العيدين	بدلة مذهبة
٧.	الأمير وفي الدولة إسعاف	أستاذون محنكون	متولي المائدة	١	العيدين	بدلة مذهبة
٨.	الأمير مختار الدولة جندب	أستاذون محنكون	مقدم خزائن الكسوة	١	العيدين	بدلة مذهبة
٩.	الأمير مختار الدولة ظل	أستاذون	–	١	العيدين	بدلة حرير
١٠.	–	أستاذون	موظفون في خزانة الكسوة الخاص	٦	العيدين	بدلة مذهبة لكل منهم

(١) المقريزي: الخطط، ج١، ص ٤١٠-٤١٢.

(٢) المقريزي: الخطط، ج١، ص ٤٧٢-٤٧٥.

الرقم	الاسم	الفرقة	الوظيفة	العدد	المناسبة	نوع الكسوة
١١.	الأمير جوهر؟	–	زمام الدار	١	العيدين	بدلة حرير
١٢.	–		نواب زمام القصور	٤	العيدين	لكل منهم: بدلة حرير وشقة[١] وفوطة[٢]
١٣.	–		نائب الستر	١	العيدين	بدلة حرير وشقة وفوطة
١٤.	–	أستاذون	خدمة المظلة	٥	العيدين	لكل منهم: منديل سوسي، شقة سوسي، شقة دمياطي، شقة إسكندراني، فوطة
١٥.	–	أستاذون	شدادون للدواب	٦	العيدين	لكل منهم: منديل سوسي، شقة سوسي، شقة دمياطي، شقة اسكندراني، فوطة
١٦.	الأمير فخر الخلافة حسام الملك	أستاذون محنكون	متولي حجبة الباب	١	العيدين	بدلة مذهبة
١٧.	عفيف الدولة مقبل	صبيان الركاب	مقدم الركاب	١	العيدين	بدلة مذهبة
١٨.	القائد موفق	صبيان الركاب	مقدم الركاب	١	العيدين	بدلة مذهبة
١٩.	القائد تميم	صبيان الركاب	مقدم الركاب	١	العيدين	بدلة مذهبة
٢٠.	–	صبيان الركاب	مقدم الركاب	٤	العيدين	لكل منهم: بدلة حرير

(١) شقة: أي قطع من القماش، كأن يقال شقة كتان، شقة حرير..الخ، ابن الطوير: نزهة، ص ١٢٩، هامش (٣).

(٢) فوطة: نوع من القماش القطني يصلح لاستخدامات مختلفة، ابن الطوير: نزهة، ص ١٣٠، هامش (٣).

الرقم	الاسم	الفرقة	الوظيفة	العدد	المناسبة	نوع الكسوة
٢١.	–	–	والي القاهرة	١	العيدين	بدلة مذهبة
٢٢.	–	–	والي مصر	١	العيدين	بدلة مذهبة
٢٣.	الأمير كوكب الدولة؟	فئات ملحقة بخدمة الخليفة	حامل الرمح الشريف والدرقة	١	العيدين	بدلة حرير
٢٤.	–	فئات ملحقة بخدمة الخليفة	حامل الرمح	٢	العيدين	لكل منهم: منديل وشقة وفوطة
٢٥.	–	فئات ملحقة بخدمة الخليفة	حاملا لواءي الحمد	٢	العيدين	لكل منهم: بدلة؟
٢٦.	–	فئات ملحقة بخدمة الخليفة	متولي حملة المظلة	١	العيدين	بدلة حرير
٢٧.	–	صبيان الخاص	حمل الرماح	١٠	العيدين	لكل منهم: منديل وشقة وفوطة
٢٨.	–	–	حامل السبع في المواكب	١	العيدين	بدلة حرير
٢٩.	–	صبيان الخاص	مقدمو صبيان الخاص	٢٠	العيدين	لكل منهم: بدلة؟
٣٠.	–	خواص الخليفة	غلمان من الخواص	١	فتح الخليج	أقبية(١) وشقق سقلاطون
٣١.	–	الأسطول	رؤساء العشاري	١	فتح الخليج	شقق دمياطي، ومناديل سوسي وفوط حرير أحمر
٣٢.	–	الأسطول	النواتيه	١	فتح الخليج	شقق اسكندراني وكلوتات(٢)

(١) أقبية: جمع قباء، وهو ثوب يلبس فوق الملابس، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٧، ص ٣٣١، هامش (٢).

(٢) كلوتات: مفردها كلوتة، وهي غطاء الرأس تلبس وحدها بعمامة، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٥، ص ٥٥، هامش (٦).

تميزت ملابس أفراد الجيش الفاطمي عموماً بالفخامة والروعة، واختلفت قيمتها بحسب الفئة ومدى صلتها بالخليفة.

ويأتي في مقدمة الكِسوات الفاخرة –بعد كِسوة الخليفة وأبنائه- كِسوة الوزير من أرباب السيوف، فكان الوزراء –كما يقول ابن الطوير- "يلبسون المناديل الطبقيات بالأحناك تحت حلوقهم..وينفردون بلبس ثياب قصار يقال لها الذراريع واحدها ذراعة، وهي مشقوقة أمام وجهه إلى قريب من رأس الفؤاد بأزرار وعري، ومنهم من تكون أزراره من ذهب مُشتبك ومنهم من أزراره لؤلؤ وهذه علامة الوزارة"(١).

ويلي الوزير الأستاذون المحنكون وكان لبس كل منهم بدلة مُذهبة، في حين اقتصر الأستاذون غير المحنكين على بذلة من الحرير لكل منهم(٢)، وقد تميز الأستاذون المحنكون بلباسهم المميز (زي الحنك) المكون من عمامة تدور حول الرأس مارة بأسفل طرف الحنك، أما صبيان الركاب فكان زيهم العمائم ذات الطبقات المتعددة مع مناديل تَشُد أوساطهم(٣).

أما الأمراء فكانت ثيابهم مصنوعة من القماش المُزركش، وقد تميز لباسهم بوجود قلادة قماش مذهب على شكل طوق في العنق، وهذه كانت خاصة بالأمراء المطوقين(٤)، كما كان هؤلاء يلبسون عمائم من قِماش مُطرز بالذهب ومُرصّع بالقصب المّذهب أو المُفضض، يوضع على الرأس وتُرخى طرف العمامة على الظهر، فتظهر على شكل ذؤابة(٥).

أما باقي الطوائف فليس لدينا وصفا دقيقا لزيها، لكن يُفهم من اشتراك

---

(١) ابن الطوير: نزهة، ص ١٠٦، المقريزي: الخطط، ج١، ص ٤٤٠.

(٢) المقريزي :الخطط، ج١، ص ٤١١، ماجد: نظم، ج٢، ص ٥٥.

(٣) المقريزي: الخطط، ج١، ص ٤١٩.

(٤) ماجد: نظم، ج٢، ص ٨٥.

(٥) القلقشندي: صبح الأعشى، ج٣، ص ٥٠٥–٥٠٦، المقريزي: الخطط، ج١، ص ٤٤٠، ٤٤٩.

الطوائف المُهمة في مواكب الخليفة المختلفة أنها كانت تلَبس زِياً جميلاً إضافةً إلى الأسلحة المتنوعة التي كانوا يتقلدونها[١].

وبالنسبة للخِلع أو التشاريف التي كانت تُخص الأمراء وقادة الجيش، فكانت تُرفق ببراءة أو رقعة من ديوان الإنشاء، مقترنة بالمناسبة التي تُتم فيها الخِلعة[٢]. ولم تكن الخِلع تقتصر على مواكب الخليفة[٣] والأعياد، بل كان مَنحها يتم أحيانا حين تولية الأمير وظيفةً جديدة -كالوزارة مثلا- ويُعتبر هذا تقليداً متعارفاً عليه[٤]، فعندما وُلي الأمير بدر الجمالي الوزارة سنة ٤٦٦هـ/١٠٧٣م كأول وزارة سيف في الدولة الفاطمية، خُلع عليه "بالعِقد المنظوم بالجواهر مكان الطوق، وزيد له الحنك مع الذؤابة المرخاة (خلف الرقبة) والطيلسان❖ المقور"[٥].

وعندما وُلي القائد أبي عبد الله فاتك الوزارة في أعقاب مقتل الأفضل شاهنشاه في مستهل ذي القعدة سنة ٥١٥هـ/١١٢١م، خُلع عليه بذلة مذهبة[٦].

وعندما رد الخليفة الحاكم بأمر الله النظر في أمور الدولة للقائد الحسين بن جوهر في أعقاب مقتل برجوان في جمادي الأولى سنة ٣٩٠هـ/٩٩٩م، خُلع

---

(١) ابن الطوير: نزهة، ص ١٤٧-١٦٧، القلقشندي: صبح الأعشى، ج٣، ص ٥٠٥-٥٠٧، المقريزي: الخطط، ج١، ص ٤١٩، ٤٥٤.

(٢) انظر مثال على تلك الرقعات أو البراءات (رقعة مقترنة بكسوة عيد الفطر لسنة ٥٣٥هـ/١١٤٠م)، المقريزي: الخطط، ج١، ص ٤١٢.

(٣) ابن الطوير: نزهة، ص ١٤٩، المقريزي: الخطط، ج١، ص ٤٤٦، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٤، ص ٧٩.

(٤) ابن الطوير: نزهة، ص ١٢١-١٢٢، المقريزي: الخطط، ج١، ص ٤٤٠.

❖ الطيلسان: لفظ فارسي مُعرب ويقال له الطالسان وهو وشاح يلبس على الكتف أو يحيط بالبدن، المعجم الوسيط، مادة (طلس).

(٥) ابن الطوير: نزهة، ص ١٢١، المقريزي: الخطط، ج١، ص ٤٤٠.

(٦) المقريزي: اتعاظ، ج٣، ص ٧٤.

عليه الخليفة "ثوب ديباج أحمر ومنديل أزرق، وتقلد سيفا حِليته ذهب"[1].

وكان الخروج للقتال مناسبة يتمُ فيها أحيانا إضفاء الخلع على القائد العام للجيش، ففي صفر سنة ٣٨١هـ/٩٩١م خلع الخليفة العزيز بالله على القائد مَنجوتكين التركي عندما خرج بالجيش إلى بلاد الشام، وحَمل إليه "مائة قطعة من الثياب الملونة"[2].

وفي ذي القعدة سنة ٣٨٦هـ/٩٩٦م أرسل القائد سُليمان بن جعفر بالجيش إلى بلاد الشام لمحاربة الأتراك في دمشق فخلع عليه "وقُلد السيف وحُمل على فرس بمركب ذهب، وقيد بين يديه أربعة أفراس مُسرجةُ مُلجمة، وحَمل بين يديه ثياب كثيرة من كل نوع"[3].

أما باقي الأمراء فكانت خِلعهم في العديد من المناسبات "الثياب الدَبيقي والعمائم القَصب بالطراز المُذهب"، وكان يَخلع على أكابر الأمراء "الأطواق الذهب والأسورة والسيوف المُحلاة"[4].

وقد استمر مَنح الكِسوات والخِلع مظهراً من مظاهر الدولة الفاطمية ورسومها حتى أواخر العصر الفاطمي عندما "قُطعت جميع الكِسوات المُرتبة للأمراء والدواوين عن أربابها وتوفرت "وذلك في سنة ٥٤٦هـ/١١٥١م[5]، ويبدو أن تناقص موارد الدولة الفاطمية في أواخر عهدها، وحاجتها للأموال في مواجهة الأخطار الخارجية، وفي مقدمتها الخطر الصليبي، هو السبب وراء هذا الإجراء، حتى لم نعد نسمع في حوادث السنوات التالية لذلك العام في مصادر تلك الفترة ما يدل على صرف الكِسوات في المناسبات الهامة.

(١) ابن ميسر: المنتقى، ص ١٨٢، المقريزي: الخطط، ج٢، ص ١٤، اتعاظ: ج٢، ص ٢٩.

(٢) ابن ميسر: المنتقى، ص ١٧٠.

(٣) المقريزي: اتعاظ، ج٢، ص ٧.

(٤) المقريزي: الخطط، ج١، ص ٤٠٩، ٤٤٠.

(٥) النويري: نهاية الأرب، ج٢٨، ص ٣١٤.

ب. الخيول:

كان توفير الخيول لأفراد الجيش الفاطمي يشكل أحد اهتمامات الدولة بتوفير مُستلزمات الجيش القتالية، وقد جرت العادة عند قبول الجندي في الجيش أن يُعرض في ديوان الجيش من قبل الحاجب، ويُثبت اسمه في سجلات هذا الديوان، حتى إذا تم ذلك "عُرض دوابه فلا يُثبت له إلا الفرس الجيد من ذكور الخيل وإناثها، ولا يترك لأحد منهم برذون ولا بغل، وإن كان عندهم البراذين والبغال"(١).

ويُعد الخروج للقتال أهم الأوقات التي حرص الخليفة فيها على تزويد الجيش بحاجته من الخيول، فعندما جهز العزيز بالله جيشاً إلى بلاد الشام في جمادي الأولى سنة ٣٨٥هـ/٩٩٥م "اخرج للكُتاميين أربعة آلاف فرس، وأمر أن تُشترى لهم ألف أخرى"(٢).

كما حرص الخلفاء الفاطميون على توزيع مُستلزمات الخيول من السُروج واللُجم على الأمراء وأرباب الرتب، وكانت خزانة السروج –التي احتوت على ما يزيد على ألف سرج للخليفة وأرباب الرتب– تقوم بهذا العمل الحيوي، سواء في أيام المواكب، أو حين الخروج للقتال(٣).

ومما يتصل بالخيول وما يلحق بها من الجمال والبغال، توزيع العماريات (الهوادج) على كبار أمراء وقادة الجيش، ويطلق على هؤلاء "أرباب العماريات"، الذين يحظون بهذه الهوادج في المواكب والاحتفالات، وقد تميزت هذه الهوادج بروعتها وجمالها، إذ كانت تتكون من ستائر من الديباج الأحمر، أو الأصفر أو

---

(١) ابن الطوير: نزهة، ص ٨٢–٨٣، المقريزي: الخطط، ج١، ص ٤٠١، وانظر: القلقشندي: صبح الأعشى، ج٣، ص ٤٨٨.

(٢) ابن ميسر: المنتقى، ص ١١٧–١١٨.

(٣) القلقشندي: صبح الأعشى، ج٣، ص ٤٧٣.

القرمزي، أو من السِقلاطون المذهب، وعليه زنانير من الحرير بها نقوش من الفضة، وكان يُخصص للوزير منها عشرة عُماريات، ولصاحب الباب خمس، ولاسفهسلار العسكر أربع، ولبقية الأمراء من واحدة إلى ثلاث كل حسب درجته[1].

ج. الأضاحي:

اعتاد الخلفاء الفاطميون على توزيع لحوم الأضاحي على أفراد الجيش وأرباب الرواتب والرسوم في الدولة، إضافة إلى العامة من الفقراء والمحتاجين والمرتبين في المساجد ودور العلم، في مناسبتين:

الأولى: عيد النحر (الأضحى)، حيث تُذبح مئات الأبقار والجواميس والأغنام والإبل في اليومين الثاني والثالث من هذا العيد لتوزع بعد ذلك على مُستحقيها، كأحد أهم مظاهر الاحتفال بهذا العيد الذي يحرص الخليفة على الركوب فيه، وذبح العديد من المواشي بيده[2].

والمناسبة الثانية: عيد الغدير، وهو أهم أعياد الشيعة الذي يحرصون على الاهتمام بمظاهره سنويا وأحد مظاهر هذا الاهتمام توزيع الذبائح والنحائر على أرباب الرسوم في الدولة من المدنيين والعسكريين[3].

د. مخصصات أخرى:

لم يكن لأفراد الجيش الفاطمي مُخصصات ثابتة منتظمة شهرية أو سنوية شأن من جاء بعدهم من الأيوبيين والمماليك، لكن نظرةً إلى اهتمام الخلفاء الفاطميين بإظهار أبهة الدولة في العديد من المواسم والأعياد، نلاحظ أن كبار

---

(١) ابن الطوير: نزهة، ص ١٥٠، ماجد: نظم، ج٢، ص ٧٨-٧٩.

(٢) ابن الطوير: نزهة، ص ١٨٢-١٨٥، القلقشندي: صبح الأعشى، ج٣، ص ٥١١. المقريزي: الخطط، ج١، ص ٤٣٦-٤٣٧.

(٣) المقريزي: الخطط، ج١، ص ٤٩٢.

رجال الجيش الفاطمي قد حظوا بجانب هام من هذه المظاهر فكانوا يجلسون على الأسمطة (الموائد الرسمية) في الأعياد والمواسم[١].

أما قادة الجيش وأمرائه فيمكن القول بوجود مُرتبات شهرية مُنتظمة لهم من المواد العينية نَستشفُها من مثال واحد يتعلق بالقائد ابن عمار زعيم كُتامة الذي كانت مُخصصاته "مَبلغها من اللحم والتوابل والفواكه خمسمائة دينار في كل شهر، وفي اليوم سلة فاكهة بدينار، وعشرة أرطال شمع ونصف حمل ثلج"[٢].

ولقد قامت "الأهراء السلطانية" و "شُون الغلال" بالعمل على توفير بعض المُخصصات العينية المتعلقة بعلف الخيول التي يمتلكها أفراد الجيش[٣]، كما تقدم القمح لأفراد الجيش، ومنه يُصنع الكعك الذي يُحمل إلى رجال الأسطول حين الخروج للقتال[٤].

---

(١) ابن الطوير: نزهة، ص ٢١١–٢١٦، القلقشندي: صبح الأعشى، ج٣، ص ٥٢٣–٥٢٥.

(٢) المقريزي: الخطط، ج٢، ص ٣٧.

(٣) ابن الطوير: نزهة، ص ١٣٨–١٤٠، ١٤٠–١٤١، القلقشندي: صبح الأعشى، ج٣، ص ٤٧٥، المقريزي: الخطط، ج١، ص ٤٤٥، ٤٦٤–٤٦٥.

(٤) ابن الطوير: نزهة، ص ١٤٠، المقريزي: الخطط، ج١، ص ٤٦٤–٤٦٥، ماجد: نظم، ج٢، ص ٢٦–٢٧.


الذخيرة العربية

الخاتمة

في ضـوء دراسـة بُنيـة وتنظيـم الجـيش الفـاطمي في المغـرب ومـصر وبـلاد الشام يمكن الإشارة إلى الحقائق التالية:

- قامت الدولة الفاطمية في المغرب بعد نجاح الإسماعيلية في نشر التشيّع بـين قبائل البربر الذين غلبت عليهم البداوة والبعد عن الخضوع لأي سلطان.
- لقد كان اختيار أبي عبد الله الشيعي للنزول في قبيلة كُتامة مدروساً وموفقاً، فعلـى الـرغم مـن معارضـة بعض بطون هـذه القبيلـة لـه في البدايـة، إلا أنـه استطاع أن يؤسس جيشاً من خيرة فرسـان هـذه القبيلـة، تمكن بـه –بعد سلسلة من المعارك- من إسقاط دولة الأغالبة.
- اختـار المهـدي المغـرب لإنـشاء الدولـة الفاطميـة بـسبب بُعـدها عـن أعـداء الفاطميين، العباسيين في الشرق والأمويين في الغرب، وعلى الـرغم من هـذا البُعد، إلا أن هناك العديد من المشاكل التي واجهها الفـاطميون في المغـربين الأوسط والأقصى، بحيث بقيت سلطة الفاطميين عليها غير مستقرة لفترات طويلة.
- شـكلت جزيـرة صـقلية جانبـاً هامـاً مـن اهتمـام الفـاطميين في المغـرب، فقـد ورثوهـا عـن الأغالبـة، واتخـذوها قاعدة لشن الغـارات علـى أراضـي الدولـة البيزنطية في جنوب إيطاليا وعلى الشواطئ الشرقية للأندلس.
- كانت ثـورة أبـي يزيـد الخـارجي أخطـر ثـورة واجههـا الفـاطميون في المغـرب، وكلفـتهم أمـوالا وجهـوداً كـبيرة، وقـد أثبتـت الثـورة أن بـلاد المغـرب غـير

مناسبةٍ لاستمرار الدولة الجديدة الأمر الذي زاد من رغبة الخلفاء الفاطميين في الاتجاه نحو المشرق.

- كان فتح مصر؛ شغل الفاطميون الشاغل منذ اعتلاء المهدي الخلافة، واستمرت محاولات فتحها أيام القائم، ثم توقفت زمن المنصور –لانشغاله بإخماد ثورة أبي يزيد– ثم عادت المحاولات لتتحقق زمن المعز، بسبب ملائمة الظروف، وكان ذلك حلم الفاطميين في إنشاء دولة تناهض العباسيين، وجاءت القاهرة لتنافس بغداد في سيادة العالم الإسلامي آنذاك.

- ارتكزت البُنية البشرية للجيش الفاطمي في المغرب على البربر بصورة أساسية، وقد شكل أفراد قبيلة كُتامة، نواة الجيش الفاطمي زمن الداعي أبي عبد الله، وظلت عماد الجيش طول العهد المغربي للفاطميين.

- ساندت قبيلة صِنهاجة الجيش الفاطمي مساندةً جيدةً، ازدادت زمن المعز الذي اعتمد عليهم في إخضاع تمرد زناتة في نواحي المغرب الأوسط والأقصى مُستغلاً العداء القديم بين صِنهاجة وزِناتة.

- لم تقتصر البُنية البشرية للجيش الفاطمي في المغرب، على عناصر السكان المحليين من البربر بل استخدم الفاطميون الرقيق، بنوعيه الأسود (العبيد الزويلين)، والأبيض (الصقالبة) وكلاهما عناصر مجلوبة استخدمت في جيوش شمال أفريقيا في فترات سابقة للفاطميين، ولكن مكانتهم في الجيش الفاطمي كانت دون مكانة البربر وخاصة كُتامة، رغم اعتناء الفاطميين بالصقالبة بصورة خاصة.

- استفاد الفاطميون من المساعدات العسكرية التي قدمتها بعض الأسر العربية العريقة في المغرب كأسرة بني حمدون، التي ساعدت الجيش الفاطمي في إخضاع المغرب الأقصى، وأسرة بني الكلبي التي ساعدتهم في

إدارة شؤون جزيرة صقلية، والإشراف على الغارات الموجهة للأراضي البيزنطية.

- اتبع الفاطميون النظام التقليدي في تنظيم جيوشهم أثناء المعارك (ميمنة، ميسرة، قلب، ...الخ)، وهو النظام الذي عملت به الجيوش الإسلامية في مختلف الفترات.

- تميزت فرقة الفرسان المكونة من خيالة كُتامة بالخفة والسرعة وبراعة القتال واستطاعت إعداد قليلة منهم هزيمة أعداد كبيرة من أعدائهم من الأغالبة، وغيرهم، أما الرجالة أو المشاة، فقد ظهر دورهم بارزا أثناء المعركة أو في عمليات الحصار.

- اتبع الفاطميون في المغرب أسلوب الحشد بالنداء لجمع الجيش خاصة قبل إنشاء الديوان المسؤول عن إحصاء الجند وتسجيلهم، ليتم بعد ذلك عرضهم وتسليحهم وإعدادهم للمعركة.

- روعي في ترتيب الجيش الفاطمي في المغرب في أثناء المعارك الرابطة القبلية، إذ أن الجيش الفاطمي في بدايته كان جيشا قبلياً بالدرجة الأولى.

- كان الإمام يقوم أحيانا بقيادة الجيش ويتمركز في قلب المعركة مع خيرة فرسانه، وأوليائه.

- شكلت القوة البحرية جانباً هاماً من عناية الفاطميين بالجيش، منذ بناء المهدية وإنشاء دار لصناعة الأسطول فيها، وقد أثبت الأسطول الفاطمي في المغرب فعاليته القتالية سواء ضد بيزنطة في الشمال أو ضد الأمويين في الأندلس.

- أنشأ ديوان للعطاء زمن الخليفة المهدي، وهو بداية ظهور مؤسسات الجيش الفاطمي، وهو مسؤول عن تسجيل الجنود وإحصائهم وتقدير أعطياتهم.

- ظهرت خزائن السلاح بعد إنشاء المهدية لتصنيع الأسلحة ومعدات الأسطول وتخزينها لاستعمالها عند الحاجة، مما يدل على اهتمام واضح بالأسطول والقوة البحرية.
- استندت مصادر الإنفاق على الجيش الفاطمي إلى الغنائم بالدرجة الأولى، وبعض الأموال التي حصلوا عليها، مثل "دينار الهجرة" و "درهم الفطرة"، وهما من أسس الدعوة الشيعية الفاطمية.
- أنفق الفاطميون بسخاء على جيوشهم، وحظيت قبيلة كُتامة بأعلى المرتبات التي شملت أموالا نقدية، ومخصصات عينية مثل الكِسوة والأعلاف والأسلحة ولوازم السفر والاقطاعات كما بلغ من اهتمام الفاطميين بجيوشهم الاستمرار بالإنفاق على ذوي المقاتل بعد موته أو خروجه للقتال.
- تنوعت العناصر البشرية التي تكون منها الجيش الفاطمي في مصر، من عناصر مغربية ومشرقية وعناصر مجلوبة من الرقيق الأبيض والأسود.
- استمرت مشاركة العناصر المغربية التي كونت الجيش الفاطمي في المغرب، عسكرياً في مصر وقد ظلت قبيلة كُتامة البربرية أساس البُنية البشرية للجيش الفاطمي في مصر طوال عهود كل من المعز والعزيز والحاكم، حتى بدأت تتراجع تدريجيا مع سياسة الخلفاء المستمرة في إدخال عناصر جديدة من المشارقة والرقيق إلى الجيش، وتنامي أعداد هذه العناصر في الوقت الذي أخذت فيه أعداد أفراد كُتامة بالتناقص، حتى لم نعد نسمع عن ظهور واضح أو دور كبير لكُتامة في الجيش منذ النصف الثاني من القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي وحتى نهاية الدولة الفاطمية، ولما كانت هذه القبيلة صاحبة الفضل في قيام الدولة الفاطمية وتوسعها، فإن ذلك جعلها ترفض بشدة أن تشاركها عناصر جديدة اهتمام الخلفاء، واقتسام مكانتها ومرتباتها.

- بقيت العناصر المغربية الأخرى في الجيش الفاطمي في مصر كالمَصامدة والبُرقية وصِنهاجة والعبيد الزويليين وغيرهم، وهي عناصر كانت تشكل جزءا من جيش جوهر الفاتح وبعضها قدم مع المعز لدين الله في موجة عبور ثانية للمغاربة إلى مصر. وقد لعبت هذه العناصر أدوارا متباينة في نشاط الجيش الفاطمي في مصر وبلاد الشام.

- ظهر المشارقة في الجيش الفاطمي بعد فترة قصيرة من انتقال الفاطميين إلى مصر، وقد جاء إدخال الأتراك والديلم زمن العزيز لتوفر هذه العناصر في جيوش بلاد الشام مع استمرار تدفق هذه العناصر من شرق العالم الإسلامي، والواقع أن الأتراك امتازوا بمهارات قتالية عالية جعلتهم يشاركون في معظم الجيوش الإسلامية في ذلك الوقت. وقد أدى إدخال المشارقة في الجيش إلى قيام الصراعات الدامية بين طوائف الجيش من المغاربة والمشارقة، كان أشدها صراع الأتراك مع المغاربة من كُتامة أيام الحاكم بأمر الله والسنوات التالية من حكم خلفائه، وصراع الأتراك مع السودان لسنوات طويلة من عهد المستنصر بالله، وقد ظل الأتراك يمثلون عنصراً هاماً في الجيش حتى حل محلهم تدريجيا عناصر من الأرمن والسودان.

- كان إدخال الأرمن في الجيش الفاطمي، بداية تحول هام في بُنية الجيش البشرية، وقد هيأ عهد المستنصر ظرفا مناسبا لإدخال هذا العنصر، الذي لم يُقمُ الخلفاء السابقون بإدخاله في الجيش خوفا من حدوث المزيد من صراع الجند فيما بينهم، وقد جاءت محاولة المستنصر للتخلص من رؤوس الفتنة من الأتراك وغيرهم، لتجعل العناصر السابقة من الأتراك والمغاربة تتراجع أمام العنصر الأرمني الجديد الذي استمر يشكل عنصراً هاماً في ذلك الجيش حتى نهاية الدولة الفاطمية.

- شارك الأكراد في الجيش الفاطمي بنسبة أقل من العناصر الأخرى، ولم تُسعف الإشارات القليلة حولهم في المصادر، في تشكيل صورة واضحة عن حجم مشاركتهم في الجيش الفاطمي.

- دخل الرقيق إلى الجيش الفاطمي -كما دخل الجيوش الإسلامية الأخرى- منذ إعلان الدولة الفاطمية في المغرب، وكان العبيد الزويليون السود والصقالبة عناصر لها حضورها الواضح في تلك الفترة، وفي مصر استمر وجود الصقالبة في الجيش، ولكن دورهم العسكري تقلص كثيرا واقتصرت أدوارهم في الغالب -مع استثناء بعض القادة- على وظائف إدارية، أو وظائف متعلقة بالقصر وشؤون الخلافة.

- شكل العبيد السود الجانب الهام من مساهمة الرقيق في الجيش الفاطمي، ومع تعدد طرق الحصول على العبيد السود في مصر، كان انتهاج الدولة لسياسة شراء الرقيق، سبباً لاستمرار هذا العنصر في الجيش حتى نهاية الدولة الفاطمية، وليس أدل على ذلك من أمرين:

١. ظهور مصطلح عبيد الشراء ليدل على أعداد كبيرة من العبيد السود الذين جاءوا عن طريق الشراء.

٢. ضخامة أعداد السودان التي استمرت في الظهور حتى سقوط الدولة الفاطمية.

- أطلق الفاطميون على طبقة العبيد الرفيعة في بلاطهم وجيوشهم مصطلح "الأستاذون" لتمييزهم عن غيرهم من بني جنسهم، وقد حظيت هذه الطبقة بملازمة الخليفة وتولي الوظائف الهامة في الدولة.

- ضم الجيش الفاطمي العديد من طوائف الصبيان بعضها شكل الحرس الخاص للخليفة (صبيان الخاص) وبعضها جرى عليه التعليم والتدريب

الدقيق (صبيان الحُجر)، إضافة إلى العديد من العناصر الملحقة بخدمة الخليفة في مواكبه وحياته اليومية.

- تميزت طبقة الأمراء في الجيش الفاطمي بمكانة هامة في الدولة، خاصة بعد أن أصبحت الوزارة يليها الأمراء من أرباب السيوف، ومنذ تولي بدر الجمالي الوزارة في خلافة المستنصر بالله دخلت مصر الفاطمية في دور تسلط أمراء الجيش على الدول حتى نهاية العصر الفاطمي مع تراجع واضح لمكانة الخليفة ودوره في إدارة الدولة.

- عرف الجيش الفاطمي التقسيم المعروف بـ "الطوائف"، وهو مصطلح أطلق على الجماعات العسكرية التي شُكلت من قبل بعض الخلفاء أو الوزراء أو كبار الأمراء والخدام، وهذه الطوائف تُظهر بلا شك حرص هؤلاء على تكوين فرق صغيرة من الجيش لاستخدامه في الأوقات الحرجة التي تتعلق أما بالإمامة أو الوزارة، والدور الذي لعبته كبرى هذه الطوائف في الصراعات الداخلية في مصر الفاطمية يؤيد هذا القول.

- اهتم الخلفاء الفاطميون بالقوة البحرية اهتماماً بالغاً منذ إعلان دولتهم في المغرب، واستمر هذا الاهتمام وقوي بعد انتقالهم إلى مصر، ولا أدلَّ على ذلك من إنشاء دور صناعة الأساطيل في مصر وتجديد القائم منها، وحِرص الخلفاء على استمرارية صناعة السفن، والاهتمام الواضح برجال الأسطول من حيث صرف مخصصاتهم المختلفة بسخاء، وإظهار العناية البالغة بوداع واستقبال رجال الأسطول.

- لعب الأسطول الفاطمي دوراً هاماً في نشاط الجيش الفاطمي خارج مصر، خاصة في الفترة التي شهدت قدوم الحملات الصليبية على بلاد الشام، وكان للأسطول الفاطمي دور كبير في تزويد العديد من المدن الساحلية الشامية بالمؤن والرجال، وفي الإغارة على العديد من المواقع الصليبية في بلاد الشام.

- كان للعربان –وخاصة قبيلة طيء- دور هام في مساندة جيوش الفاطميين في بلاد الشام ومصر، مع حالات كثيرة ظهر فيها هذا الدور سلبياً عند تضارب مصالحهم المالية مع مصلحة الدولة الفاطمية.

- قام ديوان الجيش بدور كبير في الإشراف على الشؤون المالية والإقطاعية للجيش الفاطمي، وسانده في الأمور المتعلقة بترتيبات منح الاقطاعات للأجناد، وإعداد الوثائق والسجلات الخاصة بالرواتب الشهرية لرجال الدولة من مدنيين وعكسريين كل من ديوان الرواتب والإقطاع والمجلس.

- اختص ديوان العمائر أو ديوان الجهاد بشؤون الإشراف المباشر على الأسطول الفاطمي وخاصة ما يتعلق بدور الصناعة ما تحتاج إليه من مواد لازمة لصناعة السفن، وتأمين الميزانية اللازمة للإنفاق على هذا التصنيع.

- ظهرت بعض الدواوين لأسباب وظروف معينة وزالت بزوال هذه الأسباب والظروف كديوان الكتاميين الذي أشرف على شؤون قبيلة كُتامة البربرية في مصر، ثم اختفى مع تراجع دور هذه القبيلة في الجيش الفاطمي.

- ساهمت بعض الدواوين الفرعية في تأمين مستلزمات الجيش من الكسوات والخيول.

- كان لخزائن القصر الفاطمي الكبير في القاهرة دوراً هاماً في إدارة الجيش الفاطمي، وهي خزائن اختصت بكل ما يتعلق بالجيش من أسلحة وألبسة وسروج وإعلام وخيم ونحوها، وقد شكلت هذه الخزائن مؤسسات قائمة بذاتها من حيث إدارتها المستقلة، وكثرة العاملين والقائمين على إدارتها، كما كان للحواصل المرتبطة بالاصطبلات ومخازن الغلال والأعلاف أهمية كبيرة في الأمور المتعلقة بمخصصات الجيش من الخيول والدواب.

- قام على إدارة فرق الجيش الفاطمي وطوائفه المختلفة العديد من الوظائف القيادية الهامة كالأزمّة والمُقدمون والنُقباء والعُرفاء ونحوهم، ولهؤلاء دور

هــام في الإشــراف علــى أفــراد الجـيش الفــاطمي، وضــمان اســتمرارية انضباطهم وجاهزيتهم للخدمة والقتال.

- أظهر العرض العسكري الذي كان يقوم به الخلفاء الفاطميون في العديد من المناسبات، مدى اهتمام الخلفاء بالجيش الفاطمي وما يرتبط به من ألبسة وأسلحة وسفن ونفقة وغيرها، إظهارا لأُبهة الدولة وقوتها أمام رُسل الدول المجاورة.
- شكل الإقطاع العسكري ركيزة هامة في نظام الإنفاق على الجيش الفاطمي، كما كان للرواتب الشهرية المنتظمة التي صُرفت لأفراد الجيش دور كبير في تأمين الأموال اللازمة لحياتهم اليومية على حين قامت نفقة الحرب بتأمين جاهزيتهم للقتال وقت الحرب، ولم يُنس الخلفاء الإنفاق على أفراد الجيش في العديد من المناسبات الهامة.
- مثلت الكِسوة مظهراً هاماً من مظاهر ثراء الدولة الفاطمية، والذي ظهر واضحاً على كبار أفراد الجيش الفاطمي في العديد من المناسبات.
- حــرص الخلفــاء الفــاطميون علــى مــنح الخيــول لأفــراد الجــيش لتــأمين اسـتعدادهم الكامـل للقتـال ولم يـنسَ الخلفـاء إضـفاء النعمـة علـى أفـراد الجيش في مناسبات عدة كتوزيع الأضاحي عليهم أو دعوتهم لتناول الموائد الرسمية (الأسمطة).


الذخيرة العربية

الملاحق

١. ملحق رقم (١): وصف مركب الخليفة في ركوب أول العام وعناصر الجيش الفاطمي المشاركة فيه.

٢. ملحق رقم (٢): وصف ركوب الخليفة في عيد الغدير وعناصر الجيش الفاطمي المشاركة فيه.

٣. ملحق رقم (٣): وصف الرحالة الفارسي ناص خسرو لفرق الجيش الفاطمي المشاركة في يوم فتح الخليج زمن خلافة المستنصر بالله الفاطمي.

٤. ملحق رقم (٤): نسخة سجل بزم طائفة (من طوائف الجيش الفاطمي) من أنشاء القاضي الفاضل.

٥. ملحق رقم (٥): نسخة تقليد بزم طوائف الرجال.


الذخيرة العربية

ملحق رقم (١): وصف موكب الخليفة في ركوب أول العام وعناصر الجيش الفاطمي المشاركة فيه.

من كتاب: نزهة المقلتين لابن الطوير: ص١٤٧-١٦٧

المواعظ والاعتبار للمقريزي: ج١ ص ٤٤٦-٤٥٠.

"قال إبن الطوير: فإذا كان العشر الآخر من ذي الحجة من كل سنة، انتصب كل من المستخدمين بالأماكن التي يأتي ذكرها لإخراج آلات الموكب من الأسلحة وغيرها، فيخرج من خزائن الأسلحة ما يحمله صبيان الركاب حول الخليفة من السلاح، وهو: الصماصم المصقولة المذهبة مكان السيوف المحدبة لغيرهم، والدبابيس الملبسة بالكيمخت[1] الأحمر والأسود ورؤسها مدورة مضرسة أيضا، واللتوت[2] كذلك، ورؤسها مستطيلة مضرسة أيضا، وآلات يقال لها المستوفيات، وهي عمد حديد من طول ذراعين مربعة الأشكال بمقابض مدورة في أيديهم بعدة معلومة من كل صنف فيسلمها نقباؤهم في ضمانهم وعليهم إعادتها إلى الخزائن بعد تقضي الخدمة بها.

ويخرج لطائفة من العبيد الأقوياء السودان الشباب، ويقال لهم "أرباب السلاح الصغير"، وهم ثلاثمائة عبد، لكل واحد حربتان بأسنة مصقولة تحتها

---

(١) الكيمخت: نوع من الجلود يستخدم في صناعة الدروع والجواش، نزهة المقلتين ص ١٤٨ هامش(٣).

(٢) اللتوت: جمع لت بمعنى الفأس أو القدوم، نزهة المقلتين ص ١٤٨ هامش (٤).

جلب فضة. كل اثنتين في شرابة، وثلاثمائة درقة بكوابج[1] فضة، يتسلم ذلك عرفاؤهم على ما تقدم، فيسلمونه للعبيد لكل واحد حربتان ودرقة.

ثم يخرج من خزانة التجمل، وهي من حقوق خزائن السلاح، القصب الفضة برسم تشريف الوزير والأمراء أرباب الرتب وأزمة العساكر والطوائف من الفارس والراجل، وهي رماح ملبسة بأنابيب الفضلة المنقوشة بالذهب إلا ذراعين منها، فينشد في ذلك الخالي من الأنابيب عدة من المعاجر[2] الشرب الملونة وتترك أطرافها المرقومة مسبلة كالسناجق وبرؤسها رمامين منفوخة فضة مذهبة وأهلة مجوفة كذلك، وفيها جلاجل لها حس إذا تحركت، وتكون عدتها ما يقرب من مائة.

ومن العماريات[3]، وهي شبه الكجاوات[4] من الديباج الأحمر، وهو أجلها، والأصفر والقرقوبي والسقلاطون مبطنة مضبوطة بزنانير حرير، وعلى دائرة التربيع منها مناطق بكوابج فضة مسمورة في جلد نظير عدد القصب، فيسير من القصب عشرة ومن العماريات مثلها من الحمر خاصة للوزير.

ويخرج للوزير خاصة لواءان على رمحين طويلين ملبسين مثل تلك الأنابيب ونفس اللواء ملفوف غير منشور، وهذا التشريف يسير أمام الوزير وهو للأمراء من ورائهم، ثم يسير للأمراء أرباب الرتب في الخدم وأولهم صاحب الباب وهو أجلهم، خمس قصبات وخمس عماريات، ويرسل لاسفهسلار العساكر أربع قصبات وأربع عماريات من عدة ألوان، ومن سواهما من الأمراء على قدر طبقاتهم ثلاث قصبات وثلاث عماريات، واثنتان، وواحدة وواحدة.

---

(١) الكوابج: لفظ تركي بمعنى الصرة التي في وسطها حلية، نزهة المقلتين ص ١٤٨ هامش (٦).

(٢) المعاجر: ضرب من الثياب على شكل ثوب يلف به، نزهة المقلتين ص ١٤٩ هامش (٣٩)،

(٣) العماريات، جمع عمارية وهي الهودج، نزهة المقلتين، ص ١٤٩ هامش (٧).

(٤) الكجاوات: لفظ فارسي بمعنى المحمل أو المحفة، نزهة المقلتين، ص ١٤٩ هامش (٨).

ثم يخرج من البنود الخاص الدبيقي المرقوم الملون عشرة برماح ملبسة بالأنابيب وعلى رؤسها الرمامين والأهلة للوزير خاصة، ودون هذه البنود مما هو من الحرير على رماح غير ملبسة ورؤسها ورمامنيها من نحاس مطلي بالذهب، فتكون هذه أمام الأمراء المذكورين من تسعة إلى سبعة إلى خمسة.

ثم يخرج لقوم يقال لهم السَبَرْبَرية، سلاح كل قطعة طول سبعة أذرع برأسها طلعة مصقولة وهي من خشب القنطاريات داخلة في الطلعة، وعقبها من حديد مدور السفل، وهي في كف حاملها الأيمن وهو يفتلها فيه فتلا متدارك الدوران، وفي يده اليسرى نشابة كبيرة يخطر بها وعدتها ستون مع ستين رجلا يسيرون رجالة في الموكب يمنة ويسرة.

ثم يحرج من النقارات حمل عشرين بغلا على كل بغل ثلاث، مثل نقارات الكوسات بغير كوسات، يقال لها طبول حلب يتسلمها صناعها ويسيرون في الموكب اثنين اثنين ولهما حس مستحسن، وكان لها ميزة عندهم في التشريف.

ثم يخرج لقوم متطوعين بغير حار ولا جراية، تقرب عدتهم من مائة رجل لكل واحد درقة من درقة اللمط، هي واسعة، وسيف، ويسيرون أيضا رجاله في الموكب، هذه وظيفة خزائن السلاح.

ثم يحضر حامي خزائن السروج، وهو من الأستاذين المحنكين، إليها مع مشارفها، وهو من الشهود المعدلين، فيخرج منها برسم خاص الخليفة من الركبان الحلي ما هو برسم ركوبه وما يجنب في موكبه مائة سرج، منها سبعون على سبعين حصاناً ومنها ثلاثون على بغال وبغلات، كل مركب مصوغ من ذهب أو من ذهب وفضة أو من ذهب منزل فيه المينا، أو من فضة منزلة بالمينا، وروادفها وقرابيسها من نسبتها ومنها ما هو مرصع بالجواهر الفائقة وفي أعناقها الأطواق الذهب وقلائد العنبر، وربما يكون في أيدي وأرجل أكثرها خلاخل مسطوحة دائرة عليها، ومكان الجلد من السروج الديباج الأحمر والأصفر وغيرهما من الألوان والسقلاطون المنقوش بألوان الحرير، قيمة كل

دابة وما عليها من العدة ألف دينار، فيشرف الوزير من هذه بعشرة خصصن لركوبه وأولاده وإخوانه ومن يعز عليه من أقاربه، ويسلم ذلك لعرفاء الاصطبلات بالعرض عليهم من الجرائد التي هي ثابتة فيها بعلاماتها في أماكنها وأعدادها، وعدد كل مركب منقوش عليه مثل أول وثان وثالث إلى آخرها كما هو مسطور في الجرائد فيعرف بذلك قطعة قطعة ويسلمها العرفاء للشدادين لضمانهم بضمن عرفائهم إلى أن تعود وعليهم غرامة ما نقص منها وإعادتها برمتها.

ثم يخرج من الخزانة المذكورة لأرباب الدواوين المرتبين في الخدم على مقاديرهم مركبات أيضا من الحلي دون ما تقدم ذكره ما يقرب عدته من ثلاثمائة مركب على خيل وبغلات وبغال يتسلمها العرفاء المقدم ذكرهم على الوجه المذكور، وينتدب حاجب يحضر على التفرقة لفلان وفلان من أرباب الخدم سيفا وقلما فيعرف كل شداد صاحبه فيحضر إليه بالقاهرة ومصر سحر يوم الركوب ولهم من الركاب رسم من دينار إلى نصف دينار إلى ثلث دينار.

فإذا تكامل هذا الأمر وتسلم أيضا الجمالون بالمناخات أغشية العماريات، وتكون إزاحة العلة في ذلك كله إلى آخر الثامن والعشرين من ذي الحجة، وأصبح اليوم التاسع والعشرون، وهو سلخه على رأي القوم، عزم الخليفة على الجلوس في الشباك لعرض دوابه الخاص المقدم ذكرها ويقال له "يوم عرض الخيل"، فيستدعى الوزير بصاحب الرسالة، هو من كبار الأستاذين المحنكين وفصحائهم وعقلائهم ومحصليهم، فيمضي إلى استدعائه في هيئة المسرعين على حصن دهراج (سريع) امتثالا لأمر الخليفة بالإسراع على خلاف حركته المعتادة، فإذا عاد مثل بين يدي الخليفة وأعلمه باستدعاء الوزير فيخرج من مكانه راكبا في القصر، ولا يركب أحد في القصر إلا الخليفة، فينزل في السهدلا بدهليز باب الملك الذي فيه الشباك وعليه من ظاهرة للناس ستر، فيقف من جانبه الأيمن زمام القصر، ومن جانبه الأيسر صاحب بيت المال، وهما من الأستاذين المحنكين، فيركب من داره وبين يديه الأمراء، فإذا وصل إلى باب القصر ترجل

الأمراء وهو راكب، ويكون دخوله في هذا اليوم من باب العيد ولا يزال راكبا إلى أول باب من الدهاليز الطوال، فينزل ويمشي فيها وحواليه حاشيته وغلمانه وأصحابه ومن يراه من أولاده وأقاربه، فيصل إلى الشباك فيجد تحته كرسيا كبيرا من كراسي السكين الحديد، فيجلس عليه ورجلاه تطأ الأرض، فإذا استوى جالسا رفع كل أستاذ الستر من جانبه فيرى الخليفة جالسا في المرتبة الهائلة، فيقف ويسلم ويخدم بيده إلى الأرض ثلاث مرات، ثم يؤمر بالجلوس على كرسيه فيجلس، ويستفتح القراء بالقراءة قبل كل شيء بآيات لائقة بذلك المكان مقدار نصف ساعة ثم يسلم الأمراء ويشرع في عرض تلك الدواب الخاص المقدم ذكرها دابة دابة، هي تقاد كالعرائس بأيدي شداديها إلى أن يكتمل عرضها، فيقرأ لختم ذلك الجلوس، ويرخي الأستاذين السترين فيقوم الوزير ويدخل إليه ويقبل يديه ورجليه وينصرف عنه خارجا إلى داره، فيركب من مكان نزوله والأمراء بين يديه لوداعه إلى داره ركبانا ومشاة إلى قرب المكان وينقضي هذا الأمر.

فإذا صلى الخليفة الظهر، بعد انقضاض ما تقدم، جلس لعرض ما يلبسه في غد تلك الليلة وهو "يوم استفتاح العام" بخزائن الكسوات الخاصة ويكون لباسه فيه البياض غير الموشح فيعين على منديل خاص وبدلة، فأما المنديل فيسلم لشاد التاج الشريف، ويقال لها "شدة الوقار"، وهو من الأستاذين المحنكين، وله ميزة لماسة ما يعلو تاج الخليفة فيشدها شدة غريبة لا يعرفها سواه شكل الأهليلجة، ثم يحضر إليه "اليتيمة" وهي جوهرة عظيمة لا يعرف لها قيمة، فتنتظم هي وحواليها دونها من الجواهر وهي موضوعة في "الحافر" وهو شكل الهلال من ياقوت أحمر ليس له مثال في الدنيا، فينتظم على خرقة حرير أحسن وضع، فيخيطها شاد التاج بخياطة خفية ممكنة فتكون بأعلا جبهة الخليفة، ويقال أن زنة الجوهرة سبعة دراهم، وزنة الحافر أحد عشر مثقالا وبدائرها قصب زمرد ذيابي له قدر عظيم.

ثم يؤمر بشد المظلة التي تشاكل تلك البدلة المحضرة بين يديه معها وهي مناسبة للثياب ولها عندهم جلالة لكونها تعلو رأس الخليفة، وهي اثنا عشر شوزكا عرض سفل كل شوزك شبر وطوله ثلاثة أذرع وثلث وآخر الشوزك من فوق دقيق جدا فيجتمع ما بين الشوازك في رأس عمودها بدائرة وهو قنطارية من الزان ملبسة بأنابيب الذهب، وفي آخر أنبوبة تلي الرأس من جسمه فلكه بارزة مقدار عرض إبهام تشد آخر الشوازك في حلقة من ذهب وتنزل شنقا في رأس الرمح وهو مفروض فتلقى تلك الفلكة فتمنع المظلة من الحدور في العمود المذكورة ولها أضلاع من خشب الخلنج مربعات مكسورة بورق الذهب على عدة الشوازك خفاف في الوزن طولها طول الشوازك، وفيها خطاطيف لطاف وحلق يمسك بعضها بعضا، وهي تنضم وتنفتح على طريقة شوكات الكيزان، ولها راس شبه الرمانة وتعلوه رمانة صغيرة كلها ذهب مرصع بجوهر يظهر للعيان، ولها رفرف دائر يفتحها من نسبتها عرضه أكثر من شبر ونصف وسفل الرمانة فاصل يكون مقداره ثلاث أصابع، فإذا أدخلت الحلقة الذهب الجامعة لآخر شوازك المظلة في رأس العمود ركبت الرمانة عليها ولفت في عرضي ديبقي مذهب فلا يكشفها منه إلا حاملها عند تسليمها إليه أول وقت الركوب.

ثم يؤمر بشد لواءي الحمد المختصين بالخليفة وهما رمحان طويلان ملبسان بمثل أنابيب عمود المظلة إلى حد أسنتهما، وهما من الحرير الأبيض المرقوم بالذهب، وهما غير منشورين بل ملفوفين على جسم الرمحين فيشدان ليخرجا بخروج المظلة إلى أميرين من حاشية الخليفة برسم حملهما.

وتخرج أحد وعشرين راية لطافا من الحرير المرقوم ملونة بكتابة تخالف ألوانها من غيره ونص كتابتها. ﴿نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ﴾[1]، على رماح مقومة من القنا المنتقى طول كل راية ذراعان في عرض ذراع ونصف في كل واحد ثلاث

---

(١) سورة الصف- الآية ١٣.

طرازات، فتسلم لإحدى وعشرين رجلا من فرسان صبيان الخاص، ولهم بشارة عوده سالما أحد وعشرين دينارا.

ثم يخرج رمحان رؤسهما أهلة من ذهب صامتة في كل واحدة سبع من ديباج أحمر وأصفر وفي فمه طارة مستديرة يدخل فيها الريح فينتفخان فيظهر شكلهما ويتسلمهما أيضا فارسان من صبيان الخاص فيكونان أمام الرايات.

ثم يخرج السيف الخاص وهو من صاعقة وقعت على ما يقال، وحليته ذهب مرصع بالجواهر في خريطة مرقومة بالذهب لا يظهر إلا رأسه ليسلم إلى حامله مع خروج المظلة أيضا، وهو أمير عظيم القدر، وهذه عندهم رتبة جليلة المقدار، وهو أكبر حامل.

ثم يخرج الرمح، وهو رمح لطيف في غلاف منظوم من اللؤلؤ وله سنان مختصر بحلية ذهب ودرقة بكوابح ذهب فيها سعة منسوبة إلى حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه، في غشاء من حرير لتخرج إلى حاملها وهو أمير مميز، ولهذه الخدمة وصاحبها عندهم جلالة.

ثم يعلم الناس بطريق الموكب، وسلوكه لا يتعدى دورتين أحداهما كبرى والأخرى صغرى، أما الكبرى فمن القصر إلى باب النصر مارا إلى حوض عز الملك نبا ومسجده هناك وهو أقصاه ثم ينعطف على يساره طالبا باب الفتوح إلى القصر، والأخرى إذا خرج من باب النصر سار حافا بالسور ودخل من باب الفتوح، فيعلم الناس بسلوك أحداهما فيسيرون إذا ركب الخليفة فيها من غير تبديل للموكب إلا وقد أجمع من بالقاهرة ومصر من أرباب الرتب التغييرات من أرباب السيوف والأقلام قياما بين القصرين وكان مراحا واسعا خاليا من البناء الذي فيه اليوم فيسع القوم لانتظار ركوب الخليفة.

ويبكر الأمراء إلى الوزير إلى داره فيركب إلى القصر من غير استدعاء لإنهاء خدمة لازمة للخليفة، فيسير أمامه تشريفه المقدم ذكره والأمراء بين يديه ركبانا ومشاة، وأمامه أولاده وإخوته وكل منهم مرخى الذؤابة بلا حنك وهو في

أهبة عظيمة من الثياب الفاخرة والمنديل وهو بالخنك ويتقلد السيف المذهب، فإذا وصل القصر ترجل قبله أهله في أخص مكان لا تصل الأمراء إليه، ودخل من باب القصر وهو راكب دون الحاضرين إلى دهليز يقال له (دهليز العمود)، فيترجل على مصطبة هناك ويمشي بقية الدهاليز إلى القاعة، فيدخل (مقطع الوزارة) هو وأولاده وإخوته وخواص حواشيه، ويجلس الأمراء بالقاعة على دكك معدة لذلك مكسوة في الصيف بالحصر السامان وفي الشتاء بالبسط الجهرمية المحفورة.

فإذا دخلت الدابة لركوب الخليفة وأسندت إلى الكرسي الذي يركب عليها منها من باب المجلس أخرجت المظلة إلى حاملها فيكشفها مما هي ملفوفة فيه غير مطبنة، فيتسلمها بإعانة أربعة من الصقالبة برسم خدمتها، فيركزها في آلة حديد متخذة شكل القرن المصطخب وهو مشدود في ركاب حاملها الأيمن بقوة وتأكيد بعقبها، فيمسك العمود بحاجز فوق يده فيبقى وهو منتصب واقف، ولم يذكر قط أنها اضطربت في ريح عاصف، ثم يخرج السيف فيتسلمه حامله، فإذا تسلمه أرخيت ذؤابته مادام حاملا له ثم تخرج الدواة فتسلم لحاملها وهو من الأستاذين المحنكين، وكان الوزراء حملوها لقوم من الشهود المعدلين، وهي الدواة التي كانت من أعاجيب الزمان، وهي في نفسها من الذهب وحلتها مرجان وهي ملفوفة في منديل شرب بياض مذهب،..........

فيخرج الوزير ومن كان معه من المقطع وينضم إليه الأمراء ويقفون إلى جانب الدابة، فيرفع صاحب المجلس الستر فيخرج من كان عند الخليفة للخدمة منهم وفي أثرهم يبرز الخليفة بالهيئة المشروح حالها في لباسه الثياب المعروضة عليه والمنديل الحامل لليتيمية بأعلى جبهته، وهو محنك مرخي الذؤابة مما يلي جانبه الأيسر، ويتقلد السيف العربي وبيده (قضيب المُلْك) وهو طول شبر ونصف من عود مكسو بالذهب المرصع بالدر والجوهر، فيسلم على الوزير قوم مرتبون لذلك وعلى أهله وعلى الأمراء بعدهم.

ثم يخرج أولئك فأولا، والوزير يخرج بعد الأمراء، فيركب ويقف قبالة باب القصر بهيئته ويخرج الخليفة راكبا، وحواليه الأستاذون ودابته ماشية على بسط مفروشة خفية من زلقها على الرخام، فإذا قارب الباب وظهر وجهه، ضرب رجل بيوق لطيف من ذهب معوج الرأس يقال له الغريبة، بصوت عجيب يخالف أصوات البوقات، فإذا سمع ذلك ضربت الأبواق في الموكب ونشرت المظلة وبرز الخليفة من الباب، ووقف وقفة يسيرة بمقدار ركوب الأستاذين المحنكين وغيرهم من أرباب الرتب الذين كانوا بالقاعة للخدمة، وسار الخليفة وعلى يساره صاحب المظلة هو يبالغ أن يزول عنها ظلها، ثم يكتنف الخليفة مقدمو صبيان الركاب، منهم اثنان في جانبي الشكيمتين، واثنان في عنق الدابة من الجانبين، واثنان في ركابيه، فالأعين مقدم المقدمين وهو صاحب المقرعة التي يناولها ويتناولها، وهو المؤدي عن الخليفة مدة ركوبه الأوامر والنواهي.

ويسير الموكب بالحث فأوله فروع الأمراء وأولادهم وأخلاط بعض العسكر إلى الأماثل إلى أرباب القصب إلى أرباب الأطواق إلى الأستاذين المحنكين إلى حاملي اللواءين من الجانبين إلى حامل الدواة وهي بينة وبين قربوس السرج إلى صاحب السيف، وهما في الجانب الأيسر كل واحد فمن تقدم ذكره بين عشرة إلى عشرين من أصحابه، ويحجبه أهل الوزير القدم ذكرهم من الجانب الأيمن بعد الأستاذين المحنكين.

ثم يأتي الخليفة وحواليه (صبيان الركاب) المذكور تفرقه السلاح فيهم، وهم أكثر من ألف رجل، وعليهم المناديل الطبقيات، وهم متقلدون بالسيوف وأوساطهم مشدودة بمناديل، وفي أيديهم السلاح مشهور، وهم من جانبي الخليفة كالجناحين المادين، وبينهما فرجة لوجه الدابة ليس فيها أحد، وبالقرب من رأسها الصقلبيان الحاملان "للمذبتين" وهما مرفوعتان كالنخلتين لما يسقط من طائر وغيره، وهو سائر على تؤدة ورفق.

وفي طول الموكب من أوله إلى آخره "والي القاهرة" مارا وعائدا لفسح

الطرقات وتسيير الركبان، وفيلقي في عوده الاسفهسلار كذلك مارا وعائدا لبحث الناس والأجناد في الحركة، والإنكار على المزاحمين المعترضين، فيلقى في عوده صاحب الباب، ومروره في زمرة الخليفة إلى أن يصل إلى الاسفهسلار، فيعود لترتيب الموكب وحراسة طرقات الخليفة، وفي يد كل منهم دبوس، وهو راكب خير دوابه وأسرعها، هذا كله أمام الموكب.

ثم يسير خلف دابة الخليفة قوم من "صبيان الركاب" لحفظ أعقابه، ثم عده يحملون عشرة سيوف في خرائط ديباج أحمر وأصفر بشراريب غزيرة يقال لها "سيوف الدم" برسم ضرب الأعناق، ثم يسير بعدهم صبيان السلاح الصغير أرباب الفرنجيات المقدم ذكرهم أولا.

ثم يأتي الوزير في هيئته وفي ركابه من أصحابه قوم يقال لهم "صبيان الزرد" من أقوياء الأجناد باختياره لنفسه ما مقداره خمسمائة رجل من جانبه لطيفة أمامه دون فرجة الخليفة وكأنه على وقار من حراسة الخليفة، ويجتهد أن لا يغيب عن نظره، وخلفه الطبول والصنوج والصفافير، وهو من عدة كثرة تدوي بأصواتها وحسها الدنيا.

ثم يأتي حامل الرمح المقدم ذكره ودرقه حمزة، ثم طوائف الراجل من الريحانية والجيوشية وقبلهما المصامدة ثم الفرحية ثم الوزيرية زمرة زمرة، في عدة وافرة تزيد على أربعة آلاف في الوقت الحاضر وهو أضعاف ذلك، ثم أصحاب الرايات والسبعين، ثم طوائف العساكر من الآمرية والحافظية والحجرية الكبار والحجرية الصغار المنقولين والأفضلية والجيوشية، ثم الأتراك المصطنعين ثم الديلم ثم الأكراد ثم الغز المصطنعة، وقد كان تقدم هؤلاء الفرسان عدة وافرة من المترجلة أرباب قسي اليد وقسي الرجل في أكثر من خمسمائة وهم المعدون للأساطيل، ويكون من الفرسان المقدم ذكرهم ما يزيد على ثلاثة آلاف وهذا كله بعض من كل.

فإذا انتهى الموكب إلى المكان المحدود عادوا على أدراجهم، ويدخلون من

باب الفتوح ويقفون بين القصرين بعد الركوب كما كانوا قبله، فإذا وصل الخليفة إلى الجامع الأقمر، بالقماحين اليوم، وقف وقفة بجملته في موكبه، وانفرج الموكب للوزير فتحرك مسرعا ليصير أمام الخليفة ليدخل بين يديه فيمر بالخليفة فيسكع سكعة ظاهرة فيشير الخليفة للسلام عليه إشارة خفيفة، وهذا أعظم مكارمه تصدر عن الخليفة ولا تكون إلا للوزير صاحب السيف، فيفارقه ويسبقه إلى دخول الباب بالقصر راكبا على عادته إلى موضعه ويكون الأمراء قد نزلوا قبله لأنهم في أوائل الموكب، فإذا وصل الخليفة إلى باب القصر ودخله وترجل الوزير ودخل قبله الأستاذون المحنكون فيحدقون به والوزير أمام وجه دابته من مكان ترجله إلى الكرسي الذي ركب منه فينزل عليه ويدخل إلى مكانه بعد خدمة المذكورين له، فيخرج الوزير فيركب من مكانه الجاري به عادته والأمراء بين يديه وأقاربه بين يديه إلى داره فيدخل، وينزل أيضا إلى مكانه على كرسي فيخدمه الجماعة بالوداع.

ملحق رقم (٢): وصف ركوب الخليفة في عيد الغدير وعناصر الجيش الفاطمي المشاركة فيه

من كتاب: نزهة المقلتين لابن الطوير ص ١٨٦-١٨٩.

"قال ابن الطوير: إذا كان العشر الأوسط من ذي الحجة اهتم الأمراء والأجناد بركوب عيد الغدير، وهو في الثامن عشر منه، وفيه خطبة وركوب الخليفة بغير مظلة ولا يتيمة ولا خروج عن القاهرة، ولا يخرج لأحد شيء، فإذا كان أول ذلك اليوم ركب الوزير بالاستدعاء الجاري به العادة فيدخل القصر، وفي دخوله بروز الخليفة لركوبه من الكرسي على عادته فيخدم ويخرج ويركب من مكانه من الدهليز ويخرج فيقف قبالة باب القصر، ويكون ظهره إلى دار فخر الدين جهاركس اليوم، ثم يخرج الخليفة راكبا أيضا فيقف في الباب، ويقال له القوس، وحواليه الأستاذون المحنكون رجاله، ومن الأمراء المطوقين من يأمره الوزير بإيثار خدمة الخليفة على خدمته، ثم يجوز زي كل من له زي على مقدار همته، فأول ما يجوز زي الخليفة وهو الظاهر في ركوبه فتجد الجنائب الخاص التي قدمنا ذكرها أولا، ثم زي الأمراء المطوقين لأنهم غلمانه، واحدا فواحدا بعددهم وأسلحتهم وجنائبهم إلى آخر أرباب القصب والعماريات، ثم طوائف العسكر أزمتها أمامها وأولادهم مكانهم لأنهم في خدمة الخليفة وقوف بالباب طائفة طائفة، فيكونون أكثر عددا من خمسة آلاف فارس، ثم المترجلة الرماة بالقسي الأيدي والأرجل، وتكون عدتهم قريبا من ألف، ثم الراجل من الطوائف التي قدمنا ذكرهم في الركوب، يعني الجيوشية والريحانية، فتكون عدتهم قريبا من سبعة آلاف، كل منهم بزمام وبنود ورايات وغيرها بترتيب مليح مستحسن.

ثم يأتي زي الوزير مع ولده أو أحد أقاربه وفيه جماعته وحاشيته في جمع

عظيم وهيئة هائلة، ثم زي صاحب الباب وفيهم أصحابه وأجناده ونواب الباب وسائر الحجاب، ثم يأتي زي اسفهسلار العساكر بأصحابه وأجناده في عدة وافرة. ثم يأتي زي والي القاهرة وزي والي مصر، فإذا خرجا خرج الخليفة من الباب والوقوف بين يديه مشاة في ركابه خارجا عن صبيان ركابه الخاص، فإذا وصل إلى باب الزهومة بالقصر انعطف على يساره داخلا من الدرب هناك جائزا على الخوخ، فإذا وصل إلى باب الديلم الذي داخله المشهد الحسيني فيجد في دهليز ذلك الباب قاضي القضاة والشهود، فإذا وازاهم خرجوا للخدمة والسلام عليه، فسلم القاضي كما ذكرنا من تقبيل رجله الواحدة التي تليه والشهود أمام رأس الدابة بمقدار قصبة، ثم يعودون ويدخلون من ذلك الدهليز إلى الأيوان الكبير، وقد علق عليه الستور القرقوبي في جميعه على سعته وغير القرقوبي سترا فسترا، ثم يعلق بدائرة عل سعته ثلاثة صفوف: الأوسط طوارق فارسيات مدهونة والأعلى والأسفل درق وقد نصب كرسي الدعوة وفيه تسع درجات لخطابة الخطيب في هذا العيد، الذي يقال له عيد الغدير المعروف بغدير خم، فيجلس القاضي والشهود تحته والعالم من الأمراء والأجناد والمتشيعين، ومن يرى هذا الرأي من الأكابر والأصاغر فيدخل الخليفة من باب العيد إلى الأيوان إلى باب الملك، فيجلس بالشباك وهو ينظر القوم، ويخدمه الوزير عندما ينزل، ويأتي هو ومن معه فيجلس بمفرده على يسار منبر الخطيب، ويكون قد سير لخطيبه بدلة حريرية يخطب فيها وثلاثون دينارا، وتدفع له كرامة محررة من ديوان الإنشاء تتضمن نص الخليفة من النبي عليه السلام إلى علي بن أبي طالب بزعمهم، وشرح فيها الخبر المنقول "من كنت مولاه فعلي مولاه" وغير ذلك مما ورد في حق علي من الكرامة، وإن هذا هو النص له بالخلافة دون غيره، فإذا فرغ الخطيب ونزل، صلى قاضي القضاة بالناس ركعتين يقرأ فيهما من الآيات ما يقع الاختيار عليه في ذلك المحل، فإذا قضيت الصلاة قام الوزير إلى الشباك فيخدم الخليفة ويمضي وينقض الناس بعد التهاني بين الإسماعيلية بعضهم بعضاً".

ملحق رقم (٣): وصف الرحالة الفارسي ناصر خسرو لفرق الجيش الفاطمي المشاركة في يوم فتح الخليج زمن خلافة المستنصر بالله الفاطمي

من كتاب: سفرنامة ص ٩٣-٩٥

"... ... وهذا اليوم أعظم الأعياد في مصر، ويسمى (عيد ركوب فتح الخليج)، حينما يقترب، ينصب للسلطان على رأس الخليج سرادق عظيم التكاليف من الديباج الرومي، وموشى كله بالذهب، ومكلل بالجواهر، ومعد أعظم أعداد بحيث يتسع ظله لمائة فارس، وأمام هذا السرادق خيمة من البوقلمون وسرادق آخر كبير.

وقبل الاحتفال بثلاثة أيام يدقون الطبل وينفخون البوق ويضربون الكوس في الاصطبل، لتألف الخيل هذه الأصوات.

وحين يركب السلطان يصطف عشرة آلاف فارس، على خيولهم سروج مذهبة وأطوق وألجمة مُرصعة، وجميع لبد السروج من الديباج الرومي والبوقلمون، نسجت لهذا الغرض خاصة، فلم تفصل ولم تخط، وطرزت حواشيها باسم سلطان مصر، وعلى كل حصان درع جوشن، وعلى قمة السرج خوذة وجميع أنواع الأسلحة الأخرى وكذلك تسير جمال كثيرة عليها هوادج مزينة، وبغال عمارياتها (هوادجها) كلها مرصعة بالذهب والجواهر وموشاة باللؤلؤ، وأن الكلام ليطول إذا وصفت كل ما يكون يوم فتح الخليج.

في ذلك اليوم، يخرج جيش السلطان كله، فرقة فرقة، وفوجا فوجا، فرقة تسمى "الكتاميين" وهم من القيروان، أتوا في خدمة المعز لدين الله، قيل أن عددهم عشرون ألف فارس.

وفرقة تسمى "الباتليين" وهم رجال من المغرب، دخلوا مصر قبل مجيء

السلطان إليها، وقيل أن عددهم خمسة عشر ألف فارس.

وفرقة تسمى "المصامدة" وهم سود من بلاد المصامدة، قيل أن عددهم عشرون ألف رجل.

وفرقة تسمى "الأستاذين" كلهم خدم بيض وسود، اشتروا للخدمة وهم ثلاثون ألف فارس.

وفرقة تسمى "السرائيين" وهم مشاة جاءوا من كل ولاية، ولهم قائد خاص يتولى رعايتهم، وكل منهم يستعمل سلاح ولايته وعددهم عشرة آلاف رجل.

وفرقة تسمى "الزنوج" يحاربون بالسيف وحده، وقيل أنهم ثلاثون ألف رجل.

ونفقة هذا الجيش كله من مال السلطان، ولكل جندي منه مرتب شهري على قدر درجته، ولا يُجبر على دفع دينار أحد من الرعايا أو العمال، ولكن هؤلاء يسلمون للخزنة أموال ولايتهم سنة فسنة، وتصرف أرزاق الجند من الخزانة في وقت معين، بحيث لا يرهق وال أو واحد من الرعية بمطالبة الجند...".

ملحق رقم (٤): نسخة سجل بزم طائفة (من طوائف الجيش) من إنشاء القاضي الفاضل

من كتاب صبح الأعشى في صناعة الانشا للقلقشندي ج١٠، ص ٣٦٠-٣٦١

"من عبد الله ووليه (إلى آخره)

أما بعد، فإن أمير المؤمنين يصطنع من يرتضيه لتأليف عبيده وضمهم، ويستوقفه للنظر في تقديم رجال مملكته وزمهم، ويختار من يجتبيه لإحراز مدحهم بالبعد من موجبات ذمهم، ولا يؤهل لذلك إلا من توسل بالغَنَاء وتقرب، واستقل بالأعباء وتدرب. وأطلق حده التوفيق فمضى وتذرب، وأودع الإحسان فما زايل محله ولا تغرب، ولابس الأمور ملابسه من فطن وجرب، وقد أيد الله دولته بفتاه وأمينه، وعقده وثمينه السيد الأجل الذي غدت آراؤه للمصالح كوافل، وأذكى للتدبير عيون حزم غير ملتفتات عنه ولا غوافل، واطلع من السعد نجوما غير غوارب ولا أوافل، وقام بفرائض النصائح قيام من لم يجوز فيها رخص النوافل، وتحدث بأفعاله رماحه في المحافل فما راعت الجحافل.

ولما مثل بحضرة أمير المؤمنين أجمل ذكرك وأطابه، وقصد بك غرض الاصطناع فأصابه، واستمطر لك الأنعام الغدق السحاب فأجابه، ووصف ما أنت عليه من شهامة شهدت وشهرت وصرامة تظاهرت وظهرت، وكفاية برعت وفرعت، ونزاهة استودعت الأمانة فرعت، ومناصحة انفردت بوصفها، وتحلت واسطة عقد صفها وجهاد لم يزل به القرءان مغريا، والصعب المقاد مذعنا والخطب عابيا في قيادها مدعيا. وقرر لك الاستخدام في زم الطائفة فأمضى تقرير واستصاب تدبيره، وخرج أمسره إليه بأن يوعز إلى ديوان الإنشاء بكتب

هذا السجل وإيداعه ما تهتدي به، وتعمل بتأديبه.

فتقلد ما قلدته من ذلك عاملا بالتقية فإنها الحجة والمحجة، والجنة جنة والمدد السليم والمربح القويم، والنعمة والنعيم، يقول الله سبحانه في كتابه الحكيم: ﴿أَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى (٤٠) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾[١].

فانهض بشروط هذا الزم نهوضا يؤدي عنك من النصح مرفوضا، ويجعل لك كل يوم كتاب شكر مفضوضا، وسس هذه الطائفة بما يوليها دواعي الوفاق، ويحميها من عوادي الافتراق، واجهد في منافعها مجتلبا، ولاخلاف درها مجتلباً، وانتصب لاستشفاف أحوالهم وتعهدها، وملاحظة أفعالهم وتفقدها، فمن الفيته إلى فرائض الخدمة مُسرعا، وبنوافلها متطوعا، وبكرمه عما يشينه مترفعا، شحذت بصيرته بالتكرمة ورشحت همته للتقدمة، ومن وجدته لتلك الصفات الزائنة مخالفا، وللصفات الشائنة مؤالفا، ولنفسه عمان يرفعها صارفا، قومت أوده وثقفته، وأشرفت به على منهج الصراط ووقفته، فاعلم هذا واعمل به، إن شاء الله تعالى".

---

(١) سورة النازعات: آية ٤٠-٤١.

ملحق رقم (٥): نسخة تقليد بزم طوائف الرجال

من كتاب صبح الأعشى في صناعة الانشا، للقلقشندي ج١٠، ص ٤٠١-٤٠٤١

"الحمد لله البديع تقديره، الحكيم تدبيره، الذي أتقن ما صنع وأحكمه، وكمل ما أبدع وتممه، وأعطى كل مصلحة من مصالح عباده نظاما، كل مرفق من مرافق خلقه قواما، فلا يقارب فيما خلق وصور، ولا يشاكل فيما قدر ودبر، ورأب بريته بم استخلصه من خاصيتها، لسياسة عامتها، وانتخبه من أشرافها، لتسديد أطرافها وإقامة من سادها لإصلاح فاسدها، وتقويم سائدها، وتوقيفها على سنن الصواب وتعريفها المحاسن والآداب.

يحمده أمين المؤمنين أن أحله في المنزلة العلية: من اصطفائه واستخلاصه، والذروة السنية من اجتبائه واختصاصه، وفوق إليه تنزيل الرتب وتخويلها، وإقرار المنازل وتحويلها، وناط به البرم والنقض، والرفع والخفض، والريش والحص والزيادة والنقص وسوغه الشكر على مواهبه السابغ عطافها، الفسيحة أكنافها، البعيدة أطرافها، ويسأله أن يصلي على نبي الرحمة، ومفيد الحكمة سيدنا محمد خاتم الرسل وموضح السبل صلى الله عليه وعلى أخيه وابن عمه، وخليفته على أمته وقومه علي بن أبي طالب أمير المؤمنين ومولى المسلمين، وعلى الأئمة من ذريتهما الطاهرين.

وأن أمير المؤمنين بما فوضه الله تعالى إليه من حماية الأنام، والمراماة عن دار الإسلام وكلفه من عض نواظر أهل العناد، وتنكيس رءوس رؤساء الإلحاد، لا يزال ينظر في مصالح عبيده، وتوفر سياسة رجال دولته وجنوده، الذين هم حزب الله الغالبون وجنده المنصورون، ويرد النظر في أمورهم، والتقدم عليهم،

وزم طوائفهم إلى خواص دولته وأعيان مملكته الذين بلا طرائقهم، وحمد خلائقهم من الغناء والكفاية، والسداد وحسن السياسة، ونقلهم في الخدم فاستقلوا بأعبائها وأثقالها، ونهضوا بناهض أعمالها ومضت عزائمهم في حياطة البيضة، واشتدت صرائهم في تحصين الحوزة وصدقت نياتهم في المراماة عن الملة، والمحاماه عن الدعوة والدولة.

ولما كنت بحضرة أمين المؤمنين معدا لمهماته، معدودا في أماثل كفاته، مشورا بحسن السياسة لما تورده وتصدره، معروفا بفضل السيرة فيما تأتيه وتذره –رأي أمير المؤمنين- والله يرشده لأعود الآراء بالصلاح والإصلاح، وأدناها من الخير والنجاح –أن قلدك زمام طائفة الرجال الفلانيين (ويوصفون بما تقتضيه مكانتهم من الدولة – وحسن سيرهم في الخدمة) أنافة بقدرك، وأبانه عن خطرك، وتنويها بذكرك وتفخيما لأمرك.

وهو يأمرك بتقوى الله تعالى وطاعته، واستشعار مراقبته، ورياضة خلائقك على محبة العدل وإيثار الفضل وإتباع اللطف واجتناب العسف وتوخي الأنصاف، وبسط الهيمنة من غير إجحاف وأن تخص هذه الطائفة من النظر في أمورها، وتعهد صغيرها وكبيرها، بما يسدد أحوالها، ويحقق آمالها، وتأخذها بأحسن الآداب اللائقة بأمثالها، وسلوك الطريقة المعهودة من أعيانها وأماثلها، وتشعرها من أمير المؤمنين بما يشرح صدرها في خدمته، ويقر عينها في طاعته، والمسارعة إلى مكافحة أعدائه، والتميز في نصرة أوليائه، وتطالع بحال من يستحق الاحترام ويستوجب إفاضة الأنعام، وتكتب الرقاع عنها مستدعيا للرباطات في الأطماع والعاجزين شاملا في التعويد والتأثر والتقليب والولايات قاصدا في ذلك ما يفسح آمالها في الآجال، ويوثقها بدرور الأمثال، فإنهم أمراء الحروب، وكفاة الخطوب، الذي يجاهدون عن الحوزة ويرامون عن الدولة، وأفرض لهم من الإكرام وتام الاهتمام، ما تقتضيه مكانتهم في الدولة، وموضعهم من الخدمة وتكفل أوساطهم بالرعاية، وأصرف إليهم شطرا موفورا من العناية،

والحق من برز منهم وتقدم، ونهض وخدم، بنظرائه وأمثاله، وساو بينه وبين أشكاله، وتعهد أطرافهم بملاحظتك، وتفقدهم بسياستك، وخذهم بلزوم السير الحميدة، والمذاهب السديدة، والتوفر على ما يرهف عزائمهم، ويؤيد أيديهم، ولا تفسح لأحد من هذه المذاهب في مخالطة العوام ولا مشاركة التجار والاحتراف، ووكل بهم من النقباء من يبتلي سيرهم وينهي إليك أخبارهم فيم علمته قد اجتزأ إلى نسخ المذهب، فتناوله بأليم الأدب، وأحضضهم على الإدمان في نقل السلاح، والضرب بالسيف والمطاعنة بالرمح، والارماء عن القوس، وميز من مهر واستقل وقصر بمن ضجع وأخل، فهم كالجوارح التي ينفعها التعليم والإجراء، ويضرها الإهمال والإبقاء وفي صرفك الاهتمام إليهم ما يزيد في رغبة ذي الهمة العلية، ويبعث المعروف في النفس الدنية، وأن تطالبهم بالاستعداد، وارتباط الخيول الجياد، الاستكثار من السلاح الشاك والجنن.

وليكن ما تطالبهم بإعداده من هذه الأصناف على حسب الفروض من العطاء، ولا ترخص لأحد في الاقتناع بما لا يليق بمنزلته والرضا بما يقع دون ما يعتده أماثل طبقته ومن مات من هذه الطائفة وخلف ولدا يتيما فضمه إلى أمثاله، وانظر في حاله، ووكل به من يفقهه في دينه، ويعلمه ما لا غنى به عن تعليمه من كتاب الله وسنته، ومن يهذبه في الخدمة ويعلمه العمل بآلاتها، والتنقل في حالاتها، ويطل له من أنعام أمير المؤمنين ما يقوم بكلفتها ولوازمها، وخذ كل من تقدمهم بخدمها والجري على عادتها في النهوض بما يستنهض به، ولا يفسح لها في التثاقل عنه، وسوي بينهم في الاستخدام، ولا تخص قوما دون قوم بالترفيه والإجمام، فإن ذلك إرهافا لعزائمهم وتقوية لمنفسهم وإفاضة العدل عليهم.

هذا عهد أمير المؤمنين إليك، وقد وعد به الحجة عليك، فتأمله ناظرا وراجعه متدبرا، وانته إلى مصايره ومراشده، واعمل على رسومه وحدوده، يوفقك الله مقاصدك، ويعد مصالحك ويتولاك، إن شاء الله تعالى".

مصادر ومراجع الدراسة

أولاً: المصادر الأولية:

أ. المصادر المخطوطة:

- ابن تغري بردي: أبو المحاسن جمال الدين يوسف بن تغري بردي الاتابكي (ت٨٧٤هـ/ ١٤٦٩م).

* **مورد اللطافة فيمن ولي السلطنة والخلافة**، مخطوط مصور عن مخطوطة ليدن رقم (٥٩٧) مكتبة جامعة مؤتة.

- سبط ابن الجوزي: شمس الدين أبو المظفر يوسف بن غزاوغلي ابن عبدالله يوسف (ت٦٥٤هـ/ ١٢٥٦م

* **مرآة الزمان في تاريخ الأعيان ج١٢**، مخطوطة مكتبة البودليان - اكسفورد، رقم ٣٧٠، نسخة مصورة عنه بالميكروفيلم- مركز الوثائق والمخطوطات - مكتبة الجامعة الأردنية، رقم الشريط ٥٤٣.

- ابن عبد الظاهر: محي الدين عبدالله بن رشيد الدين (ت٦٩٢هـ/ ١٢٩٣م).

* **الروضة البهية الزاهرة في خطط المعزية القاهرة**. مخطوطة المتحف البريطاني رقم ١٣٣٧، نسخة مصورة بالميكروفيلم، مركز الوثائق والمخطوطات - مكتبة الجامعة الأردنية - رقم الشريط (٤١).

- العمري: شهاب الدين أحمدبن فضل الله (ت ٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م).

* **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**. ج٢٦= مخطوط مصور عن مخطوطة يازمة باغشلر- مكتبة السليمانية استانبول، رقم ١٩١٧،

(مكتبة جامعة مؤتة). ج٢٧ = مخطوط مصور عن مخطوطة اياصوفيا- مكتبة السليمانية، استانبول، رقم ٣٤٣٩، (مكتبة جامعة مؤتة).

- ابن العميد: المكين جرجس أبو العباس بن العميد (ت٦٧٢هـ/ ١٢٧٣م).

* **تاريخ ابن العميد،** مخطوطة مكتبة بودليان، اكسفورد، نسخة مصورة بالميكروفيلم في مركز الوثائق والمخطوطات، مكتبة الجامعة الأردنية، رقم الشريط (٥٤٠).

- المخزومي: القاضي السعيد أبو الحسين علي بن أبي عمرو عثمان بن يوسف (ت ٥٨٥هـ/ ١١٨٩م).

* **المنهاج في علم خراج مصر.** مخطوط مصور لدى الدكتور فالح حسين (قسم التاريخ/ الجامعة الأردنية).

- ابن ميمون: عبدالله بن ميمون (نحو سنة ٧٠٠هـ/ ١٣٠٠م).

* **الإفادة والتبصير لكل رام مبتدئ أو مهير.** مخطوط مصور عن مخطوطة مكتبة كوبريلي، استانبول، رقم ١٢١٣، (مكتبة جامعة مؤتة).

ب. المصادر المطبوعة:

- ابن الأبار: أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن أبي بكر القضاعي (ت٦٥٨هـ/ ١٢٦٠م).

* **الحلة السيراء (٢ج)،** تحقيق حسن مؤنس، الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٣.

- ابن الأثير: عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن عبدالواحد الشيباني (ت٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م).

* **الكامل في التاريخ (١٢ج)،** دار صادر، بيروت. ١٩٧٩ - ١٩٨٢.

- ادريس: الداعي إدريس عماد الدين (ت ٨٧٢هـ/ ١٤٨٨م).

* **تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب (القسم الخاص من كتاب عيون الأخبار)**. تحقيق محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٩٨٥م.

- الاسدي: محمد بن أحمد بن خليل (ت بعد ٦٥٨هـ/ ١٢٦٠م).

* **التيسيروالاعتبار والتحرير والاختبار**، تحقيق عبد القادر أحمد طليمات، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٦٨م.

- الاصطخري: أبو اسحق إبراهيم بن محمد الفارسي (ت ٣٤٠هـ/ ٩٥١م).

* **مسالك الممالك**، ليدن، ١٩٢٧م.

- الأصفهاني: عماد الدين أبو عبدالله محمد بن محمد (ت ٥٩٧هـ/ ١٢٠١م).

* **البستان الجامع لجميع تواريخ أهل الزمان**، تحقيق أحمد الطعاني، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، ١٩٨٤م.

- الانطاكي: يحيى بن سعيد بن يحيى الانطاكي (ت٤٥٨هـ/ ١٠٦٧م).

* **تاريخ الانطاكي (المعروف بصلة تاريخ اوتيخا)**. تحقيق عمر عبدالسلام تدمري، طرابلس، جروس برس، لبنان، ١٩٩٠م.

- ابن إياس، أبو البركات محمد بن أحمد الحنفي المصري (ت ٩٣٠هـ/ ١٥٢٤م).

* **بدائع الزهور في وقائع الدهور**، ج١ ق١، تحقيق محمد مصطفى، الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة - ١٩٨٢م.

* **نزهة الأمم في العجائب والحكم** - تحقيق محمد زينهم، مكتبة مدبولي- القاهرة - ط١ - ١٩٩٥م.

- ابن أيبك: أبو بكر عبدالله بن أيبك الدواداري (ت ٧٣٦هـ/ ١٣٣٥م).

* **الدرة المضية في أخبار الدولة الفاطمية** - تحقيق صلاح الدين المنجد - القاهرة - ١٩٦١م.

- البكري: أبو عبدالله بن عبدالعزيز (ت ٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م).
* **المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب**- نشره دي سلان- الجزائر - ١٩١١م.
- البنداري: الفتح بن علي بن محمد (ت ٦٤٢هـ/ ١٢٤٤م).
* **سنا البرق الشامي، تحقيق فتحية النبراوي** - مكتبة الخانجي - مصر ١٩٧٩م.
- التجاني: أبو محمد عبدالله بن محمد بن أحمد (ت بعد سنة ٧١٧هـ/ ١٣١٧م).
* **رحلة التجاني،** قدم لها حسن حسني عبدالوهاب، الدار العربية للكتاب - تونس - ١٩٨١م.
- التطيلي: بنيامين التطيلي (قام برحلته بين عامي ٥٦١ - ٥٦٩هـ/ ١١٦٥ - ١١٧٣م).
* **رحلة بنيامين التطيلي،** ترجمة عزرا حداد، بغداد، ١٩٤٥م.
- ابن تغري بردي: ابو المحاسن جمال الدين يوسف بن تغري بردي (ت ٨٤٧هـ/ ١٤٦٩م).
* **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة (١- ١٢)،** طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب - القاهرة - د. ت.
- الجوذري: أبو علي منصور العزيزي (ت ق ٤هـ/ ١٠م).
* **سيرة الاستاذ جوذر،** تحقيق محمد كامل وزميله، دار الفكر العربي، القاهرة، د. ت.
- ابن الجوزي: أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد بن علي (ت٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م).

* **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم (١٨ ج)**، تحقيق محمد عطا وزميله، دار الكتب العلمية - بيروت - ط١- ١٩٩٢م.

- ابن حجر: أحمد بن علي بن محمد بن علي بن محمود الشافعي (ت ٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م).

* **رفع الأصر عن قضاة مصر (٢ق)**، تحقيق حامد عبدالمجيد وآخرين، المطبعة الأميرية - القاهرة- ١٩٥٧م.

- ابن حزم: أبو محمد علي بن محمد بن سعيد (ت ٤٥٦هـ/ ١٠٦٤م).

* **جمهرة أنساب العرب**، دار الكتب العلمية - بيروت - ١٩٨٣م.

- الحميري: ابو عبدالله محمد بن محمد بن عبدالله (ت ٦١٠هـ/ ١٢١٣م).

* **الروض المعطار في خبر الأقطار**، تحقيق إحسان عباس، مكتبة لبنان - بيروت - ط٢ - ١٩٨٢م.

-ابن الخطيب: لسان الدين محمد بن الخطيب (ت ٧٧٦هـ/ ١٣٧٤م).

* **أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام ق٣: المغرب العربي في العصر الوسيط**. تحقيق أحمد مختار العبادي، الدار البيضاء، ١٩٦٤م.

- ابن خلدون: عبدالرحمن بن خلدون المغربي (ت ٨٠٨هـ/ ١٤٠٦م).

* **العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر، ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر (٨ج)**، دار الكتاب اللبناني- بيروت - ١٩٥٨م.

- ابن خلف: علي بن خلف بن علي بن عبدالوهاب (ت بعد ٤٣٧هـ/ ١٠٤٥م).

* **مواد البيان**، تحقيق حسين عبداللطيف، طرابلس - جامعة الفاتح-ليبيا- ١٩٨٢م.

- ابن خلكان: شمس الدين أبو العباس أحمد بن ابراهيم (ت ٦٨١هـ/ ١٢٨٢م).

* **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان،** (٨ج)، تحقيق إحسان عباس، دار صادر - بيروت - ١٩٧٧.

- ابن دقماق: صارم الدين إبراهيم بن محمد بن ايدمر العلائي (ت ٨٠٩هـ/ ١٤٠٧م).

* **الانتصار لواسطة عقد الامصار** (ج ٤، ٥)، نشر Vollers طبعة مصورة عن طبعة بولاق - ١٨٩٧م.

- الذهبي: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز (ت ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م).

* **تاريخ الإسلام:** حوادث السنوات ٣٨١ - ٤٢٠هـ، ٤٦١ - ٤٧٠هـ، تحقيق عمر عبدالسلام تدمري، دار الكتاب العربي - ط٢ - ١٩٩٣م.

* **سير أعلام النبلاء** (٢٥ج)، تحقيق عدة باحثين بإشراف شعيب الارناؤط مؤسسة الرسالة - بيروت - ط١- ١٩٨٣م.

* **دول الإسلام** (٢ق)، نشر عبدالله بن إبراهيم الانصاري، دار احياء التراث الإسلامي - قطر - د. ت.

- الرماح: نجم الدين حسن الرماح (ت ٦٩٥هـ/ ١٢٩٥م).

* **الفروسية والمناصب الحربية**، تحقيق عيد ضيف العبادي، وزارة الثقافة والإعلام - بغداد - ١٩٨٤م.

- الروذاوري: أبو شجاع محمد بن الحسن (ت ٤٨٨هـ/ ١٠٩٥م).

* **ذيل تجارب الأمم،** نشره أمدروز، دار الكتاب الإسلامي - القاهرة (عن طبعة القاهرة الأولى).

- الزردكاش: ابن أرنبغا الزردكاش (ت ٨٦٧هـ/ ١٤٦٢م).

* **الأنيق في المناجيق**، تحقيق إحسان هندي، معهد التراث العلمي العربي - جامعة حلب/ معهد المخطوطات العربية- حلب - ١٩٨٥م.

- أبي زكريا: يحيى بن أبي بكر.

* **كتاب سير الأئمة وأخبارهم المعروف بتاريخ أبي زكريا**، تحقيق إسماعيل العربي، دار الغرب الإسلامي - بيروت -ط٢ - ١٩٨٢م.

- ابن سباط: حمزة بن أحمد بن عمر (ت بعد ٩٢٦هـ/ ١٥٩١م).

* **تاريخ ابن سباط (٢ج)**، تحقيق عمر عبدالسلام تدمري، جروس برس - طرابلس - ط١ - ١٩٩٣م.

- سبط ابن الجوزي: شمس الدين أبو المظفر يوسف بن غزاوغلي ابن عبدالله يوسف (ت٦٥٤هـ/ ١٩٥٦م).

* **مرآة الزمان في تاريخ الأعيان ج٨ ق ١**حوادث ٤٩٥ - ٥٨٩هـ. حيدر أباد الدكن - الهند- ١٩٥١م.

- ابن سعيد: أبو الحسن بن موسى بن محمد بن عبدالملك (ت ٦٥٨هـ/١٢٨٦م).

* **النجوم الزاهرة في حلى القاهرة، القسم الخاص بالقاهرة من كتاب المغرب في حلى المغرب**، تحقيق حسين نصار، دار الكتب -القاهرة - ١٩٧٠م.

-السلاوي: أحمد بن خالد السلاوي.

* **الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**، الدار البيضاء، ١٩٥٤م.

- ابن سنان: ثابت ابن سنان بن قرة (ت ٣٦٥هـ/٩٧٥م).

* **تاريخ أخبار القرامطة**، تحقيق ونشر سهيل زكار، ضمن كتابه (الجامع في أخبار القرامطة) دار حسان للطباعة والنشر -دمشق - ط٣ - ١٩٨٧م ص١٨٣ - ٢٤٨.

- السيوطي: جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر بن محمد (ت ٩١١هـ/ ١٥٠٥م).

* **تاريخ الخلفاء**، دار الكتب العلمية -بيروت - ط١ - ١٩٨٨م.

* **حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة (٢ج)**، تحقيق محمد أبو الفضل - مطبعة الحلبي - ط١ - القاهرة - ١٩٦٧م.

- أبو شامة: شهاب الدين عبدالرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي (ت٦٦٥ هـ/١٢٦٧م).

* **الروضتين في أخبار الدولتين (النورية والصلاحية)** ج١ ق٢، تحقيق محمد حلمي أحمد -القاهرة -١٩٦٢م.

- ابن شداد: القاضي بهاء الدين أبوالمحاسن يوسف بن رافع بن تميم (ت ٦٢٣ هـ/١٢٣٤م).

* **النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية**، تحقيق جمال الدين الشيال، الإسكندرية -١٩٦٤م.

- الصفدي: صلاح الدين خليل بن أيبك (ت ٧٦٤هـ/١٣٦٣م).

* **الوافي بالوفيات (٢٤ج)** ، تحقيق ديدرنغ وآخرون، دار النشر فرانز شتاينر فيسبادن - ١٩٧٤م.

- الصهناجي: أبو عبدالله محمد بن علي بن حماد بن عيسى (ت ٦٢٦هـ/١٢٣٠م).

* **أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم**، تتحقيق جلول بدوي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر -١٩٨٤م.

- ابن الصيرفي: أمين الدين علي بن منجب (ت ٥٤٢هـ/١١٤٧م).

* **القانون في ديوان الرسائل والإشارة إلى من نال الوزارة**، تحقيق أيمن فؤاد سيد، الدار المصرية اللبنانية - القاهرة - ١٩٩٠م.

- الطرسوسي: مرضي بن علي (ت ٥٨٩هـ/١١٩٣م).

* **تبصرة أرباب الألباب في كيفية النجاة في الحروب من الأسواء ونشر أعلام الأعلام والعدد والآلات المُعينة على لقاء الأعداء**، حققه كلود كاهن ونشره في مجلة: Bulltin D'etudes orientales, Tom XII Aness, Beyrouth, 1947-1948, P.106-162 .

- ابن الطوير: أبو محمد المرتضى عبدالسلام بن الحسن القيسراني (ت ٦١٧هـ/١٢٢٠م).

* **نزهة المقلتين في أخبار الدولتين**، تحقيق أيمن فؤاد السيد، دار النشر فرانز -شتاينر - شتوتجارت - ١٩٩٢م.

- ابن ظافر: جمال الدين أبو الحسن علي بن أبي منصور ظافر الأزدي (ت٦١٢ هـ/١٢١٥م).

* **أخبار الدول المنقطعة (قسم الفاطميين)**، تحقيق اندريه فريه، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية - القاهرة - ١٩٧٢م.

* **أخبار الدولة الحمدانية بالموصل وحلب وديار بكر والثغور**، تحقيق تميمة الرواف، دار حسان للطباعة والنشر - ط١- ١٩٨٥م.

- ابن ظهيرة: أبو اسحاق برهان الدين بن علي بن محمد بن عطية (ت ٨٩١هـ/١٤٨٦م).

* **الفضائل الباهرة في محاسن مصر والقاهرة**، تحقيق مصطفى السقا وكامل المهندس، مطبعة دار الكتب -القاهرة - ١٩٦٩م.

- ابن العديم: كمال الدين بن العديم أبو القاسم عمر بن أحمد بن هبة الله (ت ٦٦٠هـ/١٢٦١م).

* **بغية الطلب في تاريخ حلب** (١١ج)، تحقيق سهيل زكار - دمشق - ١٩٨٨م.

- ابن عذاري: أبو عبدالله محمد بن محمد المراكشي (ت نحو سنة ٦٩٥هـ/١٢٩٥م).

* **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب** (٤ج)، تحقيق ج. س. كولان وليفي بروفنسال، دار الثقافة -بيروت [عن ط. ليدن ١٩٤٨].

- عمارة اليمني : أبو محمد عمارة بن أبي الحسن علي بن زيدان (ت ٥٦٩هـ/١١٧٤م).

* **تاريخ اليمن المسمى:** (المفيد في أخبار صنعاء وزبيد)، تحقيق محمد بن علي الأكوع، المكتبة اليمنية للنشر والتوزيع، صنعاء، ط٣، ١٩٨٥م.

* **النكت العصرية في أخبار الوزارة المصرية،** صححه هرتويغ درنبرغ - مكتبة مدبولي - القاهرة - ط٢ - ١٩٩١م. (تصوير عن الطبعة الأوروبية).

- العمري: شهاب الدين أ؛مد بن فضل الله (ت ٧٤٩هـ/١٣٤٨م).

* **التعريف بالمصطلح الشريف**، تحقيق سمير الدروبي، منشورات جامعة مؤتة -١٩٩٢م.

- الفاسي: أبو الحسن علي بن عبدالله ابن أبي زرع (ت ٧٢٦هـ/١٣٢٥م).

* **الانيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، دار المنصور للطباعة - ١٩٧٢م.

- أبو الفداء: الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل (ت ٧٣٢هـ/ ١٣٣١م).

* **تقويم البلدان** ، تصحيح رينود والبارون باك ديسلان، باريس، ١٨٦٠م.

* **المختصر في أخبار البشر**، القاهرة (د. ت).

- ابن الفرات: ناصر الدين محمد بن عبدالرحيم (ت ٨٠٧هـ/١٤٠٤م).

* **تاريخ ابن الفرات** م٤ ج١، تحقيق حسن الشماع، منشورات جامعة البصرة -١٩٦٧م.

- ابن القلانسي: أبو يعلى حمز بن أسد بن علي بن محمد (ت ٥٥٥هـ/ ١١٦٠م).
* **تاريخ دمشق** (٣٦٠ - ٥٥٥هـ)، تحقيق سهيل زكار، دار حسان للطباعة والنشر، دمشق -١٩٨٣م.
- القلقشندي: أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد بن عبدالله (ت ٨٢١هـ/١٤١٨م).
* **صبح الأعشى في صناعة الإنشا** (١٤ج)، المطبعة الأميرية، القاهرة - ١٩١٤م.
* **قلائد الجُمان في التعريف بقبائل عرب الزمان**، تحقيق إبراهيم الابياري، دار الكتب الحديثة - القاهرة - ١٩٦٣م.
- ابن كثير: عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م).
* **البداية والنهاية** (١٤ج)، مكتبة المعارف - بيروت- ط٢ - ١٩٩٠م.
- الكندي: أبو عمر محمد بن يوسف الكندي (ت ٣٥٠هـ/٩٦١م).
* **ولاة مصر**، تحقيق حسين نصار، دار صادر - بيروت (د. ت).
- مجهول: مؤلف مجهول.
* **الاستبصار في عجائب الأمصار**، تحقيق سعد زغلول عبدالحميد، دار الشؤون الثقافية العامة -بغداد - ١٩٨٦م.
- مجهول: مؤلف مجهول
* **خزانة السلاح**، تحقيق نبيل محمد عبدالعزيز، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة - ١٩٧٨م.
- المسبحي: الأمير المختار عز الملك محمد بن عبيدالله بن أحمد (ت ٤٢٠هـ/١٠٢٩م).

* **أخبار مصر (٤١٤-٤١٥هـ)**، تحقيق وليم ملورد، الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة - ١٩٨٠م.

- المستنصر بالله: الخلفية الفاطمي (ت ٤٨٧هـ).

* **السجلات المستنصرية**، تحقيق عبد المنعم ماجد، دار الفكر العربي، القاهرة - ١٩٥٤م.

- المقريزي: تقي الدين أحمد بن علي (ت ٨٤٥هـ/١٤٤١م).

* **اتعاظ الحنفا بأخبار الفاطميين الخلفا** (٣ج)، ج١: تحقيق جمال الدين الشيال ج(٢-٣)، تحقيق محمد حلمي محمد، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة - ١٩٧١ - ١٩٧٣م.

- المقريزي: تقي الدين أحمد بن علي (ت ٨٤٥هـ/١٤٤١م).

* **اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا** (٣ج)، ج١: تحقيق جمال الدين الشيال، ج(٢-٣)، تحقيق محمد حلمي محمد، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة - ١٩٧١ - ١٩٧٣م.

* **البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب**، تحقيق وتقديم عبدالحميد عابدين، عالم الكتب -القاهرة- ط١- ١٩٦١م.

* **المقفى الكبير (٨ج)**، تحقيق محمد اليعلاوي، دار الغرب الاسلامي- بيروت- ط١- ١٩٩١م.

* **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (٢ج)**، مكتبة الثقافة الدينية- القاهرة- ١٩٨٢م. (عن ط- القاهرة ١٢٧٠هـ- بولاق).

- ابن مماتي: شرف الدين أبو المكارم الأسعد بن مليح (ت ٦٠٦هـ/١٢٠٩م).

* **قوانين الدواوين**، تحقيق عزيز سوريال عطية، مكتبة مدبولي، القاهرة - ط١ - ١٩٩١م (صورة عن طبعة القاهرة الأولى).

- ابن منظور: أبو الفضل جمال محمد (ت ٧١١هـ/١٣١١م).

* **لسان العرب**، (١٥ج)، دار صادر بيروت - (د. ت).

- ابـن منقـذ: مؤيـد الدولـة ابـو المظفـر أسـامة بـن منقـذ الكنـاني الـشيزري (ت٥٨٤هـ/ ١١٨٨م).

* **كتاب الاعتبار**، حرره فيليب حتي، جامعة برنستون - الولايات المتحدة الأمريكية - ١٩٣٠م.

- ابن منكلي: محمد بن منكلي (ت ٧٨٨هـ/١٣٧٦م).

* **الأدلـة الرسميـة في التعـابي الحربيـة**، تحقيـق محمـود شـيت خطـاب، مطبوعات المجمع العلمي العراقي- بغداد - ١٩٨٨م.

- ابن ميسر: محمد بن علي بن يوسف (ت ٦٧٧هـ/ ١٢٧٨م).

* **المنتقى من أخبار مصر**، تحقيق أيمن فؤاد سيد، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية - القاهرة - ١٩٨١م.

- النابلسي: عـلاء الـدين أبـو عمـرو عثمـان بـن إبـراهيم (ت بعـد سـنة ٦٣٢هـ/ ١٢٣٤م).

* **لمع القوانين المضية في دواوين الديار المصرية**، تحقيق كلود كاهن، مكتبة الثقافة الدينية - القاهرة- ١٩٨٨م.

- ناصر خسرو: قام برحلته بين عامي (٤٢٧-٤٤٤ هـ/١٠٤٥ - ١٠٥٢م).

* **سفرنامة (رحلة ناصر خسرو إلى لبنـان وفلسطين ومصر والجزيـرة العربيـة في القرن الخامس الهجري)**، نقلـه إلى العربيـة يحـي الخشاب، دار الكتاب الجديد - بيروت - ط٣ - ١٩٨٣م.

- النعمان: القاضي النعمان بن حيون التميمي (ت ٣٦٣هـ/ ٩٧٣م).

* **افتتاح الدعوة**: تحقيق وداد القاضي، دار الثقافة، بيروت - ١٩٧٠م.

* **المجالس والمسايرات**: تحقيق الحبيب الفقي وآخرون، الجامعة التونسية، تونس - ١٩٧١م.

- النويري: شهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب بن محمد (ت ٧٣٣هـ/١٣٣٣م).
* **نهاية الأرب في فنون الأدب**، ج٦: دار الكتب - القاهرة، د.ت، ج٢٨، تحقيق محمد محمد أمين ومحمد حلمي محمد، الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة - ١٩٩٢م.
- الهروي: علي بن أبي بكر (ت ٦١١هـ/ ١٢١٤م).
* **التذكرة الهروية في الحيّل الحربية**، تحقيق تومنين سورديل، نشر في مجلة: Bulletin D'etudes orentales, Tom XVII, Annness 1961 - 1962, P. 242 - 266.
-ابن واصل : جمال الدين محمد بن سالم بن واصل (ت ٦٩٧هـ/ ١٢٩٨م).
* **مفرج الكروب في أخبار بني أيوب** (٥ج)، ح١: تحقيق جمال الدين الشيال، مصر، د. ن ود. ت.
- ابن الوردي: سراج الدين أبو حفص عمر بن محمد (ت ٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م).
* **تاريخ ابن الوردي** (٢ج)، المطبعة الحيدرية، النجف - ط٢ - ١٩٦٩م.
- الوزان: الحسن محمد الوزان الفاسي المعروف بليون الافريقي (ت بعد ٩٥٧هـ/ ١٥٥٠م).
* **وصف افريقيا** (٢ج)، ترجمة عن الفرنسية محمد حجي ومحمد الأخضر - دار الغرب الإسلامي - بيروت- ط٢ - ١٩٨٣م.
- ياقوت الحموي: شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي (ت ٦٢٦هـ/ ١٢٣٨م).
* **معجم البلدان** (٥ج)، دار صادر- بيروت- ١٩٧٩م.
- اليماني: محمد بن محمد (عاش في أواسط القرن ٤ هـ/١٠م).
* **سيرة جعفر الحاجب** ، نشر ايفانوف، مجلة كلية الآداب، الجامعة المصرية، م٤، ج٢، ١٩٦٣م.

ثانيا: المراجع الحديثة

أ. المراجع العربية:

- أحمد مختار العبادي والسيد عبدالعزيز سالم:

* **تاريخ البحرية الاسلامية في حوض البحر الأبيض المتوسط**، ج١: (البحرية الإسلامية في مصر والشام)، مؤسسة شباب الجامعة - الاسكندرية د. ت.

- أمينة البيطار:

* **مؤقف أمراء العرب بالشام والعراق من الفاطميين حتى أواخر القرن الخامس الهجري**، دار دمشق - دمشق - ط١ - ١٩٨٠م.

- أيمن فؤاد السيد:

* **الدولة الفاطمية في مصر (تفسير جديد)**، الدار المصرية اللبنانية - القاهرة - ط١ - ١٩٩٢م.

- حسن إبراهيم حسن:

* **تاريخ الدولة الفاطمية في المغرب ومصر وسورية وبلاد العرب**، دار النهضة المصرية - القاهرة- ط٤ - ١٩٨١م.

* **الفاطميون في مصر وأعمالهم السياسية والدينية بوجه خاص**. القاهرة - ١٩٣٢م.

* **المعز لدين الله**، مكتبة النهضة المصرية - القاهرة - ط٢ -١٩٦٣م. (بالاشتراك مع طه أحمد شرف).

- حسن الباشا:

* **الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار** ، دار النهضة العربية، القاهرة - ١٩٧٨م.

- حسن حبشي:

* **الحرب الصليبية الأولى**، دار الفكر العربي، القاهرة- د. ت.

- درويش النخيلي:

* **السفن الإسلامية على حروف المعجم**: دار المعارف - مصر - ط٢ - ١٩٧٩م.

* **فتح الفاطميين للشام** - مصر - د. ت.

- سعاد ماهر:

* **البحرية في مصر الإسلامية وآثارها الباقية**، دار المجمع العلمي، جدة- ١٩٧٩م.

- سعيد عاشور:

* **الحركة الصليبية (٢ج)**، مكتبة الانجلو مصرية -القاهرة - ط١ - ١٩٦٣م.

- سنوسي إبراهيم:

* **زناتة والخلافة الفاطمية**، القاهرة - ١٩٨٦م.

- سيد عبدالعزيز سلم:

* **تاريخ المغرب الكبير (العصر الإسلامي)**، دار النهضة العربية - بيروت - ١٩٨١م.

- سيد إسماعيل كاشف:

* **مصر في عصر الاخشيديين**، دار النهضة العربية -القاهرة -د.ت.

- عارف تامر:

* **العزيز بالله**، دار الآفاق الجديدة - بيروت ١٩٨١م.

- عبدالرحمن زكي:

* **الجيش المصري في العصر الإسلامي**، القاهرة ١٩٧٠م.

- عبدالعزيز الدوري:
* **دراسات في العصور العباسية المتأخرة** ، بغداد - ١٩٤٥م.
- عبدالمنعم سلطان:
* **المجتمع المصري في العصر الفاطمي**، دار المعارف - مصر- ١٩٨٥م.
- عبدالمنعم ماجد:
* **نُظم الفاطميين ورسومهم في مصر (٢ج)**، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة - ١٩٥٥م.
- عزيز أحمد:
***تاريخ صقلية الاسلامية**، ترجمة أمين الطيبي، الدار العربية للكتاب - ١٩٨٠م.
- علي إبراهيم حسن:
* **تاريخ جوهر الصقلي**، المكتبة التجارية الكبرى- مصر- ط١ - ١٩٣٣م.
- محسن حسين:
* **الجيش الأيوبي في عهد صلاح الدين**، مؤسسة الرسالة- بيروت- ط١ - ١٩٨٦م.
- محمد جمال الدين سرور:
* **مصر في عصر الدولة الفاطمية** ، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة-د. ت.
* **النفوذ الفاطمي في بلاد الشام**، دار الفكر العربي - القاهرة - د. ت.
- محمد عبدالله العمايرة:
* **الجيش في العصر المملوكي الثاني** - رسالة ماجستير، إشراف مصطفى الحياري - الجامعة الأردنية - عمان-١٩٩٤م.
- محمد عبدالله عنان:

* **مصر الإسلامية وتاريخ الخطط المصرية**، مكتبة الخانجي - مصر - ط٢ - ١٩٦٩م.

- محمد المناوي:

* **الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي** ، دار المعارف - مصر - د. ت.

- مصطفى الحياري:

* **الإمارة الطائية في بلاد الشام**، وزارة الثقافة- عمان ١٩٧٧م.

* **صلاح الدين (القائد وعصره)**، دار الغرب الإسلامي - بيروت - ١٩٩٤م.

- موسى لقبال:

* **دور كُتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية** ، الجزائر، ١٩٧٤م.

- نظير سعداوي:

* **جيش مصر في أيام صلاح الدين**، مكتبة النهضة المصرية- القاهرة- ١٩٥٩م.

ب. المراجع المعربة:

- آدم متز:

* **الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري**، ٢ج، ترجمة محمد عبدالهادي أبو ريدة - دار الكتاب العربي - بيروت - ط٥ -د. ت.

- أنتوني بردج:

* **تاريخ الحروب الصليبية**، ترجمة أحد غسان سبانو، نبيل الجيرودي، مراجعة د. سهيل زكار، دار قتيبة، دمشق-١٩٨٥م.

- بارتولد (فاسيلي فلاديمروج):

* **تاريخ الترك في آسيا الوسطى**، ترجمة أحمد سليمان، القاهرة- ١٩٨٥م.

- برنارد لويس:

* **أصول الإسماعيلية والفاطمية والقرمطية**، دار الحداثة- بيروت- ١٩٨٠م.

- ستيفن رنسيمان:

* **تاريخ الحروب الصليبية (٣ج)**، ترجمة السيد الباز العريني، دار الثقافة- بيروت - ١٩٦٧م.

- سميل - ر. س:

* **فن الحرب عند الصليبيين**، ترجمة محمد وليد الجلاد- دار طلاس- دمشق- ط١ - ١٩٨٥م.

- فرحات الدشراوي:

* **الخلافة الفاطمية بالمغرب (التاريخ السياسي والمؤسسات)**، ترجمة حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي - بيروت- ١٩٩٢م.

- ميخائيل أماري:

* **المكتبة العربية الصقلية**، دار صادر - بيروت (عن طبعة ليبسك، ١٨٥٧م).

- مؤلف مجهول:

* **أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس**، ترجمة حسن حبشي، دار الفكر العربي- القاهرة- ١٩٥٨م.

- الهادي روجي:

* **الدولة الصهناجية (٢ج)**، ترجمة حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٢م.

- وليم الصوري:

❋ **تاريخ الحروب الصليبية (الأعمال المنجزة فيما وراء البحار)** ٢ج، ترجمة سهيل زكار، دار الفكر، دمشق، ط١- ١٩٩٠م.

جـ. المراجع الأجنبية:

- Ayalon, David

❋ **The Mamluk Military Society,** London, 1979.

- Jamil, M. Abun - Nasr

❋ **A History of the Magrib in the Islamic Period**. Cambridge University Press, 1987.

- Hamblin, William James

❋ **The Fatimid Army During the early Crusades**, the university of Michigan, 1985.

- Lanne Pool, Stanley

❋ **A History of Egypt in the Middle Ages**, London, 1901.

❋ **Saladin and the fall of the kingdom of Jerusalem,** Beirut, 1964.

- Muir, William

❋ **The caliphate, its Rise, Decline and fall**, London, 1984.

ثالثاً: المقالات

أ. المقالات العربية:

- بارتولد:

❋ **"ترك"**، دائرة المعارف الإسلامية، الترجمة العربية، ج٥ - ص٣٤ - ٥٧.

❋ **"أرمينية"**، دائرة المعارف الإسلامية، الترجمة العربية، ج١ - ص٦٣٧.

- الحبيب الجنحاني:

❋ **السياسة المالية في الدولة الفاطمية في المغرب** (ملتقى القاضي النعمان للدراسات الفاطمية - الدورة الثانية-) دار الشؤون الثقافية، تونس - ١٩٧٤م ص١٨٣- ٢٠٥.

- زكي محمد حسن: :

❋ **الكنوز الفاطمية** (بحث نشر في الكتاب السنوي الثامن للمجمع المصري للثقافة العلمية)- القاهرة - ١٩٨٣، ص١٠٥ - ١٨٦.

- كولان ج. س:

❋ **البرانس**، دائرة المعارف الإسلامية، الترجمة العربية، ج٦، ص٥٥٩ - ٥٦٠.

❋ **البتر**، دائرة المعارف الإسلامية، الترجمة العربية، ج٦، ص١٩٧ - ١٩٨.

ب. المقالات الأجنبية:

- Basset, R.

❋ **Kutama**, EI_2, Vol 5, P. 540.

- Beshir, B. J.

❋ **Fatimid Military Organaization**, Der Islam, 1978, P. 37-56.

- Canard, M.

❋ **Al - Hakim Biamr Allah**, EI_2, Vol (3), P. 76 - 82.

- Dachraoui, F.
  - **Al - Mahdi Ubayd Allah,** EI_2, Vol (5). P. 1243.
  - **Al- Mansur Bi Allah,** EI_2, Vol (6). P. 434 - 435.

- Gottschalk, H. L.
  - **Diwan**, EI_2, Vol (2), P. 328.

- Lewis. B.
  - **Barjwan**, EI_2, Vol (1), P. 1042.

- Mones, H
  - **Djawher Al Sikilli**, EI_2, Vol (2), P. 495.

- Yaacov, Lev
  - **The fatimid and Egypt. 301 - 358/ 414 - 962**. ARABICA, LEIDEN, 1988, Tom XXXV, P. 186- 196.